وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو القاسم سعد الله (الجزائر 2)

كلية العلوم الإنسانية

قسم التاريخ

الموضوع:

الصراع الديني في المغرب القديم: "الحركة الدوناتية والكنيسة الافريقية" بين القرنين الثالث والخامس الميلاديين.

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ القديم.

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الجامعة	الرتبة	الصفة
بلقاسم رحماني	جامعة الجزائر2	أستاذ التعليم العالي	رئيسا
توفيق حموم	جامعة الجزائر 2	أستاذ التعليم العالي	مشرفا
الطاهر ذراع	جامعة أدرار	أستاذ التعليم العالي	عضوا
محمد الحبيب بشاري	جامعة الجزائر 2	أستاذ التعليم العالي	عضوا
ثليجي أحمد	جامعة الجلفة	أستاذ محاضر "أ"	عضوا
بنت النبي مقدم	جامعة الجزائر 2	أستاذ محاضر "أ"	عضوا

إعداد الطالب: **إشراف الأستاذ الدكتور:**

بن عطياالله عبد الرحمان **حموم توفيق**

السنة الجامعية: 2018/2017

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

نتوجه بالشكر الجزيل والعرفان بالمجهودات

الكبيرة إلى الأستاذ الدكتور توفيق حموم بعد

مرافقته وتوجيهه لنا طيلة ستة سنوات من البحث.

نتمنى من الله العلي القدير أن يجازيه وينير

دربه لخدمة البحث العلمي وأن يوفقه في مزيد

من النجاحات

إهداء

إلى والدي المتوفى

إلى أمي أطال الله في عمرها

إلى زوجتي الكريمة

إلى ابني أيوب وابنتي آيات

إلى أخواتي وإخوتي الأعزاء

إلى العائلة الكريمة

إلى كل من ساعدنا من قريب ومن بعيد في انجاز

هذه المذكرة خاصة عمال مكتبة القسام

الـــمـقدمـــة

يتناول موضوع الاطروحة الصراع الديني في شمال إفريقيا و الخاص بانتشار وتوسع الديانة المسيحية، التي غيرت معتقدات وطقوس العالم القديم بما فيها منطقة شمال افريقيا، لكن اختلاف تفسير بعض النصوص المسيحية أدى إلى انشقاقات كثيرة هددت وحدة المسيحيين.

وتختلف الانشقاقات الدينية التي تعرضت لها الديانة المسيحية من حيث الأسباب فمنها ما يعود للاختلافات العقائدية ومنها ما يعود للاختلافات السياسية والاجتماعية وقد تتوسع هذه الاختلافات وتتداخل لينجم عنها صراعات طويلة يصل بها الأمر إلى الاتهامات بالهرطقة وقاموس آخر من المصطلحات التي يمكن أن يستخدمها طرف مسيحي ضد طرف مسيحي آخر بعد أن يصل الوضع إلى طريق مسدود.

وكانت منطقة شمال إفريقيا تستوعب كل ما يحدث من تغيرات في العالم القديم ومن بين هذه التغيرات انتشار الديانة المسيحية خلال القرن الثاني الميلادي استنادا إلى المعطيات الأثرية والنصوص الكتابية كما يبدو أن سكان شمال إفريقيا تحمسوا لهذا الدين الجديد بدليل اعتناقهم السريع لها فهي البديل الروحي لهم من أوثان لم تخلصهم من حياة الظلم والمعاناة، ثم إن المسيحية قد تخلصهم من الاحتلال الروماني الذي لم تتمكن الثورات رغم كثرتها من القضاء عليه.

ونظرا لتعارض تعاليم الديانة المسيحية مع مصالح الأباطرة الرومان وكبار الحكام والأرستقراطيين فإن ثمن الدخول في الدين الجديد كان مؤلما، فقد بدأت حملة الاضطهادات ضد المسيحيين منذ بداية انتشارها خلال القرن الثاني الميلادي وشملت كل معتنقيها داخل حدود الإمبراطورية الرومانية، ففي إفريقيا دام اضطهاد المسيحيين أكثر من قرن ورغم ذلك لم تفضي هذه الاضطهادات إلى القضاء على المسيحية بل إن المسيحيين اعتبروا أن الموت دفاعا عن هذا الدين الجديد بمثابة "شهادة" والصبر على آلام التعذيب والسجن والنفي "تضحية" ولهذا السبب تم تثبيت دعائم المسيحية في إفريقيا وهنا لا نغفل عن دور كبار رجال الدين كترتيليان وكبريانوس .

لكن استمرار الإمبراطورية الرومانية في إجراءات التضييق على المسيحيين واضطهادهم طال أمده ولم يتحقق مراده بل كان له نتائج عكسية على مستوى زيادة أعداد المسيحيين فما كان منها إلا الاعتراف بسياسة الأمر الواقع من خلال إصدار مرسوم ميلان سنة 313 م من طرف الإمبراطور قسطنطين لتنتهي موجة اضطهاد المسيحيين في كل أرجاء الإمبراطورية الرومانية وكان لذلك أثر كبير في تطور الكنيسة الإفريقية.

وما كادت الكنيسة الإفريقية أن تنعم بنعم السلام والرخاء الذي وفره مرسوم ميلان 313م حتى ظهرت بها المشاكل مباشرة بعد أن بدأت في ترتيب بيتها الداخلي، وانطلقت مشاكلها من كنيسة قرطاج هذه الأخيرة تعتبر معيار لكل ما يحدث في الكنائس الإفريقية الأخرى باعتبارها تمثل السلطة الروحية عليها مثلما تمثل كنيسة روما السلطة الروحية على جميع كنائس العالم القديم.

كما يبدو أن أصل المشكلة داخل الكنيسة الإفريقية وجود فريقين مختلفين في كيفية التعامل مع السلطة الرومانية فالفريق الأول يرى أن التعامل معها ضروري باعتبارها تمثل السلطة القانونية وبعض الأساقفة الأفارقة تعاملوا معها حتى خلال عصر الاضطهاد، بينما يرى الفريق الثاني أن ذلك يعتبر خيانة وأن أي أسقف تورط في معاملتها يعتبر متخاذل ويجب إقصاءه من النظام الكنسي خصوصا خلال فترة الاضطهاد وعلى أساس أن الفريق الثاني أصلا يرى أن اعتراف الإمبراطورية الرومانية بالديانة المسيحية هو اعتراف غير بريء نظرا لتاريخ هذه السلطة المليء بالاضطهاد في حق المسيحيين.

وبوجود فريقين مختلفين من دون التوصل إلى توافق بينهما أدى إلى وجود كنيستين الأولى موالية للسلطة الرومانية وهي الكنيسة الكاثوليكية والثانية معارضة للسلطة الرومانية وهي الكنيسة الدوناتية مما أوقع الكنيسة الإفريقية في فصل طويل من الصراع الديني.

عندما نتكلم عن بلاد المغرب القديم أو عن إفريقيا حسب ما ورد في عنوان الأطروحة فإننا نقصد بها المنطقة الممتدة جغرافيا من البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى غاية الصحراء الكبرى جنوبا، ومن وادي النيل والصحراء الكبرى شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا وهي المنطقة التي عمم عليها الإغريق مصطلح "ليبيا".

أما الفترة التي حددت لدراسة الصراع بين الحركة الدوناتية والكنيسة الإفريقية فهي ما بين القرنين الثالث والخامس الميلاديين باعتبار أننا ندرس فترة انتشار الديانة المسيحية ونشأة الكنيسة الإفريقية الذي كان أكثر وضوحا خلال القرن الثالث الميلادي، ثم ظهور الحركة الدوناتية كحركة جديدة في إفريقيا خلال القرن الرابع الميلادي وبداية صراعها مع الكنيسة الإفريقية التي انشقت منها أصلا، ليستمر هذا الصراع حتى القرن الخامس الميلادي وفي نهاية هذا القرن يهدأ الصراع لصالح الكنيسة الكاثوليكية.

تكمن أهمية الموضوع في دراسة جزء حساس من تاريخ المغرب القديم وهو الصراع المذهبي بين الكنيستين الكاثوليكية والدوناتية، وهو موضوع يبدو حسب اطلاعنا أنه لم تُغطى كل جوانبه المختلفة ولم

يُعالج بشكل تفصيلي، وبعض من الدراسات عالجته بشكل سردي دون أن تغوص في عمق الخلاف بين الكنيستين.

ورغم أننا حاولنا جاهدين في البحث عن دراسات سابقة للموضوع بغية الاستفادة منها والاطلاع على وجهات نظرها في الدراسة وذلك فيما يخص رسائل الماجستير والدكتوراه إلا أننا لم نجد سوى اليسير منها على الأقل في حدود اطلاعنا بكل من الجزائر وبعض الجامعات المغربية والتونسية ومكتبة جامعة إكس مرسيليا وتصفحنا الكثير من المواقع الإلكترونية لعلنا نجد بعض الدراسات سواء باللغة العربية أو اللغتين الفرنسية والإنجليزية وما وجدناه يبدو من وجهة نظرنا أنه قيم لكن جوانب أخرى من الموضوع هي بحاجة للمزيد من الأبحاث وأهم الرسائل السابقة القريبة من دراستنا نجد:

1-عمران عبد الحميد، **الديانة المسيحية في المغرب القديم _النشأة والتطور_(180م-430م)** أطروحة دكتوراه، جامعة منتوري-قسنطينية، 2011م. هذه الدراسة هامة بالنسبة إلينا باعتبار أن الصراع الديني في المغرب القديم جزء من تطور انتشار الديانة المسيحية ورغم تطرق الباحث إلى بعض إشكاليات الصراع المسيحي المسيحي إلا أننا حاولنا أن نطرح الموضوع من وجهة نظر مغايرة تجنبا للوقوع في التكرار وإعادة نفس الأفكار كما حاولنا أن ندرس موضوع الصراع بين الكنيستين الكاثوليكية والدوناتية بشكل عميق أكثر مما هو موجود عليه.

2- Anaclet Dupar Lalhé, **La formation du patrimoine des Eglises d'Afrique romaine Recherche des fondements théologiques**, Thèse doctorat, L'Université canadienne Ottawa,2009، تطرق الباحث في رسالته إلى نشأة الكنيسة الإفريقية وتطورها مركزا على الجانب التنظيمي، وأهمل الباحث الكنيسة الدوناتية باعتبارها كانت جزء من الكنيسة الإفريقية قبل أن تنشق عليها وجزء كبير من المشاكل التنظيمية سببه الانشقاقات.

3-محمد المبكر، **شمال إفريقيا القديم، حركة الدواورن وعلاقتها بالدوناتية (305م-429م)** دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة فاس، 1982م، ركز الباحث في هذه الرسالة على حركة الدواورن وطبيعة العلاقة بينها وبين الحركة الدوناتية وركز على هذه النقطة التي تمثل جزء من الصراع بين الكنيستين الكاثوليكية والدوناتية في إفريقيا لأن الدواورن تحالفوا مع الدوناتيين بالنظر إلى مصالحهم المشتركة.

تتمحور الإشكالية الرئيسية حول الصراع الديني في المغرب القديم ومن يقرأ العنوان-من غير المتخصصين- يعتقد أن الصراع كان بين ديانة وديانة أخرى، لكن الواقع يُظهر أنه صراع داخل ديانة واحدة وهي الديانة المسيحية فما هي الأسباب التي تدفع معتنقي ديانة واحدة إلى الانقسام والمواجهة هل يمكن أن تكون أسباب سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو دينية كما يمكن أن تتداخل هذه الأسباب.

وعند البحث في الإشكالية الرئيسية للموضوع يتبين أن هناك تساؤلات أخرى تطرح فالبحث عن أسباب الصراع الديني يدفعنا إلى معرفة نقطة البداية فكيف دخلت الديانة المسيحية إلى بلاد المغرب القديم؟ وكيف انتشرت ولماذا اعتنقها السكان بشكل سريع وقدموا تضحيات جسيمة من أجلها ؟هل إن مبادئها تختلف عن مبادئ الدين القديم بحيث تمثل أملا للتخلص من مشاكلهم والإجابة عن التساؤلات التي لم يحلها لهم الدين القديم؟.

ولما اعتنق سكان بلاد المغرب القديم الديانة المسيحية هذا يستوجب وجود تنظيم كنسي يجمعهم فكيف نشأت الكنيسة الإفريقية وكيف تطورت ؟ومن هم كبار رجالاتها الذين يعود لهم الفضل في الإسهام بجانبها التنظيمي؟، وهل كانت الكنيسة الإفريقية مستقلة في تسييرها أو أنها بالضرورة تخضع لقوانين السلطة الرومانية؟ لأن هذه الأخيرة اعترفت بالمسيحية كجزء من الديانات الإمبراطورية سنة 313م وجعلتها ديانة رسمية للدولة سنة 391م ونعتقد أن طبيعة العلاقة بين السلطة والديانة علاقة مهمة لتفسير الكثير من الأحداث فعلاقة السياسي بالديني طرحت جدل كبير في كل العصور.

ثم نعود إلى موضوع الصراع بين الكنيستين الإفريقية والدوناتية على أساس أن هذه الأخيرة انشقت على الأولى وخلقت لها تيارا مستقلا فهل هذا الانشقاق يدل على وجود انحراف حصل في الكنيسة الإفريقية أو أنه انشقاق يمثل وجه من أوجه الصراع بين المحلي والأجنبي ؟،وربما هنا يكون الانشقاق على ما جرت عليه العادة بأن اختلاف التفكير بين المحلي والأجنبي يؤدي إلى ظهور مثل هذه التيارات المستقلة.

وإذا اعتبرنا أن الصراع الديني كان بين طرف محلي وطرف أجنبي فهذا يدفعنا إلى التساؤل أن أصل الحركة الدوناتية وظروف نشأتها وهل تكونت من أفكار محلية وجميع من يقودونها لهم توجه معارض للوجود الأجنبي ثم علينا أن نعرف نطاق انتشار الحركة الدوناتية فهل جغرافية الانتشار تتوافق مع جغرافية مقاومة الوجود الروماني ببلاد المغرب القديم؟، ثم علينا أن نعرف مراحل هذا الصراع وأبعاده وما هي الوسائل التي

استخدمها كل طرف ضد الآخر وكل هذه التساؤلات التي طرحناها نحاول أن نتوصل إلى إجابات تعطينا فكرة واضحة عن الموضوع.

وللإجابة عن هذه الإشكاليات قسمت الموضوع إلى خمس فصول، حيث خصصت الفصل الأول لبدايات انتشار الديانة المسيحية في بلاد المغرب القديم في كل مقاطعاته التي كانت تسيطر عليها الإمبراطورية الرومانية مع ذكر الظروف العامة السائدة وعوامل تقبل سكان شمال إفريقيا لهذا الدين الجديد وتخليهم عن المعتقدات والطقوس الوثنية، لكن في نفس الوقت كان علينا توضيح موقف السلطة الرومانية وجيشها وموقف الوثنيين من هذا الانتشار لأن ذلك يرتبط بشكل مباشر مع مصيرهم.

أما الفصل الثاني فانتقلنا إلى دراسة نشأة الكنيسة الإفريقية وتطورها حيث بدأنا بتعريف مصطلح إفريقيا ونطاقها الجغرافي خلال الفترة التي درسناها وهذا حتى يتسنى لنا حصر مفهوم الكنيسة الإفريقية، ثم تطرقنا إلى تنظيم الكنيسة الإفريقية حسب تقسيم مقاطعاتها وأبرزنا تنظيمها الداخلي من حيث تقسيم الوظائف وصلاحية كل وظيفة داخل الكنيسة ولم نغفل عن الجانب الانضباطي داخل الكنيسة الذي يعتبر جزء مهم لفرض النظام الداخلي كما تطرقنا إلى المجمعات التي عقدت في إفريقيا بهدف توحيد الكنيسة ومناقشة مستجداتها مصادر أموال الكنيسة وفي أخر الفصل تناولنا مصادر أموال الكنيسة الإفريقية لأن وجود الأموال ضروري لاستمرار تأدية وظائفها ودورها في المجتمع.

وقد خصصنا الفصل الثالث للحركة الدوناتية كحركة جديدة منشقة عن الكنيسة الإفريقية فبدأنا عن البحث في شخصية مؤسسها دوناتوس وكبار الأساقفة الذين حملوا لواء دعوته بعد وفاته، ثم انتقلنا إلى البحث في ظروف وأسباب ظهور الحركة الدوناتية فمعرفة ذلك قد يؤدي إلى فهم أسباب الانشقاق عن الكنيسة الأصلية، حتى إذا تعرفنا على أسباب الانشقاق يمكننا أن نعرف مبادئ الحركة الدوناتية والتي على أساسها تركت الكنيسة الإفريقية، وفي آخر الفصل درسنا مكانة الدوناتيين في بلاد المغرب القديم وهذه المكانة لا نفهمها إلا من خلال تحديد نطاق انتشارهم ومدى تقبل سكان بلاد المغرب القديم لأفكارهم.

أما الفصل الرابع فتناولنا فيه موقف خصوم الدوناتيين من حركتهم ويبدو أن خصومهم الرئيسيين في إفريقيا هم الكاثوليك من جهة والإمبراطورية الرومانية من جهة أخرى فالكاثوليك يمثلون الكنيسة الرسمية وموالين لكنيسة روما، أما السلطة الرومانية فهي تمثل القانون والنظام العام، فعلى المستوى الأول وهو الديني حاولنا الإجابة عن نظرتين مختلفتين عن الحركة الدوناتية (الهرطقة والانشقاق) أما على المستوى الثاني وهو

السياسي فحاولنا الإجابة عن نظرتين مختلفتين أيضا (التمرد والثورة) وفي آخر الفصل بينا انعكاسات تلك النظرات على المستوى الاجتماعي من حيث طبيعة المعاملات بين الدوناتيين والكاثوليك.

وفي الفصل الخامس والأخير تطرقنا إلى طبيعة ومراحل الصراع بين الكنيستين الإفريقية والدوناتية بداية بدراسة وضع الكنيسة الإفريقية خلال ظهور الحركة الدوناتية سواء على المستوى السياسي (علاقتها بالسلطة) أو على المستوى الفكري (ظهور مفكرين كبار على رأسهم أوغسطين) وهذه وسائل قوية استخدمتها الكنيسة الإفريقية لإثبات قوتها وحججها في مواجهة الدوناتيين، في الوقت ذاته كان للدوناتيين وسائل كثيرة على رأسها تمكن أساقفتها من إقناع سكان بلاد المغرب القديم بأفكارهم وكذلك تحالفها مع الثورات التي قامت ضد الاحتلال الروماني لأن عسكرة الصراع ودخول الجيش الروماني كحليف للكنيسة الإفريقية قابله الدوناتيين بالتحالف مع حركات مسلحة كالدوارون وفيرموس وجيلدون.

وفي أخر الفصل الخامس ناقشنا مسألة أن يكون من وراء الصراع بين الكنيستين بعد قومي ولم يكن الصراع المذهبي سوى البداية وذلك لوجود مقومات سياسية ودينية وثقافية تختلف عن المقومات الرومانية.

كما اعتمدنا على مجموعة معتبرة من الملاحق التي نراها ضرورية لتوضيح بعض الإشكاليات ثم في الأخير وضعنا خاتمة سجلنا فيها أهم الاستنتاجات التي توصلنا إليها.

تعد المصادر المسيحية من أهم المصادر التي أرخت للديانة المسيحية لأنها تعطينا معلومات مهمة بسبب قربها من الواقع وتغطيتها للكثير من الأحداث من بينها كتب ترتيليان الذي عرف بدفاعه عن الديانة المسيحية بمجموعة من الحجج والبراهين وكتب أوغسطين الذي ركز على محاربة أصحاب البدع والانشقاق وخصص جزء كبير من كتاباته لانتقاد الحركة الدوناتية، ومن المصادر التي اعتمدنا عليها كتاب "**تاريخ الكنيسة**" ليوسابيوس القيصري الذي عاش في نهاية القرن الثالث الميلادي ويعد من أبرز مؤرخي الكنيسة وفي كتابه نجد الكثير من المعلومات عن انتشار الديانة المسيحية ووضع المسيحيين الأوائل خصوصا الاضطهادات التي تعرضوا لها، ثم إن يوسابيوس عايش فترة السلام الديني الذي أعلنه قسطنطين وتعرفنا من خلال معلوماته على التغيرات التي طرأت على الديانة المسيحية بعد مرسوم ميلان 313م.

أما المراجع فهي متنوعة وكثيرة من أبرزها محمد المبكر، **شمال افريقيا القديم، حركة الدوارين وعلاقتها بالدوناتية (305م–429م)** الذي تطرق بالتفصيل إلى علاقة الحركة الدوناتية بثورة الدوارون وموقف الكنيسة الكاثوليكية من هذه العلاقة.

ومن المراجع التي استفدنا منها كتب ومقالات المؤرخ بول مونصو 1 (MonceauxPaul) العديدة المتخصصة في تاريخ الديانة المسيحية بشمال إفريقيا بحيث تناولت مواضيع بالتفصيل كنشأة الكنيسة الإفريقية وتطورها وأهم مفكريها والصراع بين الكاثوليك والدوناتيين ومن أبرز كتبه Paul Monceaux, **Histoire litéraire de l'Afrique Chéritienne depuis les origines jusqu'à l'invaision Arab**

كما استفدنا كثيرا من أطروحة دكتوراه درست الكنيسة الإفريقية من حيث نشأتها وتطورها والجانب التنظيمي فيها وهي بعنوان Anaclet Dupar Lalhé, **La formation du patrimoine des Eglises d'Afrique romaine Recherche des fondements théologiques**

ونظرا لطبيعة الموضوع المتعلقة بالصراع الديني في المغرب القديم بين الكنيستين الإفريقية والدوناتية فقد استخدمنا في المقام الأول المنهج الوصفي لمحاولة فهم بعض الظواهر وتفسيرها كما استخدمنا المنهج التحليلي حتى نتمكن من تفكيك مصطلحات هذا الصراع وأسبابه ومراحله ونتائجه.

من ناحية أخرى لا تُمكننا المصادر الأثرية من معلومات أوفر عن الدوناتيين وعن صراعهم مع الكاثوليك فتقل الدراسات الأثرية كلما تعلق الأمر بهذا الموضوع وحتى الكنائس الدوناتية بالشرق الجزائري يبدو أنها تحولت إلى كنائس كاثوليكية بعد ضعف الحركة الدوناتية نتيجة للإجراءات القاسية التي فرضتها السلطة الرومانية ونفي أساقفتهم أو أن كنائسهم تعرضت للهدم وتم تهميشها في عملية البحث الأثري ولهذا السبب نجد صعوبات في تحديد المواقع الأثرية الخاصة بالدوناتيين.

ورغم هذه الصعوبات حاولنا في حدود الإمكانيات طرح نظرة جديدة لموضوع الصراع الديني في المغرب القديم فيها نوع من الموضوعية ونوع من رد الاعتبار للحركة الدوناتية بعد أن لاحظنا خلال مطالعة الكثير من الكتب عن توجه منحاز لأطروحات الكنيسة الكاثوليكية والسلطة الرومانية.

وفي الأخير نوجه جزيل شكرنا وامتنانا للمشرف المحترم الأستاذ الدكتور توفيق حموم على قبول إشرافه على المذكرة وعلى تشجيعه لنا للبحث في هذا الموضوع كما لا ننسى كل من ساعدنا ولو بشيء قليل.

الفصل الأول

مدخل عام لانتشار المسيحية في بلاد المغرب

1/مظاهر بدايات دخول المسيحية لبلاد المغرب القديم

2/ظروف وعوامل انتشار الديانة المسيحية في المغرب القديم

3/الجيش الروماني في إفريقيا والديانة المسيحية

4/الوثنيون وموقفهم من الديانة المسيحية

5/موقف الأباطرة الرومان من انتشار الديانة المسيحية في المغرب القديم

1/مظاهر بدايات دخول المسيحية لبلاد المغرب القديم

1- 1-لمحة عن الديانة في بلاد المغرب القديم ما قبل المسيحية

قبل مجيء الديانة المسيحية لبلاد المغرب القديم سادت الديانة الوثنية كغيره من الحضارات القديمة من حيث عبادة القوى الطبيعية التي اعتقد الانسان أنها متحكمة في مصيره قياسا بفكره البدائي الذي لم يصل إلى تفسير دقيق للكثير من الظواهر الطبيعية، وقد بدأ الفكر الديني يتجسد في المنطقة منذ عصور ما قبل التاريخ حيث عرفت الحضارات العاترية والقفصية بعض الطقوس الجنائزية التي تعبر عن وجود فكر ديني كعادات الدفن والأثاث الجنائزي ومن هنا يبدو أن نشأة الفكر الديني في المنطقة كانت محلية تعبر عن علاقة الإنسان بوسطه الطبيعي [1].

ومن المظاهر الدينية المنتشرة ظاهرة عبادة الأسلاف عند بعض القبائل الليبية وقد كانت قبورهم تشكل أحيانا ملاجئ للاستخارة فكان مثلا إذا تألم أحدهم نام عند قبر أحد أجداده وما شاهده في نومه يعمل على تطبيقه وكذلك يتبين أن منطلق تقديسهم لأجدادهم هو منطلق الاحترام وتكريما لمخلفاتهم في الحياة[2].

ومن بين أبرز الظواهر الطبيعية التي عبدوها حسب المؤرخ اليوناني القديم هيرودوت الشمس والقمر يبدو أنه باعتبارها أبرز الظواهر الطبيعية التي تؤثر في حياة الناس[3]. كما تشير المصادر والمراجع إلى أن ديانة سكان المغرب القديم منها ما أصله محلي ومنها ما هو ناتج عن التأثر بالحضارات القديمة كالفرعونية والفنيقية واليونانية والرومانية نتيجة للاحتكاك الحضاري بين هذه الحضارات وسكان بلاد المغرب القديم فعبادة الاله أمون والتعبير عنه برسم الكبش في الرسوم الأثرية دلالة على وجود تأثير مصري لتشابه الاسم والدلالة الرمزية لكبير الآلهة عند الفراعنة ونجد أن هذه الرسوم انتشرت على نطاق واسع ببلاد المغرب القديم، ويدل وجود آلهة فينيقية على غرار بعل حامون وتانيت من مظاهر تواجد الديانات الأجنبية[4]. ووجود بعض منهم يقدم القرابين لأثينا أحد أكبر الآلهة في اليونان حسب رواية المؤرخ هيرودوت[5].

(1) مها عيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم، أطروحة دكتوراة، جامعة قسنطينة، 2010، ص، ص، 65، 443.

(2) نفسه، ص، 178.

(3) هيرودوت، في نصوص ليبية، تر، علي فهمي خشيم، دار مصراتة، ليبيا، 1967، ص 62.

(4) محمد البشير شنيتي، نوميديا وروما الامبراطورية، كنوز الحكمة، الجزائر، ط1، 2007، ص، ص، 307، 308.

(5) هيرودوت، المصدر السابق، IV، 188.

كما أن هجرة العنصر اليهودي للمنطقة منذ القرن الثالث قبل الميلاد أدى بسكان بلاد المغرب القديم إلى معرفة أول ديانة سماوية وقد أدى استقرارهم إلى انتشار ديانتهم بالرغم من عدم وضوح أماكن تواجد الديانة اليهودية في بلاد المغرب القديم قبل الوجود الروماني.[1]

الشكل رقم 01: تمثال من الفخار يصور الاله القرطاجي بعل حمون جالسا على عرش يحف به بورقان وعلى راسه تاج من ريش. عثر عليه بالقرب من بير بورقبة، القرن الاول بعد الميلاد، المتحف الوطني بباردو نقلا عن المعهد الوطني للتراث

http://www.inp.rnrt.tn/index.php?option=com_content&view=article&id=113&Itemid=39&lang=ar

ومع سقوط قرطاج وسيطرة روما على كامل مقاطعات شمال افريقيا فإنها سعت إلى نشر معتقدات شعوبها الدينية بما يخدم مصالحها وسياستها المعروفة ب" الرومنة" بحيث أن نشر الديانة الرومانية ما هي إلا جانب من جوانب هذه السياسة ولهذا نجد أن بعضا من سكان المغرب القديم خصوصا الطبقة المترومنة

[1] جميل الحمداوي، الديانة عند الأمازيغيين، شبكة الألوكة، www.alukah.net ص، ص، 7، 8.

عبدت الآلهة الرومانية كجوبتر (Jupiter)، مارس (Mars) ، أبولون (Appollon)، بلوتون (Pluton)، باخوس (Bacchus)، فنوس (Venus)، منيرف (Minerva)[1].

ووجود خليط من المعتقدات الأجنبية في بلاد المغرب القديم لا ينفي عدم وجود ديانة محلية ترجع في أصولها إلى عصور ما قبل التاريخ ما يعني نشأتها قبل احتكاك سكان شمال افريقيا بالحضارات الأخرى، وقد أشار المؤرخ الفرنسي ستفين غزال (Stéphane Gsell) إلى أنه منذ العصور الحجرية بدأت ملامح الفكر الديني تظهر في شمال افريقيا كممارسة السحر وقراءة التمائم وعبادة الحيوانات [2] ، ويحدد المتخصصون في دراسات عصور ما قبل التاريخ أن العصرين الحجرين القديم والأوسط في بلاد المغرب القديم الذي يعاصر الحضارتين الموستيرية والعاترية بداية للأصول الدينية الوثنية في بلاد المغرب القديم.[3] ومما يدل على المعرفة الدينية المحلية لسكان المغرب القديم هو وجود حوالي 52 اسما من أسماء الآلهة المحلية يوجد لها اشتقاق في اللغة الأمازيغية وحتى الجنود المساعدين الأفارقة في الجيش الروماني ظلوا يعبدون مجموعة من الآلهة باسم داي موري (Dei Mauri) بما يعني مجموعة الآلهة المورية وتعبد بشكل جماعي حتى يضمنون أن لا ينسوا أحد منها.[4]

---

[1] حميدة نشنش، رجال الدين في بلدان المغرب القديم من ظهور المسيحية في نهاية القرن الثاني ميلادي إلى غاية السلام المسيحي سنة 313م من خلال ترتوليانوس وكيبريانوس، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، ص، 16.

[2] اصطيفان اكصيل، تاريخ شمال افريقيا القديم، ج6، تر، محمد التازي سعود، الرباط، أكاديمية المملكة المغربية، 2007، ص، 113.

[3] محمد الصغير غانم، الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال افريقيا، دار الهدى، عين مليلة، 2005، ص، 11.

[4] روبين دانيال، التراث المسيحي في شمال إفريقيا، دراسة تاريخية من القرن الأول إلى القرون الوسطى، دار منهل الحياة، بيروت، ص 36.

الشكل رقم 02: مدخل معبد مينرف بمدينة تبسة شاهد على عبادة الديانة الوثنية في بلاد المغرب القديم

المصدر: تصوير شخصي خلال زيارة متحف مينرف بتبسة يوم 26-12-2017 م

ومع دراسة التركيبة الدينية والثقافية للمغرب القديم قبل القرن الأول الميلادي نلاحظ وجود لغات وثقافات متعددة ومن ثمة معتقدات دينية مختلفة وهو ما مهد لدخول ديانة جديدة تجيبهم على الكثير من الألغاز التي ظلوا يجهلونها لفترات طويلة وهو الدين المسيحي.[1]

1-2-انتشار الديانة المسيحية في بلاد المغرب القديم وظهور الكنائس الأولى

يبدو أن ظهور الديانة المسيحية كان في القرن الأول الميلادي وبدأت في الانتشار بداية من هذا القرن إلا أنه نظرا لندرة النصوص المتعلقة بظهور الديانة المسيحية بشكل دقيق في بلاد المغرب القديم فإن تأريخ ظهورها كان متأخر[2]، فقد أرجعت النصوص كالنقوش والآثار بأن منتصف القرن الثاني الميلادي هو بداية

[1] روبين دانيال، المرجع السابق، ص، 32.

[2] Paul –Albert Février, aux origines du christianisme en Maurétanie césarienne, antiquité Afriqaine, T, 98,N 2,1986,p 767.

دخول المسيحية وحتى المصادر الكتابة المسيحية كترتوليان (Tertullien)* وكبريان (Cyprien)** الذين كتبا في القرن الثالث الميلادي لم يعطونا معلومات دقيقة عن انتشار المسيحية في القرون الأولى للميلاد .[1]

واشارتنا في السابق إلى وجود كتابات متحيزة هو محاولة بعض الكتابات الحديثة منها بالأخص التسويق لفكرة أن أوروبا هي حاضنة الديانة المسيحية عبر العصور وتصوير شمال افريقيا بالصبغة الاسلامية رغم أنه بالإمكان القول بشكل دقيق أنه بدون ترتوليان وكبريان وأغسطنيوس لم تكن هناك كنيسة كاثوليكية غربية هؤلاء الثلاثة الذين عملوا بقرطاج منذ وقت مبكر ومن خلالها لاقى الكثير من مسيحي شمال افريقيا الاضطهاد، وفي قرطاج عقدت الكثير من المجامع الكنسية وأخذت الكنيسة الكثير من تصورها على المستوى العقدي والعلمي والنقدي، وحيث أن التصور العقدي والعلمي والنقدي في المراحل الأولى لانتشار الديانة المسيحية هو المحطة الأساسية الذي بني على أساسه الفكر المسيحي طيلة العصور، ولا غرابة أن من يدرس الفكر المسيحي في العصور الوسطى والحديثة يجد أن جزء كبير من تصوره يعود للأفارقة[2].

ولهذا من المحتمل أن التأريخ للمسيحية في شمال افريقيا حسب هذه المعطيات سابق لنهاية القرن الثاني الميلادي وليس من المستبعد أن يعود للقرن الأول الميلادي وبذلك يكون ظهورها بإفريقيا لا يتأخر زمنيا مقارنة بظهورها في مصر أو روما عكس ما تعودت عليه بعض المصادر والمراجع من أن تجعل افريقيا متأخرة دوما عن التأثيرات الحضارية وإن كان بعض من هذه التأثيرات الحضارية قد تأخر فعلا فلا يمكن تعميم ذلك على كل التأثرات وعلى كل الفترات التاريخية.[3] كذلك عند التفكير في ما كتبه ترتوليان عام 197م عن تجذر المسيحية بأعداد كبيرة في المدن والجزر والقرى والضيعات والمعسكرات والمقابر وقيادة العشرة والقصر ومجلس الشيوخ والفوروم، حتى أن عدد مسيحي مدينة واحدة كان يفوق عدد أفراد الجيش فضلا عن أن الجيش هو

---

* ترتيليانوس رجل دين مسيحي برتبة قسيس عاش في القرن الثاني الميلادي، يعود الله الفضل في تأسيس أول كنيسة في شمال افريقيا وهي كنيسة "قرطاج"، كما يعتبر من الكتاب الأوائل في الديانة المسيحية من أبرز كتبه: الدفاع عن المسيحية"، "إلى الوثنيين" أنظر، حميدة نشنش، المرجع السابق، ص، ص، 159، 160.

** كبريانوس رجل ديني مسيحي برتبة أسقف لكنيسة قرطاج عاش في القرن الثالث الميلادي ولعب دور كبير في الفكر المسيحي بالنظر إلى الكتب الكثيرة التي خلفها والتي من أبرزها: "حياة كبريانوس"، "الشماس بونتيوس"،"الكنيسة الكاثوليكية الموحدة"، "إلى دوناتوس"، ، نفس المرجع، ص، ص، 223، 279.

(1) Francois Decret, le christianisme en Afrique du nord : les origines, www.clio.fr ,2002,p,01.

(2) فينفريد إلليغر، قرطاجة مدينة البونيين والرومان والمسيحيين، تر، عيد مرعي، د.ت، ص، 191.

(3) Francois Decret , loc cit

الآخر من المؤسسات القوية التي اخترقتها الديانة المسيحية سواء في شمال إفريقيا أو في المقاطعات الأخرى، مما يعني حسبنا أن وصول المسيحية إلى بلاد المغرب القديم سابق العهد لما هو متوفر من معلوماتنا في المصادر.[1] وأيضا يمكن اعتبار أن قضايا النزاع في الفكر المسيحي أو حتى مع الامبراطورية الرومانية البارزة كثيرا في شمال افريقيا يفترض منها وجود تاريخ أطول للمسيحية في المنطقة [2] ،ومع هذه الندرة العلمية حول الفترة السابقة لنهاية القرن الثاني الميلادي فإن هذا القرن وبالضبط سنة 180م يعتبر تاريخ أوثق يعطينا فكرة واضحة عن انتشار المسيحية في المغرب القديم ففي 18 من شهر تموز (جويلية) من نفس العام تم إعدام اثنا عشر رجلا وامرأة من سكيلي (Scilli)* في مقاطعة افريقيا التي كانت خاضعة لنائب قنصل Africa Proconsularis بسبب اعتناقهم الديانة المسيحية ورفضهم العودة عن اعتناقهم لها الأمر الذي أدى إلى اقامة باسيليكا Basilika فوق عظامهم تكريما لهم عرفت باسم موطن الشهداء.[3] ويذهب المتخصصون في تاريخ المسيحية بشمال افريقيا إلى أن نهاية القرن الثاني الميلادي نجد أن الديانة المسيحية انتشرت في كامل افريقيا البروقنصلية (تونس حاليا) وجزء كبير من نوميديا حتى أصبح أغلب ساكنة مدنها تدين بها، والدليل على ذلك أنه حوالي سبعين أسقف من المقاطعتين عقدوا لقاء مع أغريبونوس (Agrippinus) أسقف قرطاج .[4]

وفي نفس الفترة عقد اجتماع بالمقاطعة ضم تسعين أسقفا برعاية أسقف لامباز (Lambèse) برفاتوس (Privatus).[5] أما في منتصف القرن الثالث الميلادي نجد أن الديانة المسيحية انتشرت بشكل كبير وظاهر فالاجتماعات الكنسية وعدد الأساقفة يثبت ذلك ففي سنة 252م اجتمع في افريقيا ستة وستون أسقف وسنة 253م اجتمع واحد وأربعون أسقف وفي سنة 254م اجتمع ستة وثلاثون أسقف وسنة 255م اجتمع اثنا وثلاثون أسقف وفي سنة 256م اجتمع واحد وسبعين أسقف ومن خلال مراسلات كبريانوس فقط

(1) Tertullien, Apologétique, tra, J.P.Waltzing, 2 édit, Librairie Bloud et Gay,Paris, 1914,XXXVII,pp,4-6.

(2) فينفريد إليغر، المرجع السابق، ص، 192.

* مدينة سكيلي غير معروف موقعها بالضبط سوى أنها في مقاطعة افريقيا البروقنصلية، أما بالنسبة للرجال والنساء الذين تم اعدامهم فعددهم سبعة رجال وخمسة نساء ويبدو أن السلطة حاولت ردع كل من يعتنق المسيحية، انظر، عمران عبد المجيد، الديانة المسيحية في المغرب القديم–النشأة التطور–(180–430م)، أطروحة دكتوراة، جامعة قسنطينة، 2011، ص، 73.

(3) نفسه.

(4) Paul Monceaux, Histoire litéraire de l'Afrique Chéritienne depuis les origines jusqu'à l'invaision Arab, Ernest Leroux,Paris,1901, T2,p,3.

(5) Cherles Pietri, Un judéo Christianisme Latin et l' Afrique Chrétienne , Christiana respublica, Publications de l'École française de Rome,1997,p,538.

خلال منتصف القرن الثالث الميلادي يمكن تحديد مئة وثلاثون اسقفا في افريقيا مما يؤكد قوة ومدى انتشار المسيحية في بلاد المغرب القديم بل تعطينا دليل على أن سرعة انتشار الديانة وكثافتها يمكن تفسيره على دخولها الباكر إلى شمال افريقيا. (1)

ويبدو أن المجامع الكنسية الكثيرة التي عقدت بإفريقيا كان هدفها تأسيس مدرسة مسيحية بخصوصية افريقية تناقش وتجيب على فكر وعقيدة هذه الديانة الجديدة(2) .

وأهم المدن التي انتشرت بها المسيحية في السنوات الباكرة إذا ما اعتبرنا أن نهاية القرن الثاني الميلادي هو الفترة الزمنية لانتشارها حسب ما هو موجود من دلائل موثوقة نجد مدينة قرطاج في الدرجة الأولى وحضرموت وتليبت (Thélepte) * وفي نوميديا بمدينة تاغورة (Thagura) ومادور (Madaure) وحتى سيرتا وكويكول (Cuicul)، (جميلة) حاليا وحتى تبسة وتيمقاد و هيبون وروسيكادا وحتى طرابلس كانت تضم أربع كنائس أسقفية على الأقل وحتى في موريتانيا مما يعني أن الكنائس كانت لا تقل عددا مما هو موجود في مصر وفي الشرق(3).

بل إن بعض الدراسات تذهب إلى حد انتشار الديانة المسيحية في المناطق الجنوبية من المقاطعات الافريقية وذلك في وقت لاحق خلال القرن السادس الميلادي، حيث يلاحظ وجود كنائس في الواحات الصحراوية وبالخصوص في ضواحي مدينة فزان الليبية التي تعتبر من أهم مواطن قبيلة الغرامنت وهي بحسب الأب ميسناج (Mesnage) دلائل على توغل الديانة المسيحية في عمق الصحراء الكبرى(4)، كما أن مدينة بسكرة وضواحيها في الواحات الصحراوية التي تعرف باسم "منطقة الزاب" ذكرت وثائق أسقفية من القرن

(1) Cherles Pietri, loc cit

(2) Ibid

* تيلبت: مدينة قديمة تقع في تونس عرفت في العهد الروماني بأنها موطن لقبائل الموزولامي وكان بها طريق يبعد عن مدينة تبسة بحوالي 54 ميلا، أنظر: Salah Alouani, De Theveste à Thelepte : La voie romaine et le peuplement, Revue Aouras, N 6,2010,p,1.

(3) Cherles Pietri, op cit, p,539

(4) J.Mesnage , Le Chrestianisme en Afrique ,Alger,Librair-Editeur,1915,p,71

الخامس الميلادي بوجود أسقف لها وفي هذا الصدد يبدو أن انتشار المسيحية فيها كان بسبب قربها من منطقة الأوراس التي تعد معقل قوي لنفوذ هذه الديانة[1].

وبناء على هذا الانتشار يمكن القول أن المسيحية تجاوزت حدود الإمبراطورية الرومانية وكانت أكثر اختراقا منها، بل وانتشرت في مناطق كانت معروفة بمقاومتها للإمبراطورية الرومانية خصوصا في مناطق الجيتول والمور الممتدة إلى جبال الأوراس وهي بذلك تجاوزت خط الليمس الذي جعله الرومان حدا فاصلا لمدنيتهم، ويبين هذا الانتشار السريع الفارق بين المعتقدات الوثنية والمعتقدات المسيحية بالنسبة لبلاد المغرب القديم[2].

كما نلاحظ أن مدينة قرطاج كانت عاصمة المسيحية في المغرب القديم سواء من حيث بداية انتشارها الباكر أو عدد الكنائس أو عدد الأساقفة وعدد المجامع الكنسية لعدة أسباب منها أن قرطاج كانت أكبر محطة تجارية في شمال افريقيا مما ساعد على احتكاك التجار فيما بينهم حتى من الجانب الفكري لأن المعروف أن التجارة ليست عملية نقل بضائع فقط بل نقل الأفكار أيضا، فقد كانت المدينة محطة لالتقاء الديانات المصرية والسورية والاغريقية حتى قبل مجئ المسيحية واستمر الوضع كذلك بعد ظهور الديانة المسيحية فمن الطبيعي أن تكون قرطاج أول من تسمع بها خاصة وأنها قامت مع المشرق من خلال القوافل الآتية من القدس والاسكندرية وأنطاكيا[3]، اضافة إلى أن قرطاج كانت حاضرة فكرية كبيرة حيث جذبت إليها الكثير من العلماء والحرفيين والأطباء والكتاب والشعراء على رأسهم أبوليوس وكانت لا تقل أهمية من الناحية العلمية عن الاسكندرية وأنطاكيا وحتى روما عاصمة الامبراطورية وهو ما يعطيها أسبقية في وصول الأفكار والمعلومات من مختلف أنحاء العالم[4].

ومن الأسباب أيضا تأثر القرطاجيون بالأفكار الهلنستية من حيث اهتمامهم بالفلسفة الاغريقية فقد نادت الأفلاطونية الجديدة بوجود اله علوي يدير القسم السفلي من العالم. [5]

---

(1) Albertini Eugène, Inscription chrétienne des environs de Berrouaghia (Alger): Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 69e année, N 4, 1925, p,264

(2) Julien l'Apostat, Sapor, Genséric , Recueil de pièces authentiques sur les martyrs depuis les origines duchristianisme jusqu'au XXe siècle, trd, R. P. Dom H. Leclercq, Tome III , IV, 2.

(3) Paul Monceaux, op cit,p,5.

(4) ibid, Les Africains étude sur la littérature Latine d'Afrique, Lecène 3 Oudine, paris,1894 p,15.

(5) جمال مختار، تاريخ افريقيا العام، جين أفريك، اليونسكو، د.ت، ص، 509.

ويبدو أن انتشار المسيحية في افريقيا عرف تباطؤ في القرن الثالث الميلادي كما يظهر من خلال قوائم أساقفة المجامع الكنسية ففي العام 220م كان لدى سبعين مدينة أساقفها وبعد عشرين عاما أصبح العدد تسعين وفي عام 256م كان العدد سبعا وثمانين[1].

والواضح أن تباطؤ انتشار المسيحية في المغرب القديم خلال القرن الثالث الميلادي سببه الاضطهادات الممارسة ضدهم من قبل الامبراطورية الرومانية من جهة والوثنيون من جهة أخرى حيث كان مسيحيو افريقيا ضحايا لهذا العنف ومن ناحية أخرى يبدو أن ممارسة الاضطهاد العنيف يؤدي إلى اخفاء المعتقد عند نسبة معتبرة من المعتنقين لهذا الدين وبالتالي الارقام المسجلة لا تعطينا حقيقة الأمر[2].

(1) فينفريد إلليغر، المرجع السابق، ص، 193.

(2) Clémentine Gutron, L'archéologie en Tunisie (XIXe-XXe siècles): jeux l'Antiquité,Karthala, généalogiques sur-Paris,2006,p,171.

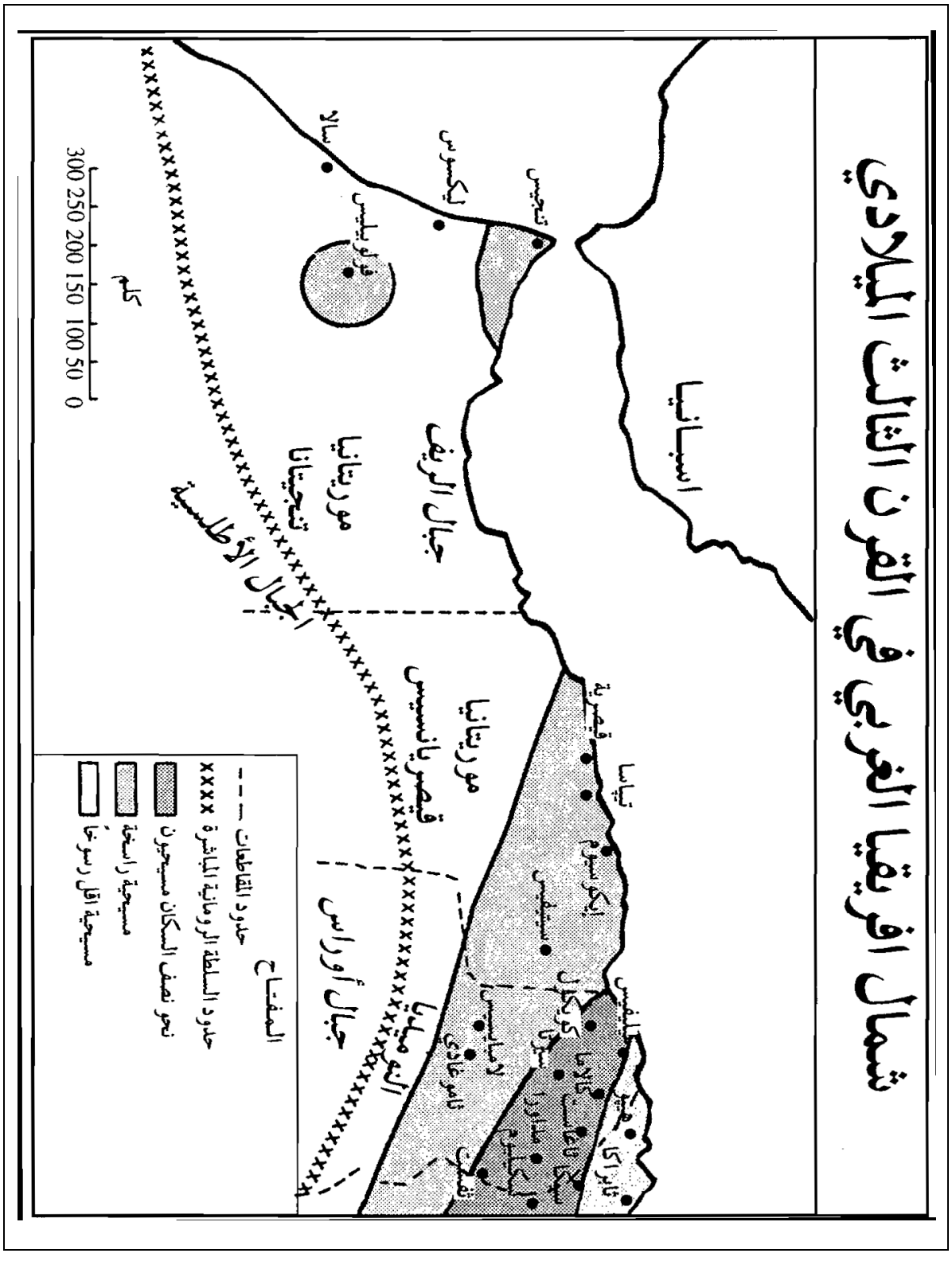

الشكل رقم 03: خريطة انتشار المسيحية في شمال افريقيا الغربي خلال القرن الثالث الميلادي

المصدر: روبين دانيال، المرجع السابق، ص، 7.

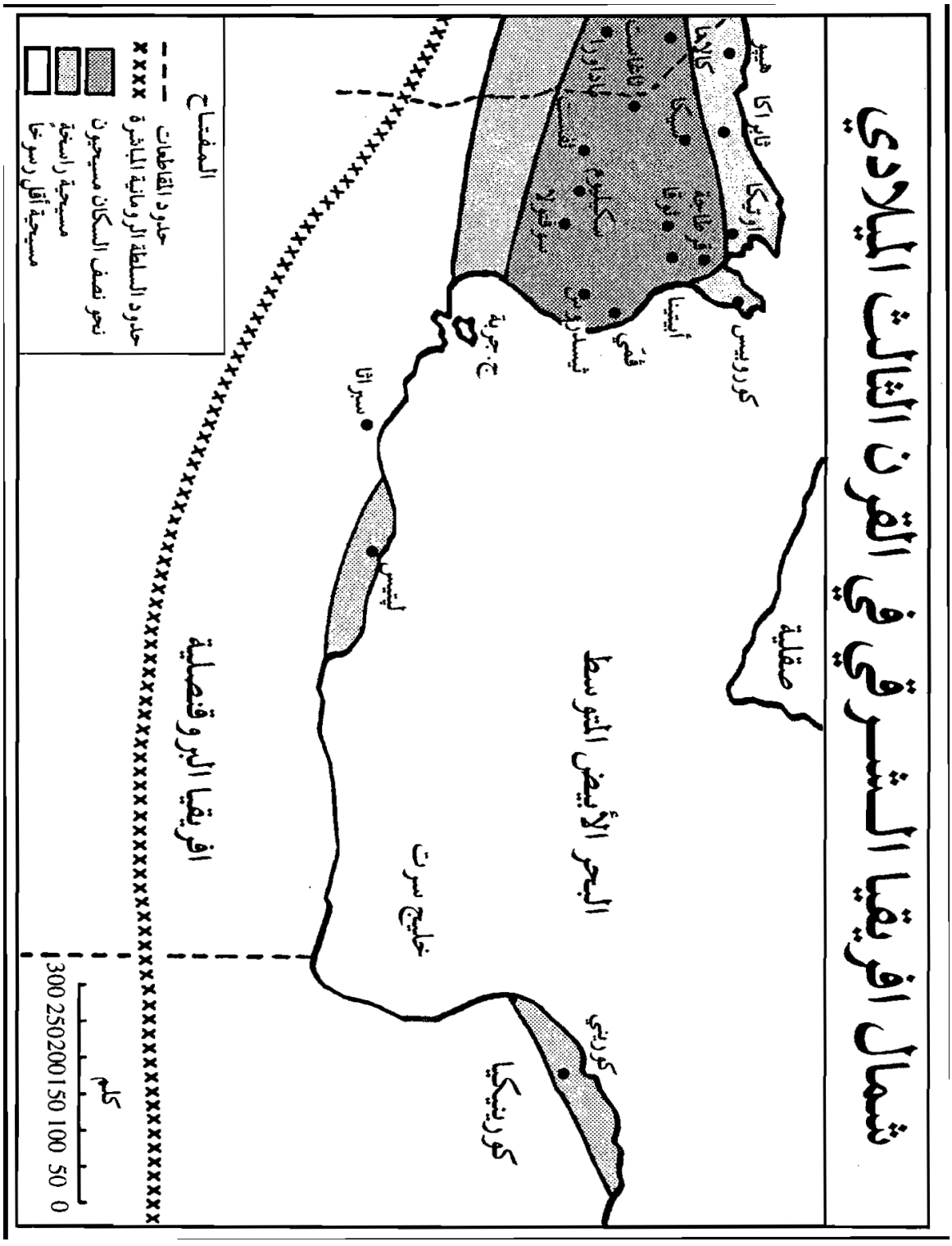

الشكل رقم 04: خريطة انتشار المسيحية في شمال افريقيا الشرقي خلال القرن الثالث الميلادي

المصدر: روبين دانيال، المرجع السابق، ص، 8.

أما خلال القرن الرابع الميلادي أصبح أكثر من نصف سكان افريقيا مسيحيون وحتى عدد الأسقفيات ارتفع فاذا كان يبلغ مائتين وخمسين سنة 300م ليبلغ ستمائة وخمسون في بداية القرن الخامس الميلادي.[1] ويعود الانتشار السريع للمسيحية في بداية القرن الرابع الميلادي إلى المرسوم الذي أصدره الامبراطور قسطنطين سنة 313م والذي وضع حد فوري للاضطهادات ضد المسيحيين في كامل الامبراطورية بما فيها شمال افريقيا ولم يعد المسيحيين يعقدون اجتماعاتهم بسرية كما كان في السابق بل منحهم المرسوم التجمع بحرية.[2]

وتبين هذه الصور بعض الكنائس التي بنيت في بلاد المغرب القديم خلال بداية انتشار الديانة المسيحية

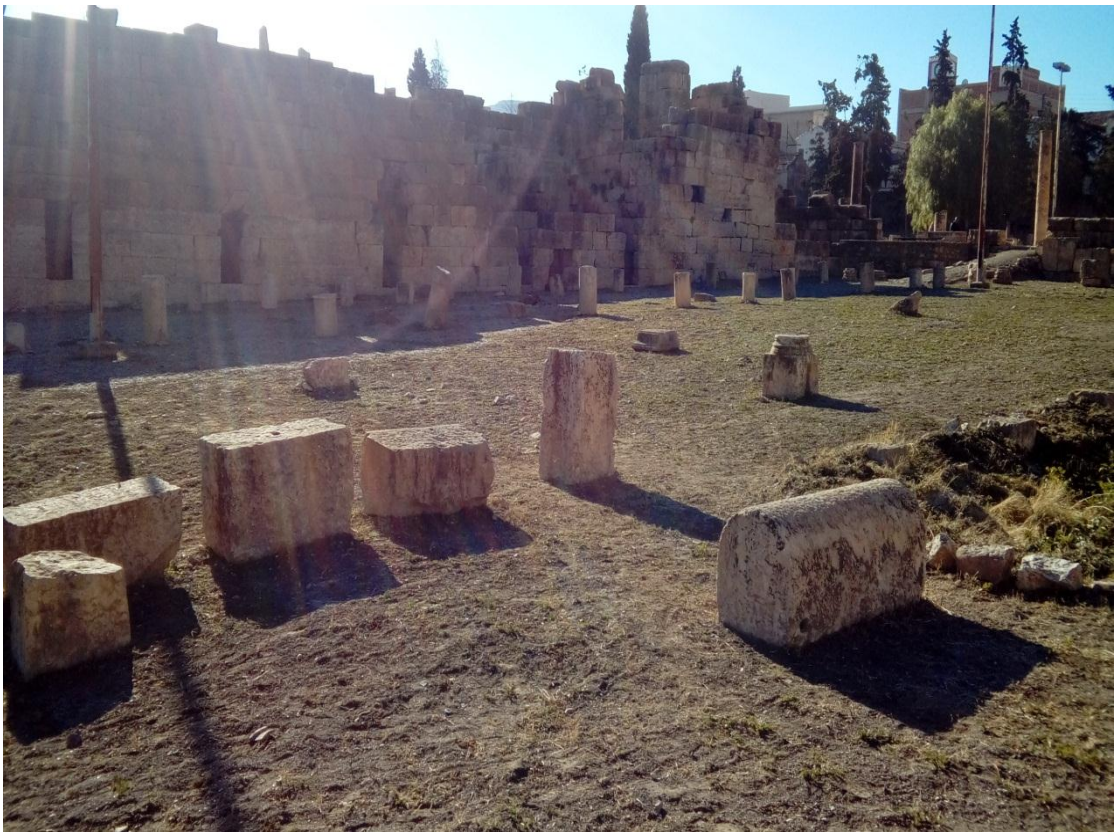

الشكل رقم 05: مظهر عام لكنيسة تبسة التي بنيت تكريما للقديسة كريسبين

المصدر: تصوير شخصي خلال زيارة الكنيسة 26-12-2017

[1] فينفريد إلليغر، المرجع السابق، ص، 193.

[2] Robin Daniel ,L'héritage chrétien en Afrique du Nord, Traduit de l'anglais par Julian Brown et Mireille Boissonnat, Editions Tamaris, 2008,p,177.

الشكل رقم 06: منظر عام لكنيسة الشهداء بحيدرة تونس

المصدر: http://journals.openedition.org/nda/1428

الشكل رقم 07: منظر عام لكنيسة سانت كبريان بقرطاج

المصدر:

http://fracademic.com/pictures/frwiki/67/Carthage_saint-cyprien_1950.jpg

وتمثل الأشكال التالية مجموعة من مخططات الكنائس في بلاد المغرب القديم

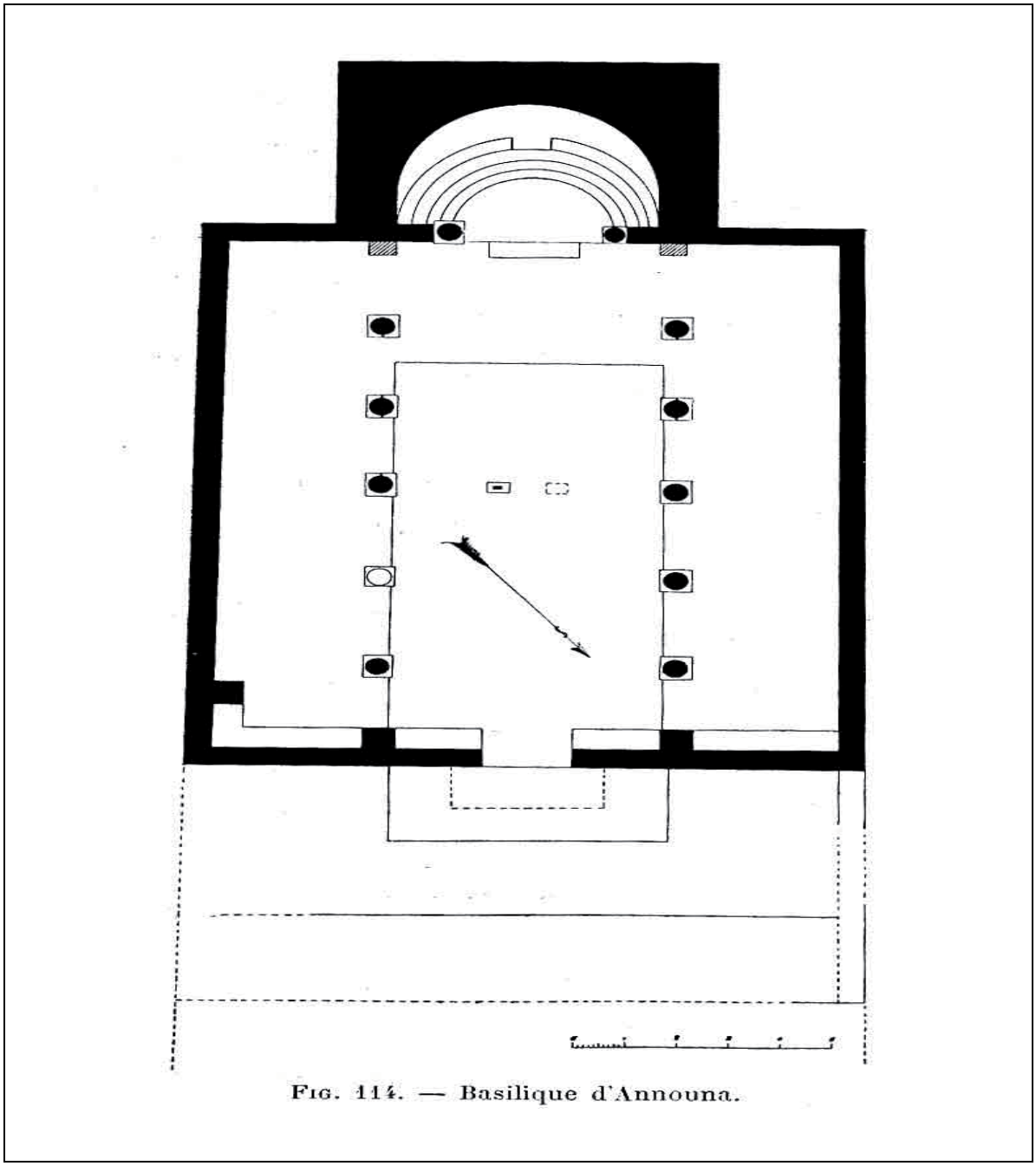

FIG. 114. — Basilique d'Announa.

الشكل رقم 08: مخطط كنيسة (Announa Thibilis) ضواحي قالمة (تقع في الجنوب الغربي للمدينة)

المصدر: Stéphane Gsell, Les monuments antique de l'Algérie, Paris, Ancienne librairie thorin et fils Albert fontemoing, T2,1901, p, 166

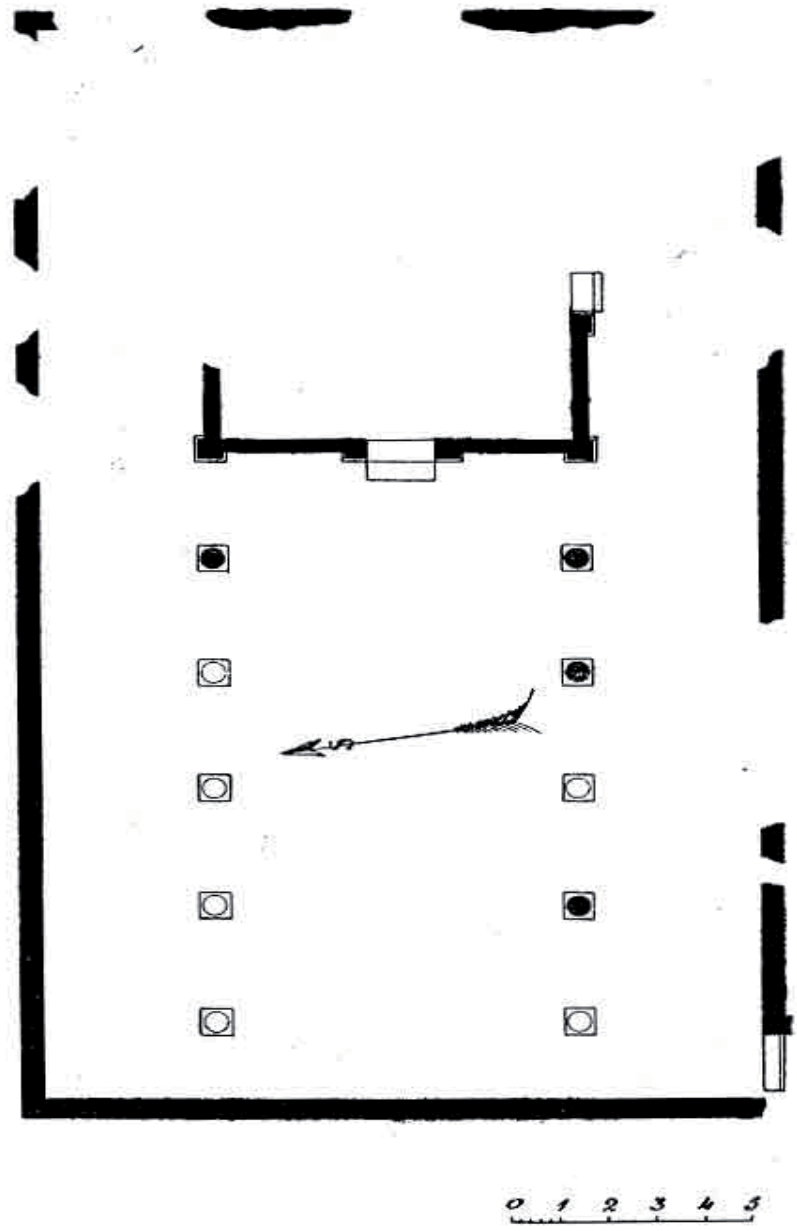

FIG. 121. — Basilique de Djemila.

الشكل رقم 09: مخطط لكنيسة جميلة (تقع في الجنوب الشرقي للمدينة)

المصدر: Stéphane Gsell, op cit, p, 195 .

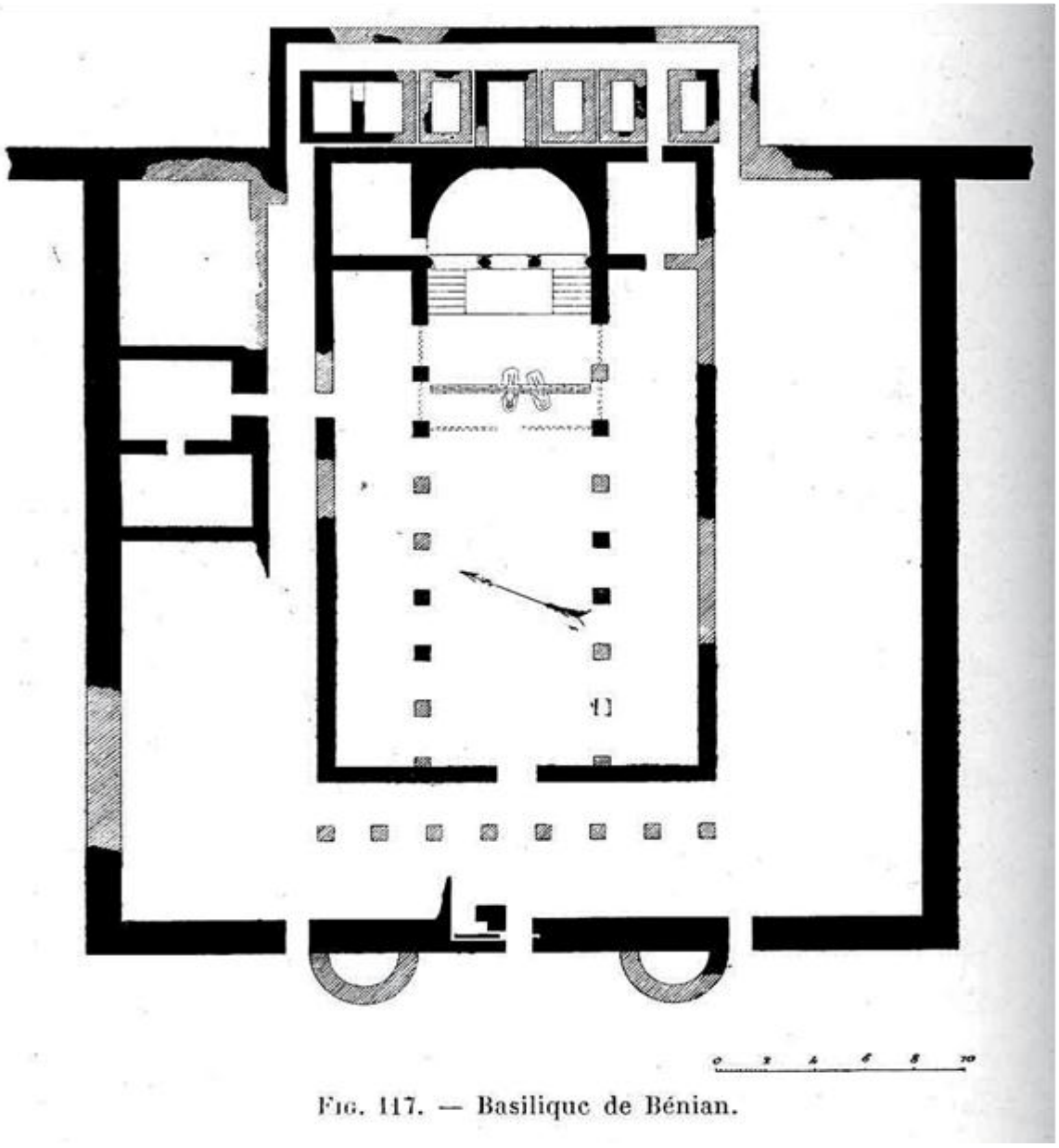

Fig. 117. — Basilique de Bénian.

الشكل رقم10: مخطط كنيسة البنيان (الا ملياريا Ala Miliaria ضواحي وهران) تقع في الجزء الشرقي للمدينة

المصدر: Stéphane Gsell, op cit, p, 176.

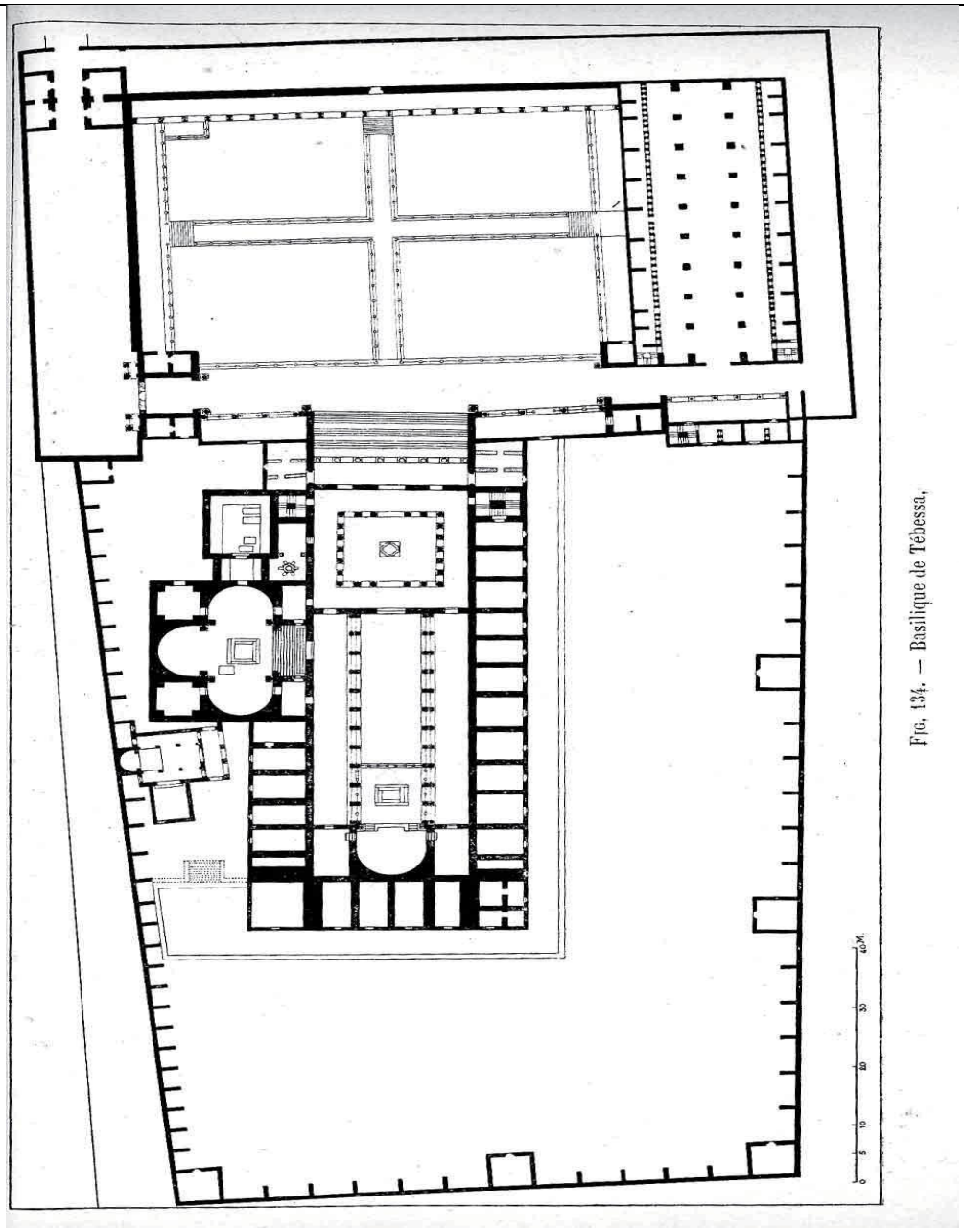

الشكل رقم 11: مخطط كنيسة تبسة

المصدر.Stéphane Gsell, op cit, p, 267

1-3- رموز الصليب (Le monogramme) في إفريقيا المسيحية

من الدلائل القوية على انتشار الديانة المسيحية بشكل واسع في إفريقيا وجود رموز كثيرة ومختلفة للصلبان بمختلف المناطق وبأشكال عديدة.

يشكل رمز الصليب (☧) الحرفين XP وهما الحرفان الأولان للكلمة الإغريقية (XPISTOS) χρήστος والتي تعني يسوع المسيح (christ) بمعنى " الرب المخلص" [1]، ونجد أحيانا إلى جانب هذا الرمز الحرفين الفا وأوميغا وهما الحرفان (الأول والأخير من الحروف اليونانية) وهي حروف تشير إلى المسيح عند المسيحيين.[2] وهذا الرمز لم تكن أصوله مسيحية فاختصار هذين الحرفين موجودين في الديانات الوثنية القديمة كالإغريقية والمصرية.[3] كما يبدو أنها من المعتقدات الوثنية التي أقرها قسطنطين فهذا الرمز في المعتقد المسيحي يسمى باسمه " الرمز القسطنطيني" [4]، وظهر استعماله حسب هنري اينيري مارو (Henri-Irénée Marrou) سنة 317 م على عملات الإمبراطور قسطنطين[5] وأصبح هذا الرمز يرافق أعماله الخاصة كاستخدامه في الانتصارات الحربية،[6] واستخدمه الجنود أيضا في سيوفهم ودروعهم وهو ما يبين تغير عقيدة الجيش مباشرة بعد التدابير التي أمر بها قسطنطين تجاه الديانة المسيحية ويبدو أن الكنيسة الرسمية دعمت هذا الاستخدام نظرا للمكاسب التي حققتها في عهد قسطنطين، علاوة على ذلك يبدو أن هناك عدد معتبر من الجنود اعتنقوا الديانة المسيحية فوجدوا الفرصة سانحة للتعبير عن عقيدتهم الجديدة .[7]

(1) Recueil des Notices et mémoires de la société archéologique du département de Constantine, Constantine, Imprimerie D. Braham, V 4, 1901, p, 110.

(2) Philip Schaff, History of the Christian Church, Volume II: Ante-Nicene Christianity. A.D. 100-325, Christian Classics Ethereal Library, 1882, p, 173.

(3) Elodie Matricon Thomas, recherches sur les cultes orientaux a Athenes, du Ve siecle avant J.-C. au IVe siecle apres J.-C, thése doctorat, universite Jean Monnet – Saint-Etienne, 2011, p, 105.

(4) Horace Marucchi, Éléments d'archéologie chrétienne, Paris, Desclée, Lefebvre, 2e édt, p, 166.

(5) Henri-Irénée Marrou, Autour du monogramme constantinien, Christiana tempora Publications de l'École française de Rome, Année 1978 , V 35, N 1, p,240.

(6) Tiphaine Moreau, Penser et construire une autorité chrétienne dans l'Empire romain Les associations empereur-croix' dans les textes des IVe et Ve siècles, Thèse doctorat, Université de Limoges, 2015, p, 148.

(7) Jules Zeller, Les empereurs Romains caractères et portraits historiques, Paris, 1863, p, 219.

أما في إفريقيا فرمز الصليب كان يستخدم سريا قبل اعتراف قسطنطين بالديانة المسيحية خوفا من الاضطهاد حتى بالنسبة للكثير من الجنود الذين رافقهم هذا الرمز لكن لم يظهر على نطاق واسع إلا بعد سماح الإمبراطور قسطنطين بحرية الديانة المسيحية.[1]

الشكل رقم 12: مونغرام بحرف واحد في عملة قسطنطين313 م

المصدر:.Tiphaine Moreau, op cit, p, 149

الشكل رقم13: مونغرام بحرف واحد في عملة تحمل طابع عسكري من عهد الإمبراطور قسطنطين

المصدر: http://www.cosmovisions.com/ConstantinGrand.htm

(1) Paul Allard, Histoire des persécutions pendant les deux premiers siècles, Paris, V. Lecoffre, 1903, p, 304.

الشكل رقم 14: مونغرام بحرف واحد على أحد تيجان أعمدة كنيسة تبسة

المصدر: تصوير شخصي يوم 26-12-2017 م

الشكل رقم 15: فسيفساء الفترة المسيحية بتبسة تحمل مونغرام بحرف واحد

المصدر: تصوير شخصي خلال زيارة متحف مينرف بتبسة 26-12-2017 م

الشكل رقم 16: فسيفساء مسيحية بسبيطلة مؤرخة نهاية القرن الرابع الميلادي

المصدر: المعهد الوطني للتراث بتونس

http://www.inp.rnrt.tn/index.php?option=com_content&view=article&id=45&Itemid=39&lang=fr

أما أبرز الأشكال التي عثرنا عليها لرمز الصليب والتي تحمل (XP) فهي:

الشكل رقم 17: فسيفساء الفترة المسيحية بتبسة بحرفين

المصدر: تصوير شخصي خلال زيارة متحف مينرف 26-12-2017م

الشكل رقم 18: فسيفساء جنائزية بالمقبرة المسيحية بسوسة تظهر رمز حرفي المونغرام

المصدر: المعهد الوطني للتراث بتونس :

http://www.inp.rnrt.tn/index.php?option=com_content&view=article&id=43&Itemid=39&lang=ar

وتمثل الصور التالية مختلف الأشكال الهندسية التي تجسد رموز الصليب في الفسيفساء المسيحية ببلاد المغرب القديم

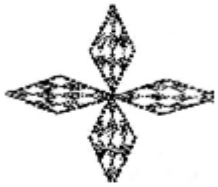 صليب من أربع معينات	صليب من أربع حصيفات
صليب من أربع مثلثات	صليب من خمس مربعات

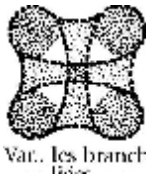 صليب بفروع متصلة	صليب بحرفين S
صليب بأربع أرجل	صليب من مغازل

الشكل رقم 19: مختلف أشكال رموز الصليب في الفسيفساء المسيحية ببلاد المغرب القديم

المصدر: فصولي حسينة، دراسة تحليلية إيكنوغرافية ورمزية و تقنية نماذج من الجزائر القديمة و تونس و روما، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 2 2012م، ص، 303.

الشكل رقم20: نصب تذكاري جنائزي بكنيسة تبسة يحمل رمز الصليب بحرفين

المصدر: تصوير شخصي من كنيسة تبسة 27-12-2017 م

الشكل رقم21: نقش رمز الصليب على الصخور بكاف رجم (ضواحي سدراتة) مؤرخة في القرن الرابع الميلادي

المصدر: Nacéra Benseddik, Au pays d'Augustin Nouvelles traces du christianisme antique, L'Africa romana XIX, Sassari, V 1, 2010, Roma 2012,p,1117.

وكانت رموز الصليب تستخدم في كل أشكال الحياة فحتى النوافذ كانت تصنع وبها المونغرام المسيحي تعبيرا عن تمسك سكان بلاد المغرب القديم بالديانة المسيحية.

الشكل رقم22: نافذة منحوتة على شكل رمز المسيح عثر عليها في تونس القرن الخامس الميلادي

المصدر: متحف الباردو، تونس، تاريخ الزيارة 02-12-2015م

وظهرت رموز الصليب على المصابيح الزيتية خصوصا الجنائزية منها كما تبينه الصور التالية:

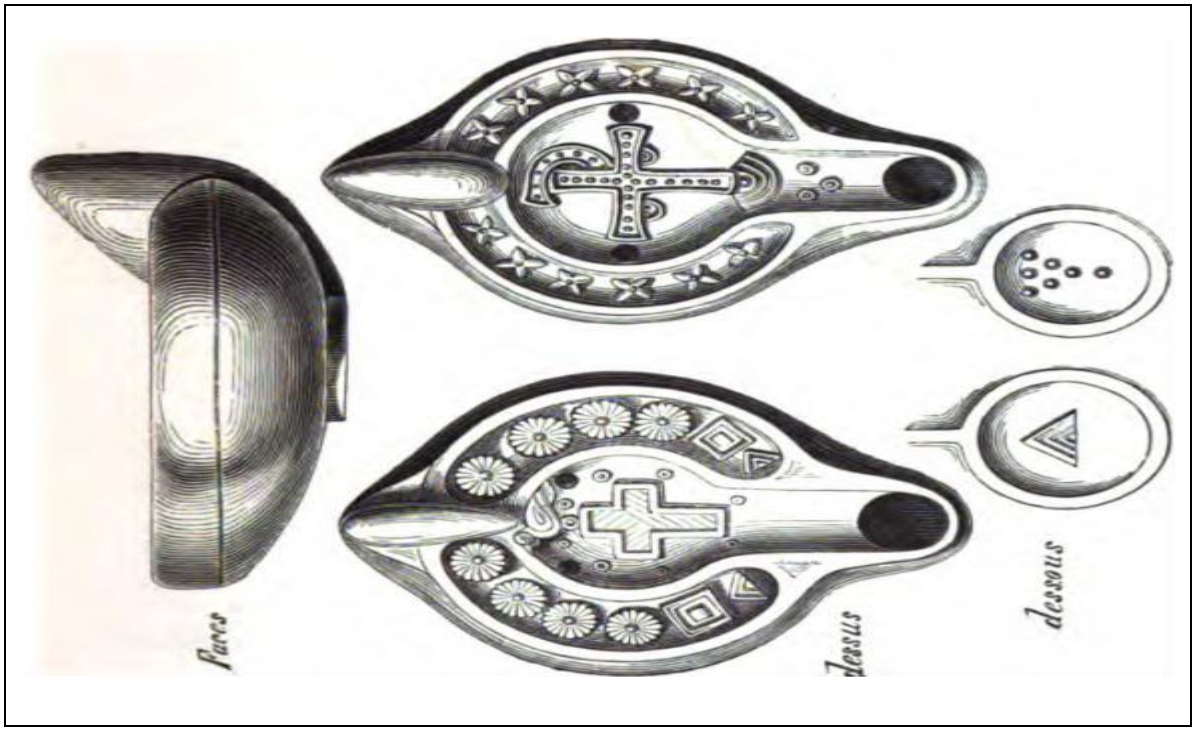

الشكل رقم23: مجموعة مصابيح جنائزية من قرطاج خلال الفترة المسيحية

المصدر : E .D Sainte –Marie, La tunisie Chrétienne , Lyon, bureaux des missions catholiques,1878,p .23

وقد لخص ستيفان غزال أشكال الصليب التي ظهرت ببلاد المغرب القديم على الشكل التالي:

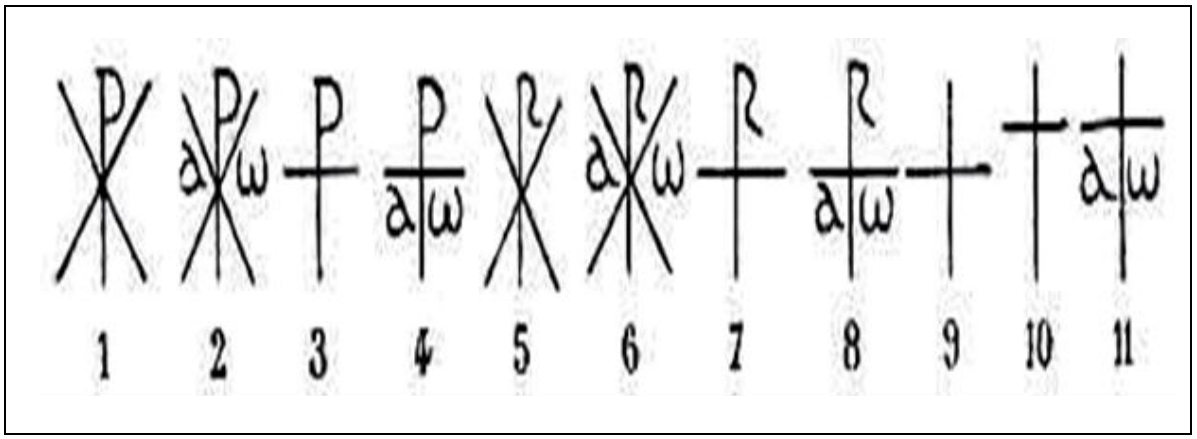

الشكل رقم 24: بعض رموز (monogramme) الصليب من نوميديا خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين

المصدر: Stéphane Gsell, op cit ,p,115.

2/ظروف وعوامل انتشار الديانة المسيحية في المغرب القديم

2-1-الظروف السياسية

تميزت الفترة التي ظهرت فيها الديانة المسيحية من الناحية السياسية بتغير النظام السياسي في روما ومستعمراتها من نظام جمهوري إلى نظام امبراطوري عام 44 ق.م حينما نصب يوليوس قيصر ديكتاتور يحكم كامل روما ومستعمراتها هذا الأخير الذي ينسب اليه وضع قواعد وأسس الفكر الامبراطوري المعروف بنفوذ المؤسسة العسكرية والحكم المطلق لقيادة الجيش بعد أن انتهى زمن المؤسسات الجمهورية التي لم تستطع مواكبة التطورات السياسية والعسكرية للرومان وواصل اوكتافيوس عملية تغيير النظام الجمهوري بالنظام الامبراطوري محافظا على تناسق بين الجمهورية والملكية من حيث المؤسسات من حيث اعطاء قوة للقيصر وباشراك الشعب عن طريق المجالس المنتخبة إلا أن أساس السلطة في هذا العصر كان نابع من قوة الجيش وما قام به من توسعات خارج حدود شبه جزيرة ايطاليا. (1)

ولكن في واقع الأمر فإنه في العهد الامبراطوري كانت جميع السلطات تخضع بشكل فعلي لرجل واحد وهو الامبراطور حتى أن مجلس الشيوخ منح لهذا الأخير لقب " Princeps senatus " سنة 28 ق.م وهو أعلى رتبة في الامبراطورية حتى من مجلس الشيوخ نفسه.(2)

هذا الأمر انتقل إلى جميع مستعمرات روما ونخص بالذكر المغرب القديم الذي أصبح خاضعا بصفة مباشرة للإدارة المركزية للإمبراطورية الرومانية المقسمة إلى عدة مقاطعات.(3) ففي سنة 46 ق.م أحدث يوليوس قيصر مقاطعة جديدة سميت "افريقيا الجديدة" (nova Africa) وتضم اقليم نوميديا مضافة إلى افريقيا القديمة(Africa vetus) التي سقطت قبلها بحوالي قرن من الزمن (4) ثم تبعها السيطرة على موريتانيا القيصرية بعد وفاة ملكها بطليموس سنة 40 م وهكذا بعد مرور قرنين من الزمن على انشاء أول مقاطعة في افريقيا أصبحت كامل أراضي المغرب القديم تابعة للإمبراطورية الرومانية .(5)

(1) Pascal Nicollier,L' empire Romain au temps d'Aguste, (du Ier siècle av. J.-C. au Ier siècle ap. J.-C.),Lausanne,1991,p,03.

(2) Ibid , p,10.

(3) Frédéric Hurlet, Introduction Gouverner l'empris de Rome sur l'Occident,. Presses universitaires de Rennes, 2009, p, 10.

(4) اصطيفان غزال، المرجع السابق، ج8، ص، 142.

(5) نفسه، ص، ص، 249، 250.

2-2- الظروف الاقتصادية

من الناحية الاقتصادية تميزت المرحلة التي انشرت فيها المسيحية بسيطرة الملاك الكبار من الطبقة الحاكمة وأعضاء مجلس الشيوخ وطبقة الفرسان على الضيعات الكبرى واحتكروا مصادر الثروة الطبيعية في روما وولايتها من مناجم وغابات ومصايد أسماك واستولوا على مشاريع البنوك والفلاحة والصناعة والتجارة لصالحهم، واعطوا لأنفسهم حق جمع الضرائب من الولايات .[1] وقد أدى هذا الاحتكار الطبقي للمنظومة الاقتصادية في روما إلى معاناة الطبقات الأخرى فتذمر سكان روما ومقاطعاتها من هذا الوضع المتردي وهو الوضع الذي أرغم الادارة الامبراطورية على محاولة خلق التهدئة والهاء الجماهير عن الأزمة الاقتصادية ووجدت أن التركيز على توجيه الشعب نحو حلبات المسرح ومهرجانات اللهو والتسلية هو الحل لنسيان الأزمات، حيث لا نستغرب تطور الفنون المسرحية وانتشارها في كامل الولايات خلال هذه الفترة وربط ذلك بمحاولة الامبراطورية الرومانية ايجاد حل لتهدئة مواطنيها جراء تفاقم الأوضاع العامة.[2]

والوضع في شمال افريقيا من الناحية الاقتصادية كان أسوأ من ناحية الاستغلال الاقتصادي الروماني فبالإضافة الى التشخيص العام المذكور سابقا والذي يخص جميع المقاطعات، فإنه في هذه المقاطعة كانت رغبة الرومان في السيطرة على الأراضي واستغلالها أكثر ملحة وأكثر توسعا بسبب خصوبة أراضيها وتوفر الجو الملائم لزراعة مختلف المنتوجات خصوصا الرئيسية منها مثل الحبوب والزيتون والكروم، وامتد استغلال الرومان للأراضي حتى المراعي فقد تحولت الكثير منها إلى استصلاحات زراعية ووجد الكثير من السكان الأصليين أصحاب الأراضي أنفسهم يعملون كأجراء في ممتلكات كانت في السابق ملك لهم، والبعض منهم انتقل إلى أراضي بعيدة أو مرتفعات داخلية أقل خصوبة حدث ذلك بسرعة بالنظر إلى التهافت الكبير لإدارة الاحتلال الروماني في التوسع الزراعي.[3]

وفي عهد الأباطرة الأوائل قيصر وأوغسطس وتبريوس تأكدت نوايا الادارة الامبراطورية في التوسع الزراعي فقد أمروا الجنود بالسيطرة على مزيد من الأراضي في نوميديا وولاية طرابلس فهي أراضي منتجة لمختلف المحاصيل ونظروا إليها على أساس خلق ثروة كبيرة من خلال استصلاحها وتحديد ملكياتها نهاية باستغلالها وبيع محاصيلها أو تحويلها إلى روما عن طريق الموانئ .[4]

---

[1] مصطفى العبادي، الامبراطورية الرومانية، النظام الامبراطوري ومصر الرومانية، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1999، ص، 90.

[2] روبين دانيال، المرجع السابق، ص، 21.

[3] نفسه، ص، 29.

[4] خنيش عبد الفتاح، التوسع الزراعي في افريقيا القديمة خلال الفترة الرومانية، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة 2، 2013، ص، 61.

واستمر تدعيم التوسع الزراعي في مقاطعة افريقيا بسلسلة من التنظيمات المتعلقة بالجانب الزراعي مثل عملية مسح الاراضي الزراعية وتقسيمها واصدار قوانين خاصة بها تمهيدا لاستغلالها وحسم امرها لصالح الادارة الامبراطورية.[1]

ولكن تطور الوضع الاقتصادي وانتشاره في مقاطعة افريقيا كان في صالح طبقة قليلة من الأثرياء وقد كانت الضياع الواسعة الخاصة بهم السمة المميزة لإفريقيا في العصر الروماني، حتى أن المؤرخ اللاتيني بلين القديم المتخصص في تاريخ الزراعة كتب عن وجود ملكيات واسعة في افريقيا حيث أن ستة من كبار الملاكين امتلكوا نصف مساحة افريقيا المخصصة للزراعة، رغم طابع المبالغة التي تكتسي هذه المعلومة إلا أن وجودها في كتاب التاريخ الطبيعي يعطي دليل على شهرة الضيعات الكبرى التي تحكم فيها كبار الملاك وأن جزء كبير من الأفارقة كانوا يعملون فيها كأجراء بعد أن كانت في السابق جزء من ممتلكاتهم .[2]

وهكذا نجد أنه في الفترة التي سبقت ظهور المسيحية في شمال افريقيا كانت المنطقة تعاني من الظلم الاقتصادي نتيجة التوسع الزراعي الروماني الكبير وانتزاع الأراضي من ملاكها الأصليين وتحويلها باسم الشعب الروماني وطرد السكان المحليين نحو المناطق القاحلة أو استغلالهم للعمل في الضيعات الخاصة، ولم تسعى الادارة الامبراطورية لتطبيق العدل في مقاطعاتها وهذا ما يسبب تذمر سكان المقاطعات وقابليتهم للتحالف مع أي حركة جديدة تخلصهم من هذا الظلم وقد وجدوا في مبادئ الديانة المسيحية خلاصا لذلك.

2-3- الظروف الإجتماعية

من الناحية الاجتماعية ظهرت المسيحية بعد نهاية الحروب الأهلية والتي كان لها انعكاس اجتماعي على روما ومقاطعاتها فقد خلفت آثار مادية ونفسية على شرائح واسعة من الطبقات بما فيها طبقة الأغنياء فالكثير من الممتلكات سلبت منهم وبيعت لاستخدامها في تمويل الحرب.[3]

---

[1] خنيش عبد الفتاح، المرجع السابق، ص، 62.

[2] Pline l'Ancien, Histoire naturelle, Paris, Dubochet,1848-1850,liv, XVIII ,6,3.

[3] م.روستوفتزف، تاريخ الامبراطورية الرومانية الاقتصادي والاجتماعي، ج1، تر، زكي علي، محمد سليم سالم، القاهرة، مكتبة النهضة العربية، ص، 58

ولم تسلم الولايات الافريقية من المعاناة هي الاخرى لأن انعكاسات الحروب الأهلية مستها من جميع الجوانب رغم أنها جرت بعيدة عنها فسكانها تعرضوا لعمليات استيلاء على أراضيهم من قبل المهاجرين الايطاليين الذين هجروا شبه الجزيرة الايطالية هروبا من ضغطها ووجدوا في افريقيا فرص لا تعوض من ناحية توفر الأراضي الخصبة والمنتوج الوفير وكان ذلك على حساب السكان الأصليين .[1] أيضا كان العبيد يشكلون أكبر طبقة في الامبراطورية الرومانية ويبدو أن جزء كبير منهم كانوا ينتمون إلى المقاطعات خاصة افريقيا المقاطعة التي حظيت بعناية كبيرة في العهد الامبراطوري لمساهمتها العامة في الحياة الرومانية، وهنا يتم الاشارة إلى تذمر الأفارقة من الامبراطورية التي حولتهم إلى عبيد داخل وخارج افريقيا،[2] وقد كان التمييز الاجتماعي الطبقي في روما ومقاطعاتها أمرا شائعا والهوة بين الطبقات واسعة بالاعتماد على المعيار المادي ومقدار الثروة أدى إلى معاناة الطبقات العامة.[3] وفي السنوات الأولى لانتشار الديانة المسيحية ببلاد المغرب القديم كانت الطبقة العامة وطبقة العبيد تدخل بقوة لها وهذا يؤكد مدى معاناة هذه الطبقات وأنها وجدت في الديانة المسيحية مبادئ العدالة والمساواة، وقد اعتادت الديانات الجديدة على أن يكون أتباعها في بداية الأمر من الطبقات الفقيرة وقد استمر هذا الأمر في الديانة المسيحية حتى نهاية القرن الأول الميلادي.[4]

2-4-الظروف الدينية

أما الوضع من الناحية الدينية فقد عرفت الفترة التي سبقت ظهور الديانة المسيحية بانتشار الديانة الوثنية فقد ساد في الامبراطورية الرومانية ظاهرة تقديس الأباطرة، فقد ترسخ في أذهان سكان الامبراطورية الرومانية أن الامبراطور يحكم بفضل الرعاية الالهية وأنه قراراته وأفعاله مرتبطة بالآلهة وهو محمي بفضلها وهو أحسن انسان على وجه الأرض.[5]

بل أصبح الاعتقاد سائدا منذ عهد أوغسطس أن الامبراطور فوق البشر وأنها شبه الاه وأصبح تقليد الديانة في روما ومقاطعاتها من الناحية الدينية مرتبط بعبادة الامبراطور مع غيره من عائلات الآلهة الوثنية، [6]

---

(1) م.روستوفتزف، المرجع السابق، ص، 65.

(2) Pascal Nicollier, op cit ,p,16.

(3) م.روستوفتزف ، المرجع السابق، ص، 84.

(4) ابرهارد أرلوند، المسيحيون الأوائل، القاهرة، المنار، ط1، 2000، ص، 26.

(5) Anne-Marie ,Hazard –Tourilon, De culte impérial au Christianisme, religion de.1 IVe siècle, Paris, IESR,2005,p,03. l'Etat Ier sièc

(6) Ibid, p, 04.

وفرضت عبادة الامبراطور كما فرض الحضور للاحتفالات السنوية التي تقام في معابد الامبراطورية الرومانية تقليدا لذكرى وفاة الأباطرة وحتى تقديم التضحيات لهم تحول إلى أمر مسلم به خلال تلك الاحتفالات، وقد حارب القديسين الأوائل للديانة المسيحية ظاهرة عبادة الامبراطور بعد أن ترسخت في أذهان شكان الامبراطورية الرومانية ففي الحوار الذي دار بين بروقنصل مدينة قرطاج باتورنوس (Paternus) والقديس كبريانوس (Cyprien) حينما اتهم البروقنصل القديس كبريانوس بعدم اتباع ديانة روما في عبادة الامبراطور فرد عليه كبريانوس بأنه مسيحي لا يعرف آلهة أخرى من غير الله الأوحد الذي خلق الأرض والسماء والماء. [1]

إن هذه الظروف تشير بوضوح إلى العوامل التي أدت بسكان المغرب القديم بالانتقال من عبادة الإمبراطور وديانة الإمبراطورية الوثنية إلى عبادة الاله الأوحد الذي نادت به الديانة المسيحية وهو يشير أيضا إلى وجود خلل من حيث العلاقة والتواصل بين الامبراطورية الرومانية وسكانها فالشعور بانعدام العدل والمساواة والفساد وفرض ديانة وثنية لم تقنع أتباعها أمام المبادئ المسيحية وكلها عوامل تداخلت لتحقق المسيحية انتشارا كبيرا في المغرب القديم.[2]

3-الجيش الروماني في إفريقيا والديانة المسيحية

كان الجيش من المؤسسات القوية في الإمبراطورية الرومانية ونظرا لأن بعض من تقاليد الجيش كانت بها بعض العادات الوثنية كالاحتفال بمناسبة عيد الإمبراطور هذا الأخير كان معبودا وأقيمت له طقوس خاصة تتعارض مع الديانة المسيحية فيبدو أنها تحرج الجنود الذين اعتنقوا هذه الديانة.[3]

هؤلاء الجنود خدموا في فرق مهمة وازداد عددهم مع بداية القرن الثالث الميلادي ويشير ترتيليان إلى وجودهم ويتحدث عن إمكانية مضاعفة أعدادهم وهو كلام واقعي يتماشى مع زيادة عدد المسيحيين في إفريقيا،[4] وعلى سبيل المثال فإن فيلق لامباز في إفريقيا ضم الكثير من الجنود الذين اعتنقوا الديانة المسيحية وهو ما طرح لدى ترتيليان إشكالية شرعية خدمتهم في الجيش.[5]

---

(1) Slah Selmi ,Culte impérial et persécution romaine : le cas de l'Afrique,Synergies *Tunisie,* n° 1,2009,p,213.

(2) ibid, p, 217.

(3) ibid, p, 214.

(4) حميدة نشنش، المرجع السابق، ص، 179.

(5) Yann le Bohec, Tertullien, De corona, Carthage ou Lámbese ?, Revue des Études Augustiniennes, 38 (1992), p, 10.

ومن خلال تحليل وجهة نظر ترتيليان في قضية انضمام المسيحيين للجيش الروماني نجد أنه رفض ذلك على أساس أن نظام الجيش يتعارض مع تعاليم المسيحية، ففي رأيه لا يمكن للشخص أن يكون له سيدين في نفس المستوى من الناحية العقائدية " المسيح والدولة"، مشيرا هنا إلى ظاهرة تقديس الإمبراطور في الجيش الروماني،[1] لأن هذا الأخير كان يجبر على كل جنوده المشاركة في تلك الاحتفالات وأي رفض يعتبرا تمردا وخيانة،[2] ولهذا السبب وقف الجيش الروماني موقفا صارما من أولئك الذين يرفضون الخدمة في صفوفه أو من الجنود الذين يرفضون تحية قادتهم أو ممن يغيبون عن الاحتفالات الرسمية وهذا بعقوبات تصل إلى الإعدام.[3]

وحتى الذين يبقوا أحياء فإن الفصل من الوظيفة العسكرية وخسارة المرتب أمرا واردا[4] وهو ما يعني فقدان ثمرة جهد وعمل كبيرين وقد يؤدي إلى معاناتهم ومعاناة عائلتهم وهم الذين كانوا يأملون بالحصول على راتب يعيلهم أثناء الخدمة أو بعد التقاعد، ولهذا السبب بعضهم رضخ لتعاليم قادته خوفا من الموت أو خسارة الامتيازات التي يمنحها الجيش.[5] ويؤكد يوسابيوس القيصري وهو معاصر لتلك الأحداث اضطهادات المسيحيين التي بدأت بالجيش حيث يبدو أن التركيز على الجيش بالدرجة الأولى نابع من كونه المؤسسة القوية في الإمبراطورية الرومانية.[6]

كما يبدو أن الاضطهادات التي قام بها الجيش ضد المسيحيين باعتبارهم أعداء للإمبراطورية سبب أخر لرفض ترتيليان المشاركة فيه لأن ذلك يؤذي المسيحيين، فيمكن أن يشارك جندي مسيحي في قتل إخوانه المسيحيين وهذا الأمر غير أخلاقي في الديانة المسيحية.[7]

وإذا كان البعض من المجندين رضخوا لتعليمات قادتهم رغم ايمانهم بالديانة المسيحية فإن كثير منهم تحمسوا لهذه الديانة اختاروا أن يضحوا بامتيازاتهم وحتى بحياتهم على أن يؤدوا الطقوس الوثنية، مما دفع بقادة

(1) Yann le Bohec, op cit, p, 10.
(2) Slah Selmi, opcit, p, 214.
(3) Paul Allard, op cit, p, 11.
(4) Christian Panaget, Les révoltes militaires dans l'empire romain de 193 à 324, Thèse de Doctorat, université Rennes 2, 2014, p, 225.
(5) حميدة نشنش، المرجع السابق، ص، 181.
(6) يوسابيوس القيصري، المصدر السابق، ص، 397.
(7) حميدة نشنش، المرجع السابق، ص، 180.

الجيش إلى عزل الجنود المسيحين في جماعات وتخييرهم ما بين الانصياع للأوامر أو الفصل من الجيش.[1] ومن هؤلاء الذين تعرضوا للإعدام في الجيش الروماني بإفريقيا نجد:

1-القديس ماكسيميلان (saint Maximilien)

ولد بمدينة تيفاست خلال القرن الثالث الميلادي وكان يعمل كجندي في صفوف الجيش الروماني بإفريقيا، اقتنع ماكسيميلان بالديانة المسيحية رغم الأوامر الصارمة والانضباطية المعروفة بالجيش، وأمام إصراره على عدم التراجع عن ديانته خضع لمحاكمة يوم 12 مارس 295 م من قبل بروقنصل إفريقيا ديون (Dion) وأصدر حكم بإعدامه وهو في سن العشرين بتهمة رفض أداء القسم الخاص بالجيش الروماني، ويبدو أن ماكسيميلان واحد من الكثيرين الذين أعدموا في الجيش الروماني نتيجة لعقيدتهم خصوصا أن تعاليم الديانة المسيحية تتعارض مع عقيدة تقديس الأباطرة المعمول بها في الجيش.[2]

2-القديس مارسال

ونذكر منهم كذلك القديس مارسال (Saint Mercel) من طنجة الذي رفض أن يكون جندي روماني ويعلن ولائه لعبادة الامبراطور قائلا: "أنا جندي مسيحي" وتعرض هو الآخر للقتل سنة 295م وسط اتهامات الادارة الامبراطورية للمسيحيين بمحاولة خلق جيش مسيحي داخل الجيش الروماني في الوقت الذي كانت فيه الامبراطورية في أمس الحاجة لمزيد من الجنود لمواجهة خطر البرابرة الجرمان.[3]

وفي هذا الوقت أيضا أصبحت المدن المحسوبة على الجيش مخترقة من قبل المسيحيين كمدينة لامباز التي تعتبر أكبر قاعدة عسكرية في شمال افريقيا بفعل تمركز الفرقة الأغسطية الثالثة التي انتقلت إليها من مدينة تيفاست، تشير المعطيات إلى أن لامباز في نهاية القرن الثاني الميلادي تشكلت بها فئات مسيحية معتبرة يمكن أن تكون دليل على اعتناق أفراد الجيش وعائلتهم لهذه الديانة الجديدة.[4]

---

(1) يوسابيوس القيصري، المصدر السابق، ص، 401.

(2) Slah Selmi, opcit, p, 214 .

(3) Ibid, p,216.

(4) Cherles Pietri,op cit,p,537 .

3- تاباسوس (Tapasus)

هو الآخر كان جندي في ضواحي موريتانيا القيصرية أعلن ولائه للديانة المسيحية سنة 298م وأمام أعين الامبراطور ماكسيميان الذي كان في مهمة تشجيع جنوده قبل أن يصرخ تابسوس في وجهه برفض عبادة الأباطرة مما يدل على الموقف السلبي للمسيحيين ضد الادارة الامبريالية. [1]

4- فابيوس (Fabius)

من أقدم شهداء مقاطعة موريتانيا القيصرية وهو من قدماء المحاربين في الجيش الروماني الذين أعلنوا انضمامهم للديانة المسيحية سنة 304م ،[2] تم سجنه بتهمة العصيان لأنه رفض تقديم ولاء الطاعة لحاكم وأعضاء المقاطعة خلال أحد الاحتفالات ثم نفذ فيه حكم الإعدام وترك جثته لمدة ثلاثة أيام دون دفن لترمى في البحر بعدها، وطريقة الموت هذه تدل على عدم تسامح الجيش الروماني بإهانة قادته وأمام مرأى حاكم المقاطعة.[3]

5-القديس غورديوس: (Saint Gordius)

عاش خلال القرن الثاني الميلادي كان قائدا للجيش بموريتانيا القيصرية فاعتنق المسيحية وترك خدمة الجيش مما أدى إلى إعدامه رغم الامتيازات التي كان يمنحها الجيش الروماني لأفراده.[4]

هذا جزء من التمردات التي انعكست على الجيش الروماني بعد اعتناق جنوده الديانة المسيحية لكن الإعدام داخل الجيش كان قليلا حسب يوسابيوس القيصري، خصوصا في الفيالق التي يكثر بها عدد المعتنقين للمسيحية فليس بإمكان القائد إعدام الجميع وخسارة كل أفراده أمام الانتشار الكبير للمسيحية [5]، لكن رغم كل هذه الإجراءات إلا أن ما حدث يعتبر اضطرابا واضحا في الجيش الروماني أدى إلى ضعفه نتيجة تردد

(1) Slah Selmi, op cit,p,p, 216,217.
(2) Ibid, p, 217.
(3) عبد الحميد عمران، الديانة المسيحية...، المرجع السابق، ص، 177.
(4) Slah Selmi, opcit, p, 216.
(5) يوسابيوس القيصري، المصدر السابق، ص، 401.

الكثير من أفراده ما بين الانصياع لأوامر القادة الوثنيين أو رفضها، يبدو أنه كذلك أربك أقوى مؤسسة في العهد الإمبراطوري.[1]

4-الوثنيون وموقفهم من الديانة المسيحية

يبدو أن انتشار الديانة المسيحية أفرز وضع جديد على المستويات السياسية والاجتماعية والقانونية والثقافية، فخلق مجتمع جديد وثقافة غريبة على الوسط الوثني مما يؤدي إلى كثير من الاحتكاكات اليومية خصوصا وأن تجذر المجتمع الوثني كان قديم ويصعب تغييره في أسرع وقت.[2]

كما فاجأ الوثنيين التوسع السريع للديانة المسيحية بشكل لم يستطيعوا فهم متغيرات الدين الجديد وربما بتحريض من اليهود أعلنوا عداوتهم للمسيحية، [3] وأيضا بتحريض من بعض كهنة المعابد الذين لهم خلفيات سياسية وبهذا التحريض شن الوثنيين حربا قاسية ضد المسيحيين بعيدا عن القانون وعن الدولة ،[4] ويبدو أن الدولة تحالفت مع الوثنيين ولم تمنع أفعالهم الغير قانونية ضد أتباع المسيحية لأنه يفترض في الدول التي تحترم القانون أن الدولة هي من تطبق القانون.[5] وقد كان اضطهاد المتنصرين كان يتم من طرف الوثنيين قبل أن يكون من طرف السلطة ويبدو أن هذه الأخير لم تكن مشغولة بحماية القانون وحماية حق الدولة في تطبيقه بقدر ما هي مشغولة باستئصال الخطر المسيحي بأي طريقة كانت وهكذا وجد المسيحيين أنفسهم أمام أعداد كبيرة من الأعداء فالوثنيين من جهة واليهود من جهة أخرى والدولة الرومانية من جهة ثالثة وكل هذه الأطراف كانت متجذرة في المجتمع والدولة الرومانيتين وبالتالي كانوا الحلقة الأضعف في هذا الصراع.[6]

---

(1) حميدة نشنش، المرجع السابق، ص، 181.

(2) Fabien Davier, Les écrits Catholiques de Tertullien, formes et normes, Thèse Doctorat, Université de Franche-comté, V 1, 2009, p, 280.

(3) حميدة نشنش، المرجع السابق، ، ص، 101.

(4) Auguste Audollent, Carthage Romaine, 146 avant Jésus-698 après Jésus-Christ, Thèse Doctorat, Paris, faculté des lettres, Albert Fontemoing, 1904, p, 304.

(5) عبد المجيد عمران، الحركة الدوناتية...، المرجع السابق، ص، 61.

(6) حميدة نشنش، المرجع السابق، ص، 104.

ومن مظاهر هذه الحرب تشويه صورة المسيحيين واعتبارهم المسؤولين عن الكوارث التي لحقت بالإمبراطورية الرومانية السياسية منها كغزوات القبائل الجرمانية والاجتماعية منها كالمجاعة وحتى الأمراض كالطاعون سببه هو الديانة المسيحية.[1]

كما اتخذت هذه الحرب شكل التعدي على المسيحيين بالشتم والرمي بالحجارة والمطالبة بإعدامهم سواء بالقتل أو بالزج بهم إلى الحيوانات المتوحشة والتسلي بهم، وحتى الأموات منهم دنست قبورهم وقطعت رؤوسهم ورميت في الطرقات،[2] ويعتبر القبض على المسيحيين والقاءهم في النار من أبشع الوسائل التي استخدمها الوثنيين لقتل خصومهم،[3] ونجحت هذه الاضطهادات في ارتداد بعض المسيحيين عن ديانتهم بفعل الضغط وعند رجوعهم من جديد أثير الجدل حول إعادة تعميدهم أو يعودوا مباشرة دون تعميد مدام قد عمدوا في أول مرة واستدعى ذلك عقد مجمعين بقرطاج عام 215 م وعام 217 م بحضور أساقفة من نوميديا لدراسة هذه القضية .[4] ورغم هذه الاضطهادات إلا أن الديانة المسيحية استمرت في الانتشار بفضل اقتناع معتنقيها وحملة التضامن التي عرفت بين المسيحيين أنذاك.[5]

كما تميزت الكنيسة الإفريقية بوجود رجال دين أقوياء دافعوا عن ديانتهم وعن معتنيقها بأسوب قوي ساهم في تثبيت المضطهدين فترتليان دافع عن المسيحيين بكتبه وكان يمثلهم بقلمه في فترة كان فيها الدين المسيحي في بدايات انتشاره بإفريقيا .[6]

ومن أهم الكتب التي ألفها ترتيليان دفاعا عن المسيحيين ضد هجمات الوثنيين مؤلف (Ad nationes) الذي يتكون من كتابين تم تأليفهما سنة 197 م وفيه يرد على الوثنيين وعلى كراهيتهم الشديدة لكل ما هو مسيحي كما يحملهم مسؤولية الجرائم المرتكبة ضد المسيحيين، أما مؤلف (Apologeticum) الذي ألف أيضا

---

(1) حميدة نشنش، المرجع السابق، ص، 103.

(2) نفسه، ص، 103.

(3) Gesus,Paris,libraire catholique de souvenirs de l'ancienne Eglise d'Afrique,trd Un père de la cie de perisse freres,1862,p,285.

(4) عبد الحميد عمران، الديانة المسيحية، المرجع السابق، ص، 103.

(5) نفسه، ص، 102.

(6) Fabien Davier, op cit, p, 26.

في سنة 197 م فهو كتاب موجه إلى حكام المقاطعة يطالب فيه بإسقاط المتابعات الجنائية ضد المسيحيين لأن ديانتهم لا تتعارض مع الدولة الرومانية .[1]

ومن أمثلة ممن تعرضوا إلى اضطهاد الوثنيين القديسة صالصا (Sainte Salsa) بتيبازة التي تعرضت للتعذيب حتى الموت مع رمي جثتها في البحر لأنها أهانت الديانة الوثنية وحطمت التماثيل الوثنية الموجودة بمعبدهم.[2]

5-موقف الأباطرة الرومان من انتشار الديانة المسيحية في المغرب القديم

يبدو أن الوضع الغامض للمسيحيين في الإمبراطورية الرومانية من النواحي القانونية والاجتماعية والسياسية والثقافية هو الذي كان مصدر توتر في بداية الأمر بين معتنقي الدين الجديد والإمبراطورية الرومانية وهو ما أدى إلى التصادم مع المؤسسة الإمبريالية في رحلة البحث عن الاعتراف بشرعية الوجود.[3]

5-1- قبل مرسوم ميلان

مرسوم ميلان (L'édit de Milan) هو قرار امبراطوري صدر سنة 313م من قبل الامبراطور قسطنطين الأول تم الاعتراف فيه بالديانة المسيحية إلى جانب الديانة الوثنية بصفة رسمية ونهاية عصر الاضطهاد الذي استمر ثلاثة قرون وهو ما يؤدي بنا إلى معرفة وضع المسيحين في المغرب القديم قبل اصدار هذا المرسوم.[4]

إن الانتشار السريع للديانة المسيحية في شمال افريقيا لم يرقى لرضى الامبراطورية الرومانية التي رأت في هذا الدين الجديد تهديد لمكانتها ومكانة أباطرتها المقدسين بالخصوص فاعتبروا الدخول فيها تمردا عن سلطة الدولة، فشنت ضدهم موجة من الاضطهادات المنهجية والعنيفة بدءا من عصر الامبراطور نيرون سنة 64م[5]، رغم أن المسيحيين لم يخالفوا قوانين الدولة وكانوا يدفعون الضرائب بشكل عادي مثل غيرهم من السكان ولم ينادوا بسقوط الامبراطورية أو أعلنوا العداء لها ولم يكن أمر تمردهم عن الامبراطور إلا حساسية

(1) Fabien Davier, op cit, p, 33.
(2) J. Toutain, Fouilles de M. Gsell à Tipasa : Basilique de Sainte Salsa, Mélanges d'archéologie et d'histoire 1891 , V 11 , N 1, p, 179.
(3) Fabien Davier , op cit, p, 280.
(4) Louis Bréhier, Les basiliques chrétienne,Paris,Librarie Bloud,1972,p,07.
(5) الأرشمندريت أغناطيوس ديك، الحضور المسيحي في حلب خلال الألفين المنصرمين، ج 1، 2002م،ص،19.

ظهرت في الادارة الامبراطورية.[1] وقد وصل الأمر في بداية اضطهاد المسيحيين خلال القرن الأول الميلادي بالإمبراطور نيرون إلى احراق مدينة روما واتهام المسييحين بإحراقها حتى يكون مبررا للقضاء عليهم وقد صور المؤرخ الروماني تاسيت جزء من معاناتهم عندما أمر نيرون بإعادة بناء المدينة أمر باضطهاد كل مسيحي لتسببهم في هذا الحرق،[2]كما تحدث سلبيوس سيفيريوس (Sulpice Sévère) وهو مصدر من القرن الرابع الميلادي عن هذه الذريعة الوقحة التي استخدمها الامبراطور نيرون لملاحقة المسيحيين وذلك بعد أن زادت أعدادهم في مدينة روما بشكل لم يتمكن فيه الامبراطور بالسيطرة عليهم إلا بأحراق المدينة واشاعة الفوضى والاضطرابات ومن ثمة الاعتماد على سياسة نشر الفوضى للقضاء على الخصوم كما يبين لنا فشل السلطة الرومانية في احتواء انتشار المسيحية .[3]

أما في عهد الامبراطور تراجان خفت عملية مواجهة المسيحيين وتوقفت عملية موافقتهم بل يعاقبوا فقط اذا وشي بيهم ويسامحوا إذا تراجعوا عن مسيحيتهم [4]، وقد شمل هذا الاجراء من قبل الامبراطور تراجان حتى الولايات الافريقية فجاء في النصوص أن الحاكم سينكيوس سفيريوس (Cincius Severus) حاكم منطقة تسدروس (Thysdrus) بالقرب من الجم حاليا والقاضي فيسبرونيوس كنديدوس (Vespronius Condidus) قدما بعض التسهيلات للمسيحيين أثناء محاكمتهم بمحاولة تبرئتهم عمدا وتحويل محاكمتهم إلى محاكمة صورية، ويبدو أن ذلك ما هو إلا شفقة في وجه المسيحيين إذ أن الادارة الامبراطورية لم تصدر أي قرارات أو مراسيم تعطي للقناصل والقضاة بتخفيف الأحكام الصادرة بحق المسيحيين أو محاولة تبرئتهم.[5]أما في عهد الامبراطور سبتميوس سيفيريوس (Septimius Severus) فقد عادت الاضطهادات مجددا إلى كامل أرجاء الامبراطورية الرومانية وأعلن اجراءات شاملة لمحاربة المسيحيين ومنعهم بالقوة من الدخول في الديانة المسيحية.[6]ويعرف اضطهاده بأنه الاضطهاد السادس في قوائم تاريخ الكنيسة وهو من الاضطهادات العنيفة التي مست المسيحيين طيلة تاريخهم.[7]

(1) Robin Daniel ,opcit,p,97.
(2) Tacite,Les annales,trd, J. L. Burnouf,Paris, Hachette,1859,XV,44.
(3) Sulpice Sévère,La Chroniques,trd, Richard Viot, Tours ,Paris,Hachette,1861,II,XXIX.
(4) الأرشمندريت أغناطيوس ديك، المرجع السابق، ص، 98.
(5) عمران عبد المجيد، المرجع السابق، ص، ص، 106، 107.
(6) محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص، 331.
(7) Sulpice Sévère,opcit,II ,XXXII.

وبإصدار الامبراطور سبتميوس سيفريوس قانون ضد التبشير خلق موجة كبيرة من ملاحقة المسيحيين أو كل من من يدعوا للديانة المسيحية مما أدى إلى زيادة أعداد الشهداء المسيحيين وبالخصوص في المغرب القديم.[1] ومن أبرز الذين استشهدوا* في عصر الامبراطور سبتميوس سيفريوس القديس غودان (sainte Guddène) عام 203م وقد عرف بأعماله المؤيدة للديانة المسيحية وتحتفظ المكتبة الوطنية بفرنسا نسخة مخطوطة من أعماله.[2] أيضا عرفت مقاطعة قرطاج العاصمة المعروفة بانتشار الديانة المسيحية في وقت باكر بإفريقيا عرفت انعدام الأمن بالنسبة للمسيحيين منذ 197م وهي فترة حكم الامبراطور سبتميوس سفيريوس، هذا الأخير عرف بزيارته إلى افريقيا ما بين 202-203م وعرفت في نفس الوقت استشهاد الأبين (Perpétue) و(Félicité) حيث يوضعون في قوائم الشهداء الأوائل في افريقيا.[3]

أما أخطر وأعنف الاضطهادات التي عرفتها الامبراطورية الرومانية كانت في عهد الامبراطورين داكيوس (Decius) سنة 250م ودقلديانوس (Diocletian) عام 303م[4] فالاضطهاد الذي حل بالمسيحيين في عهد الامبراطور داكيوس أدى إلى استشهاد أسقف مدينة روما العام فابيانوس الثاني (Fabianos 2)[5]، ومن قسوة العنف الذي أمر به هذا الامبراطور نجد كثير من المسيحيين في روما ومقاطعاتها تراجعوا عن الديانة المسيحية حتى أن بعضهم تحمل العذاب أياما كثيرة قبل أن يتراجع عن دينه نتيجة عدم تحمله فطرق قتل المسيحيين وتعذيبهم كانت قاسية.[6] وقد اصدر داكيوس مرسوم سنة 250م ينظم عملية اضطهاد المسيحيين الذين يرفضون تقديم الأضاحي للآلهة الامبراطورية رغم الانتشار السريع للديانة المسيحية في افريقيا فأصبحت من المسلمات.[7] وكلف في هذا المرسوم جميع حكام المقاطعات بإرجاع الديانة الوثنية مهما كلفهم ذلك وهو ما

---

(1) Francois Decret, loc cit.

* الشهادة في الديانة المسيحية تطلق على كل من اعتنق المسيحية ومات دفاعا عنها في مواجهة التعذيب بكل أنواعه بدأ هذا المصطلح يظهر في بداية انتشار الديانة المسيحية، حينما مارست الإمبراطورية الرومانية موجة من الاضطهادات أدى إلى مقتل العديد من المسيحيين والشهادة مصطلح يخص الرجال والنساء الكبار منهم والصغار ومكانة الشهيد في الديانة المسيحية مقدسة لأنه ضحى بأغلي ما يملك دفاعا عنها، أنظرالأنبا ياكوبوس، الاستشهاد المسيحي ومجد الشهداء مطرانية، ص، santamariaegypt org.8

(2) Anne Daguet-Gagey,Septime Sévère, un empereur persécuteur des chrétiens,revue des études Augustiniennes,47,2002,p,06 .

(3) ibid ,p,23.

(4) Richard John Coombs, The Decline in the North African Church, South African theological seminary, January 2012.

(5) يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، تر، مرقص داود، القاهرة، القاهرة الحديثة للطباعة، ط2، 1979م، ص 326 .

(6) نفسه، ص، 333

(7) Ernest Mercier,Histoire de l'Afrique septentrionale,T2,Paris, Ernest Leroux,1888,p,116.

يعني أنه سمح بتعذيب المسيحيين وقتلهم بلا تسامح حتى أن المصادر المسيحية تصنف اضطهاده السابع أقسى من اضطهادات الأباطرة الذين سبقوه.[1]

ومن أمثلة الذين عاشوا فترة الاضطهاد في افريقيا وكتب عنها خلال هذه الفترة القديس كبريانوس أسقف قرطاج الأسقف الثاني من حيث الأهمية في الديانة المسيحية بالغرب بعد أسقف روما وقال في هذا الصدد:" لقد أمرنا الرب أننا في زمن الاضطهاد إما أن نسلم أنفسنا وإما أن نهرب".[2]

الشكل رقم 25: حجارة منحوتة مخصصة لاحتواء رفات الشهيد كبريانوس (كنيسة كبريانوس حيدرة 5م)

المصدر: تصوير شخصي متحف الباردو، تونس، تاريخ الزيارة 02-12-2015م

أما اضطهاد الامبراطور دقلديانوس (284-305م) فهو الاضطهاد العاشر وهو معروف في تاريخ الكنيسة بأنه أخطر وأعنف اضطهاد على الاطلاق، وقد أشرك معه سنة 286م مكسميوس ليكون امبراطور في الشرق وليتحكم أكثر في انتشار المسيحية شرقا وغربا.[3]

[1] الأنبا ياكوبوس، المرجع السابق، ص، 41 .

[2] القديس كبريانوس، نقلا عن الأنبا ياكوبوس، المرجع السابق، ص، 43 .

[3] الأنبا ياكوبوس، المرجع السابق، ص،45 .

وقد بدأت الحملة العنيفة للإمبراطور دقلديانوس عام 303م ضد المسيحيين وذلك بإصدار أوامر بهدم كل الكنائس المسيحية وإحراق كتبهم واعتبار المسيحيين خارجين عن قانون الامبراطورية الرومانية وبالتالي وجب معاقبتهم، وحتى العاملين في الجيش الروماني المعتنقون للديانة المسيحية وجب اعدامهم بدعوى أن الرب لم يقبل ذبيحته بسبب وجود بعض من جنوده مسيحيون أفشلوا احتفاله مع الاله .[1] ومن أبرز الشهداء الأفارقة خلال هذه الفترة شهداء أبيتينا (Les martyrs d'Abitine) وهم مجموعة من المسيحيين تضم تسع وعشرون رجل وتسعة عشرة امرأة وخمس أطفال ماتوا جوعا في سجون قرطاج سنة 304 م بسبب تمسكهم بديانتهم.[2] كما أشرنا سابقا إلى استشهاد الجندي ماكسيلميان خلال هذه الفترة وهو من مدينة تبسة بعد أن رفض الانضمام للجيش وتمسكه بالعقيدة المسيحية فأعدم وهو في عمر الواحد وعشرين عاما.[3]

كما استشهدت خلال هذه الفترة القديسة كريسبين (Sainte Crispine) بمدينة تبسة سنة 304م والتي رفضت بشدة أوامر البروقنصل أرنيلونوس (Anulinus) بعبادة الآلهة الوثنية مما أدى إلى محاكمتها واعدامها، رغم أنها كانت من عائلة غنية، وهو ما يبين أنه خلال القرن الثالث الميلادي لم يعد الدخول للمسيحية قاصرا على الفقراء فقط كما اعتدنا على ذلك في القرنين الأول والثاني الميلاديين.[4]

وبموت الامبراطور دقلديانوس انتهى عصر الاضطهاد المسيحي بفصوله العشر حيث أن اعتلاء الامبراطور قسطنطين العرش حل السلام بمرسومه "ميلان" الذي سمح للديانة المسيحية بممارسة نشاطها بكل حرية.[5]

---

(1) الأنبا ياكوبوس، المرجع السابق، ص ،45.

(2) Francois Martroye, Genséric, LA conquÊte Vandale en Afrique et la destruction de l'empire d'occident, Paris, 1907, p, 5.

(3) Paul Allard, op cit,p,68.

(4) Ferdinandus Cabrol, opcit,p,165.

(5) الأنبا ياكوبوس، المرجع السابق، ص،47

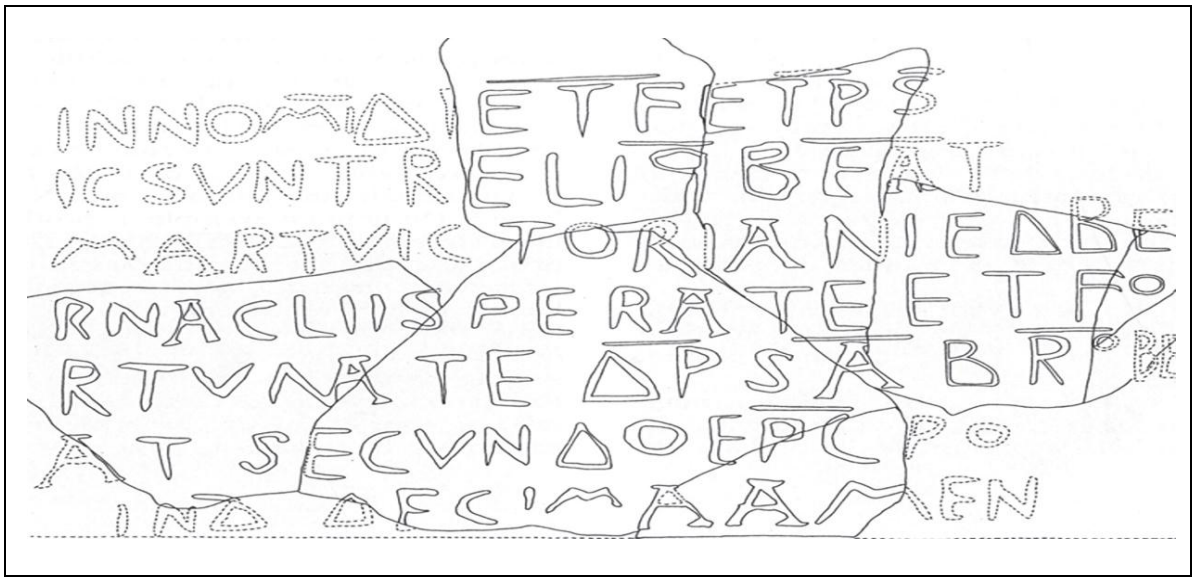

الشكل رقم26: نقيشة من حيدرة (تونس) تبين جانب من اضطهاد المسيحيين وتضم أربعة أسماء تكون على الأرجح محلية فورتيناتا(Fortunata) وإسباراتا(Isperata) وفيكتورانيوس (Victorianus) و فيرناكليس (Vernaclius)

المصدر: Baratte François, Bejaoui Fathi. La société ecclésiastique dans les hautes steppes tunisiennes à la fin de l'antiquité : le témoignage de l'archéologie. In: Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 154e année, N. 1, 2010. P, 98.

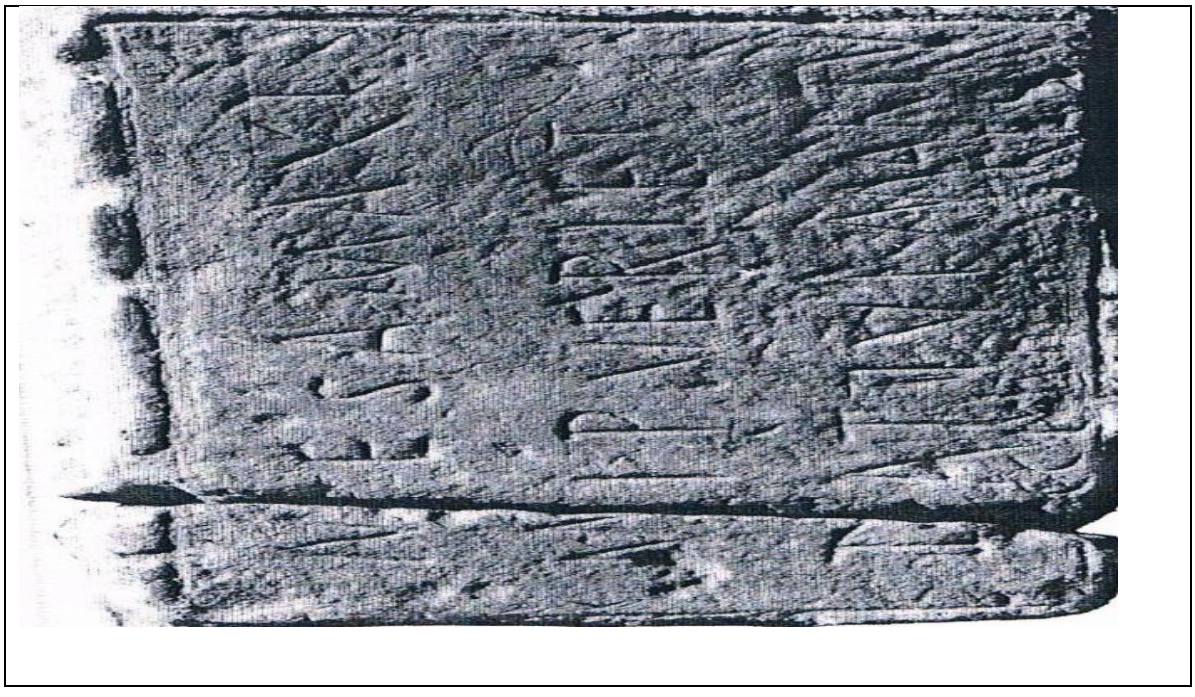

الشكل رقم 27: نقش للشهداء من موريتانيا القيصرية ماكسيموس Maximus و داتيفوس Dativus

المصدر: Paul-Albert Février, op cit, p, 790. .

مخطط يبين الاضطهادات العشر للمسيحيين

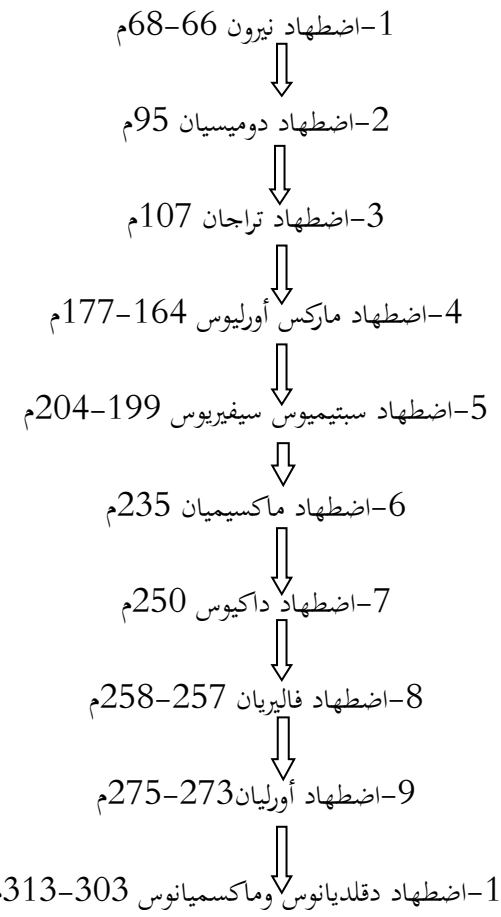

الشكل رقم28: مخطط الاضطهادات العشر للمسيحيين

المصدر: E .D Sainte –Marie, op cit,p,23

وقد تعرض المسيحيين خلال هذه الاضطهادات العشر من بداية القرن الأول الميلادي حتى بداية القرن الرابع الميلادي أنواع عديدة من العذاب مابين قطع الرؤوس، تسليم أجساد المعتنقين للمسيحية إلى الحيوانات المفترسة، رجمهم حتى الموت في الشوارع، احراقهم وهم أحياء[1]، تعذيبهم بالعطش في السجون حتى الموت[2] استعمال الطوق الحديدي في السجون وكسر الأسنان والضرب المبرح لدفع المسيحيين للتراجع عن دينهم[3] اضافة إلى طرق أخرى تفننت في التعذيب كقطع الجسم بالمنشار حتى الموت والسلخ كما تلسخ الحيوانات

(1) Francois Decret ,loc cit.
(2) Robin Daniel ,opcit,p,. 94
(3) يوسابيوس القيصري، المصدر السابق، ص، ص ، 328،332.

كما كان صلب* المعتنق للمسيحية أمرا شائعا في طرق التعذيب، الشنق والغرق بالماء الشهيد في البحر أو النهر تمرير عجلة ذات مسامير على أجساد المعتنقين للديانة المسيحية، دفن الشهيد حيا وكلها وسائل تعرض لها أتباع هذه الديانة الجديدة في كافة مقاطعات الامبراطورية الرومانية.[1]

وقد يتعرض المعتنقون للديانة المسيحية أنواعا أخرى من التعذيب المعنوي من بينها الضغط العاطفي كأن يعرض المسيحي أمام أبويه متوسلان له بالدموع لكي يتراجع عن دينه، ومن بين الأساليب النفي إلى منطقة نائية وتسخير المسيحيين للعمل الشاق في المناجم والمحاجر مع عدم شفقة أرباب العمل لمعرفتهم بديانتهم فهم لا يستحقون العيش بكرامة كغيرهم.[2] كذلك كان المسيحيون يفصلون من وظائفهم وتتوقف الرواتب التي يتقاضونها بدعوى تمرده عن قوانين الادارة الرومانية ويحرمون من حقوق المواطنة وتصبح ممتلكاتهم مستباحة تتعرض للنهب دون تدخل الشرطة الرومانية.[3]

ورغم أن المسيحيون لم يخالفوا قوانين الدولة فيما يخص دفع الضرائب ولا طالبوا بحقوق أكثر من حقوق غيرهم ولا نادوا بسقوط الامبراطورية كل ما في الأمر تغيير عقيدتهم حيث يعتبرون أنفسهم أحرارا في قناعاتهم وأنه يجب على بقية الفئات احترامهم، [4] إلا أنهم لا يحق لهم الدفاع في المحاكم بحجة أنهم غير معترف بهم ولم يمنحهم القانون حق الاستئناف وتنفذ ضدهم أحكام القضاة دون مناقشتها أو الطعن فيها.[5] وقد استغرب ترتيليان من تقديم المسيحيين للمحاكمة على أساس أنهم من أشر المجرمين في حين يتم التمييز بينهم وبين بقية المجرمين من أتباع الديانة الوثنية حيث من غير المعقول أن يدان مجرم وتنفذ الاحكام عليه دون أن تسمع أقواله أو يعطى له الحق في سماع أقواله طبقا لما ينص عليه القانون الروماني، وأحيانا يكون القانون الروماني ضد المسيحيين أصلا فالوضعية القانونية لوجودهم منعدمة ولذلك نعتقد أنه لم يكن يحميهم [6]، ويدعم رأي ترتيليان بملاحقة المسيحيين وتمييزهم عن غيرهم أن الإدارة الرومانية ألصقت جميع التهم بهم مجازفة وبأنهم أعداء السعادة والأمان ، فقد جعل الامبراطور نيرون المسيحيين مكروهين في المجتمع وأشخاص خطيرين

*الصلب طريقة عرف بها اليهود تستعمل لتعذيب المسيحيين بحيث يعلق المسيحي في صليب ثم يترك يعاني من آلام قاسية ويموت ببطء وأحيانا يرشقونه بالحجارة أو يوجهون له السهام، ويعتقد المسيحيين أنها نفس الطريقة التي مات بها المسيح، أنظر، الأنبا ياكوبوس، المرجع السابق، ص، 66.

(1) الانبا يوكوبوس، المرجع السابق، ص، ص، 66-70.

(2) نفسه،ص،ص،72، 73.

(3) نفسه، ص،74.

(4) Robin Daniel ,opcit,p,97.

(5) Ibid,p,98.

(6) Tertullien, op cit,II,1.4

باتهامهم بإحراق مدينة روما[1] أتهموا أيضا في عقيدتهم بنشر الاشاعات عنهم بأنهم يقتلون الأطفال ويأكلون لحومهم ويمارسون زنا المحارم كل هذا غرضه تشويه صورة المسيحيين .[2]

وقد سخرت الامبراطورية الرومانية جهاز الشرطة لاضطهاد المسيحيين وملاحقتهم وتقديمهم للمحاكمات ويبدو أنه في الفترة التي شهدت انتشار المسيحية كانت الشرطة موجودة في كل مكان من المدينة وهذا تماشيا مع بعض القوانين التي اصدرها الأباطرة ضد المسيحية وضد التبشير.[3] ورغم ذلك كان من أفراد الشرطة ممن اعتنقوا المسيحية بالنظر إلى احتكاكهم بالمسيحيين أدى إلى معرفتهم لديانتهم عن قرب وهو ما عرضهم للفصل عن وظائفهم أو اعدامهم.[4] كما أن تسخير الجيش لملاحقة المسيحيين لم يسلم من اعتناق الكثير منهم الديانة المسيحية ومن أبرزهم القديس غورديوس(Saint Gordius) (القرن الثاني الميلادي) والذي كان قائدا للجيش بموريتانيا القيصرية فاعتنق المسيحية وترك خدمة الجيش مما أدى إلى اعدامه.[5]

اسم الشهداء	المنطقة وسنة الاستشهاد	طريقة القتل
Namphanion (نامفونيون) Miggines (ميناس) Lucitas (ليسيتاس) Sanaen (سانان)	أصلهم من مادور استشهدوا سنة 198م	الإعدام
Saint Perpétue (سانت بيربتي) Saint Félicité (سانت فليستي)	قرطاج بين 198-313م	السجن المؤبد حتى الموت
شهداء سكيلي (Scilla) أكثر من 20 شهيد	قرطاج 198 م	الحرق

(1) ابرهارد أرلوند، المرجع السابق، ص، 77.

(2) Tertullien ,opcit,VII,1.

(3) Georges LopuszanskiLa , Police romaine et les Chrétiens, : L'antiquitéclassique, T 20, fasc. 1, 1951,p,p, 26 ,28.

(4) Ibid ,p,46.

(5) Alphonse de Liguori , Les victoires des Martyrs, ou Les vies des Martyrs lesplus célèbres,Avignon,Libraire,1828,p,07

Guddenes (غيدوناس)	قرطاج 200 م	الإعدام
الجندي Pudens (بودونس)	قرطاج 204 م	الإعدام
Saint mavile (مافيل)	حضرموت 206 م	الرمي للحيوانات المفترسة
Rutilus (ريتيلوس)	قرطاج 207 م	الحرق
Cyprien (كبريان)	قرطاج 14 سبتمبر 258 م	الإعدام
Sainte Maxima (ماكسيم) Sainte Donatilla (دوناتيلا) Sainte Secunda (سيكيندا)	ضواحي قرطاج	التعذيب الحرق الإعدام
Sainte Restitute (رستيتيت)	أصله من هيبون عصر الإمبراطور دقلديانوس	الحرق
Digna (دينا)	روسيكادا عصر دقلديانوس	غير معروفة
Nivalis (نيفاليس) Alatrona (الترونا) Salvus (سالفيوس)	قالمة بداية القرن الرابع الميلادي	غير معروفة (الحرق على الأرجح)

الشكل رقم 29 : جدول يبين أهم شهداء افريقيا الأوائل (قبل اصدار مرسوم ميلان)المصدر: E .D Sainte –Marie, op cit ,p,p,24-40. Paul Allard, Histoire des persécutions pendant les deux premiers siècles,T4,Paris, Publication Data,1903,p,203.

5-2-بعد مرسوم ميلان

كان مكسيمينيوس من أشد أعداء المسيحيين وأكثرهم تحمسا لاضطهادهم ومحاولة لإرجاعهم لعبادة الآلهة بعد أن تخلى عنها الكثيرين [1]، لكن موته كان على يد قسطنطين بعد أن دبر مكيدة لقتله فشلت وانقلبت عليه، واصاب دقلديانوس العمى وخلع من قبل الجيش قبل موته بعامين[2] فإن عام 311م، وصفته المصادر المسيحية بأنه عام الهلاك النهائي لأعداء المسيحية وعام اسدال الستار على الاضطهاد العاشر والأخير في قوائم تاريخ الكنيسة[3].

وباعتلاء الامبراطور قسطنطين الحكم وحلول السلام للديانة المسيحية بفضل اصدار مرسوم ميلان 313م، وهو مرسوم يبين ارتباط السياسة بالدين في العصور القديمة[4] لأن الاعتناق الشخصي للمسيحية من قبل الامبراطور قسطنطين* غير كل الموازين في الدولة فقد أسس عاصمة جديدة " القسطنطينية" انتقل إليها عام 330م ليكون بعيدا عن الوثنيين كما جعل يوم الأحد عطلة رسمية واستوحى في تشريعاته الكثير من مبادئ المسيحية[5].ويعتبر نقل عاصمته إلى القسم الشرقي من أوروبا بداية لتأسيس الامبراطورية البيزنطية والانفصال عن الجزء الغربي الذي أصبح مجالا واسعا لفرض سلطة المسيحية وبداية العصور الوسطى التي ميزتها سيطرة الكنيسة على الحياة العامة.[6] وقد سبق مرسوم ميلان الذي أعطى حرية ممارسة الشعائر المسيحية أوامر امبراطورية أخرى منذ سنة 311م تشير إلى حق المسيحيين في التعبد من دون تدخل الآخرين.[7]

فقد جاء في احد الأوامر التي أصدرها الامبراطور قسطنطين قبل مرسوم ميلان والتي حصلنا عنها من مصدر مسيحي النقاط التالية:

1-عدم حرمان أي مسيحي مثله مثل الديانات الأخرى من ممارسة شعائره

---

[1] يوسابيوس القصري، المصدر السابق، ص ، 478.

[2] الأنبا ياكوبوس، المرجع السابق، ص،47

[3] يوسابيوس القيصري، المصدر السابق، ص، 473.

[4] Pierre Maraval , La religion de Constantin , Anuario de Historia de la Iglesia, V 22,2013 ,p,20.

* قسطنطين أو كما يطلق عليه قسطنطين الكبير،(275م-337م) أول امبراطور روماني مسيحي، اعتنق المسيحية وأصدر مرسوم ميلان الشهير ومن عهده اصبحت المسيحية دين معترف به من قبل الدولة، أنظر، Pierre Maraval, Constantin le Grand, La Cliothèque, http://clio-cr.clionautes.org/constantin-le-grand.html,p dimanche 27 novembre 2011,p,02.

[5] الأرشمندريت أغناطيوس ديك، المرجع السابق، ص، 23

[6] جمال الدين فالح الكيلاني، في التاريخ الأوربي الوسيط، القاهرة، مكتبة المصطفى، 2011، ص، 05.

[7] Pierre Maraval, La religion de Constantin, loc cit.

2-عدم منع أي شخص من سكان الامبراطورية من اعتناقهم الديانة التي يرغبونها

3-توقيف اضطهاد المسيحيين من ملاحقتهم وسجنهم وقتلهم

4-إعادة ممتلكات المسيحيين وأماكن تجمعاتهم دون طلب مقابل لذلك[1]

وقد أصدر أمر آخر يخص الكنائس مبينا فيه ضرورة ارجاع ما تم اغتصابه منها ما تعلق الأمر بحدائق أو مباني أو أية أشياء أخرى.[2] وفي رسالة أخرى وجهت إلى ملتيادس الثاني ومرقس الثالث أمر فيها بعقد مجمع كنسي بروما بهدف وحدة الكنائس المسيحية بعد أن بلغه أن أسقف قرطاج سيسيليانوس (Cécilien) يقوم بأعمال تؤدي إلى الانشقاق عن الكنيسة الرسمية.[3]

" من قسطنطين أوغسطس إلى ملتيادس 2 أسقف روما وإلى مرقس 3 .
نظرا لأن أنولينس والي إفريقيا العظيم قد أرسل إلي عدة رسائل قيل فيها أن سيسليانوس أسقف مدينة قرطاجنة وجهت إليه تهم كثيرة من بعض زملائي في إفريقيا، ونظر لأنه يبدو لي أنه لأمر خطير جدا أن يسلك الشعب في تلك الأقطار التي عهدت إلى العناية الإلهية رعايتها والتي يقطنها عدد وافر من السكان– طريقا خاطئا، وأن يكونوا مقسمين إلى حزبين وأن يكون الأساقفة مختلفين.
" فأراه من المناسب أن يبحر سيسليانوس نفسه إلى روما ومعه عشرة من الأساقفة الذين يتهمونه وعشرة آخرون ممن يراهم لازمين للدفاع عنه، لكي تسمع أقواله هناك بوجودكما ووجود رتسيوس 4 وماترنوس 5 ومارينوس 6 زملائكما الذين طلبت منهم الإسراع إلى روما لهذا الغرض وبذلك تعرف أن الحقيقة وفق للشرائع المقدسة.
ولكي تكون لديكما معرفة كاملة عن هذه الأمور أرفقت برسالتي صور كل المستندات التي أرسلها إلى أنولينس، كما أرسلتها أيضا إلى زملائكما المشار إليهم وإذا ما اطلعهما عليها استطعتما بحث هذه القضية بدقة وحكمتما فيها بعدل، لأنه لا يغيب على فطنتكما أنني أحترم الكنيسة الجامعة القانونية احتراما تاما، حتى أنني لا أريدكما أن تدعا أي مجال للانشقاق أو الانقسام في أي مكان. ليحفظكما لاهوت الله العظيم سنينا عديدة يا سيدي الموقرين".

الشكل رقم 30: نص الرسالة التي يأمر فيها الإمبراطور قسطنطين بعقد مجمع من أجل وحدة الكنائس

المصدر: يوسابيوس القيصري، المصدر السابق، ص، ص، 500، 501.

[1] يوسابيوس القيصري، المصدر السابق، ص،ص،498،499.

[2] نفسه، ص، 500 .

[3] نفسه، ص، 500.

وهناك صورة أخرى من الرسائل التي أرسلها الامبراطور قسطنطين إلى أسقف قرطاج سيسيليانوس يأمره فيها بمنح أموال وهبها لرجال الدين المسيحيين في كل من افريقيا ونوميديا وموريتانيا.[1]

قسطنطين أوغسطس إلى سيسليانوس أسقف قرطاجنة، يسرنا أن تمنح بعض المنح في كل أقطار إفريقيا ونوميديا وموريتانيا لبعض خدام الديانة الطاهرة الجامعة لتغطية نفقاتهم، لذا كتبت إلى أورسيوس وزير مالية إفريقيا العظيم وأمرته بأن يدفع إلى فطنتكم ثلاثة آلاف فولي.

الشكل رقم 31: جزء من رسالة قسطنطين لأسقف قرطاج يطلب منه منح أموال إلى رجال الدين في إفريقيا

المصدر: يوسابيوس القيصري، المصدر السابق، ص، 502.

كما منح قسطنطين لرجال الدين سلطات قضائية فأصبح من حقهم تمثيل السلطة القضائية أمام كهنة كنائسهم دون الرجوع إلى القاضي المدني، وكل هذه الامتيازات أدت إلى طمع الوثنيين الذين تسابقوا لاعتناق المسيحية لتحقيق منافع شخصية .[2]

وما يزال الاختلاف قائما في الدوافع التي أدت بالإمبراطور قسطنطين لاعتناق المسيحية ما بين الدوافع الشخصية النابغة من كونه اقتنع بهذه الديانة وما بين الدوافع السياسية، فقد أعطت المصادر المسيحية صورة تمجده وتعتبره واحد من الذين نصروا المسيح.[3]

فقد وصفه يوسابيوس القيصري* بقوله "على أن قسطنطين البطل الظافر، المتحلى بكل فضيلة التقوى، وابنه كريسبس الأمير محبوب الله والماثل لأبيه من كل الوجوه..."، يبين احتفال رجال الدين الكنسيين بتنصر الامبراطور قسطنطين،[4]وخصوصا أن قسطنطين يعتبر نفسه أن الله هو الذي نصره على خصومه الوثنيين سينيوس وقبله مكسيمينيوس[5] هذا في ظل وجود رأي أخر يعتبر تنصر الامبراطور قسطنطين منشأه

---

[1] يوسابيوس القيصري، المصدر السابق ، 503.

[2] محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص، ص، 339،340،

[3] . يوسابيوس القيصري، المصدر السابق، ص،509

* يوسابيوس القيصري (260م-340م) أبا لعلم الباترولوجي (علم تاريخ آباء الكنيسة من حيث نشر أقوالهم وأعمالهم) من أهم كتبه في هذا المجال كتاب " التاريخ الكنسي" أنظر تادرس يعقوب ملطي، الدليل المبسط في علم آباء الكنيسة، كنيسة الشهيد مار جرجس باسبورتنج، 2004م، ص، 08.

[4] يوسابيوس القيصري، المصدر السابق، ص، 509.

[5] Pierre Maraval , La religion de Constantin, opcit,p,24.

دوافع سياسية وهو تهدئة الأوضاع في الامبراطورية بعد فترة حرجة وطويلة من الصراع بين السلطة وأتباع الديانة المسيحية.[1]

الشكل رقم 32: صورة من الرخام للإمبراطور قسطنطين (القرن الرابع الميلادي)، أول امبراطور مسيحي وهو يحمل اشارة الصليب (الصورة من مدينة سان جيوفانيSan Giovanni بإيطاليا)

مصدر الصورة: http://www.pbase.com/bmcmorrow/image/130993938

ولعل أبرز دليل على الدوافع السياسية لتنصر الدولة الرومانية هو التدخل المباشر للإمبراطور في شؤون قضايا المسيحيين بما فيها عقيدتهم، وتقديم الامبراطور نفسه على أنه حامي وحدة الكنيسة وهو أمر قد يفهم منه أن تنصر قسطنطين كان لدوافع سياسية بعد أن فشل سابقيه في القضاء على الديانة المسيحية بالقوة العسكرية، فرأت الامبراطورية أنه من الأفضل التسليم بسياسة الأمر الواقع وتطويق حركة المسيحيين حفاظا

[1] محمد البشير شنيتي ، المرجع السابق، ص،337.

على سلطة الإمبراطورية الرومانية.[1] ومما قد يشير إلى عدم ترك الامبراطور قسطنطين للديانة الوثنية هو أن رجال بلاطه كان مقسما بين الوثنيين والمسيحين، إذ أن ادعائه بأن المسيحية هي التي نصرته على خصومه كان يمكن أن يؤدي به إلى اقصاء خصومه الوثنيين من الحكم.[2] بينما يذهب أوريسيوس إلى أن دوافع اعتناق قسطنطين للديانة المسيحية كانت نتيجة لشفاءه من مرض الجذام ورؤيته التي دلته على أنه لو أشفق الإمبراطور قسطنطين على معتنقي الديانة المسيحية فإنه سيشفى من مرضه.[3]

ويرى محمد البشير شنيتي أن دوناتوس وأتباعه فهموا خلال القرن الرابع الميلادي هذا التوجه السلطوي الجديد ورفضوا أن يعملوا بتعاليم الامبراطور وتدخله المستمر في شؤون المسيحية، رغم أن أتباع الدوناتيين كانوا من الذين اعتنقوا المسيحية حتى قبل اعتراف الامبراطورية الرومانية بها[4].

كما أن هذا الاختلاف بين المسيحيين والذي انطلق من منشأ سياسي نتيجة تدخل الدولة في الدين لم يكن الوحيد في عموم الديانة المسيحية لأن انقسام الامبراطورية الرومانية بين الجزء الغربي والجزء الشرقي(الامبراطورية الرومانية) أدى إلى انقسام الكنيسة إلى كنيسة غربية وكنيسة شرقية، ولأن السلطة البيزنطية في الجزء الشرقي حاولت أن تعطي لنفسها أحقية زعامة الكنائس المسيحية في العالم فاصطدمت هذه الرغبة برغبة كنيسة روما في فرض سيطرتها بحكم موقعها التاريخي على كل الكنائس الأخرى وهو الصراع الذي ظل مستمرا طيلة العصور الوسطى.[5]

كما انشقت الكنيسة الأريوسية* في الاسكندرية نتيجة لاعتقادها أن دخول القياصرة البيزنطيين في الشؤون المسيحية أدى إلى تحريفها.[6] وكان هناك مفارقة في الديانة المسيحية فبدل أن يكون اعتراف الامبراطورية الرومانية بها عامل يساعد على استقراراها ووحدتها فإن ذلك بالعكس أدى إلى ظهور انشقاقات عديدة واضطهادات جديدة، فقد انحاز قسطنطين تماما إلى جانب الكاثوليكية وحارب خصومها وهدم كنائسها ومارس اضطهاد واسع على معارضي الكنيسة الرسمية(الكاثولكية) وأحرق كتبهم وأعدم

---

[1] محمد البشير شنيتي ، المرجع السابق ، ص، 339.

[2] جمال الدين فالح الكيلاني، المرجع السابق، ص، 12.

[3] أوريسيوس، تاريخ العالم، تر، عبد الرحمان بدوي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1982، ص،ص،460،459.

[4] محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص، 339.

[5] جمال الدين فالح الكيلاني، المرجع السابق، ص، 14.

* الأريوسية في نظر المسيحيين بدعة أسسها أريوس في القرن الرابع الميلادي نتيجة الاختلاف مع أسقفه في مدينة الاسكندرية حول قضية عقائدية تخص الله، وقد نشرت الأريوسية لمدة قرنين من الزمن في القبائل الجرمانية بالخصوص، أنظر الموسوعة العربية على الأنترنت في الموقع التالي:
www.custodia.org/1god

[6] Philip Schaff,op cit ,p ,19 .

متشدديهم.[1] وبالتالي فقد عاد الاضطهاد القديم للمسيحيين ولكن هذه المرة بشكل مسيحي مسيحي بداية من سنة 317م نتيجة ظهور الطوائف المذهبية والسياسية، وهذا ما يبقي على الاشكالية القائمة بين الدين والسياسة، حيث دائما ما يؤدي تدخل السياسي في الدين سببا لنفور وانشقاق المذهب الواحد لاعتقاد الجماعة المنشقين باستغلال السياسي للديني وخصوصا أن الأباطرة الرومان مارسوا اضطهادات طويلة ضد المسيحيين .[2]

رغم ذلك يعتبر العمل الذي قام به الامبراطور قسطنطين لصالح الديانة المسيحية بالغ الأهمية في تاريخ الامبراطورية الرومانية وتاريخ الكنيسة فهو يعبر عن نظرته الحكيمة وتقديره الدقيق للأمور ومعرفته للعواقب البعيدة المدى في حالة استمرار الصراع بين الوثنيين والمسيحيين وأثره على مستقبل الامبراطورية فاستمرار مسلسل الصراع قد لا يؤدي لا إلى منتصر ولا إلى منهزم، بل كان يلوح في الأفق أن هذا الصراع سيكون في صالح المسيحيين فقد فشلت كل أساليب الإمبراطورية الرومانية في القضاء عليه. [3] وساهمت هذه الخطوة في نشر التسامح الديني، ومن جهة أخرى أدت إلى رفع أعداد المسيحيين وخصوصا الكاثوليك، ففي سنة 324م عمد بمدينة روما اثنا عشر ألف من الرجال والنساء والأطفال بدخولهم الديانة المسيحية [4]، أما انعكاسات صدور هذا المرسوم على افريقيا هو توسع انتشار المسيحية وزيادة عدد الباسيليكات الجديدة [5] وأدى إلى تغيرات أخرى تخص تنصير الامبراطورية مثل السماح للقساوسة(chapelains)* بالتجنيد في الجيش وممارسة طقوسهم بشكل عادي بعد أن كان في السابق مجرد معرفة اعتناق الجنود للديانة المسيحية يعرضهم للفصل أو الاعدام. [6]

ومع مرور الوقت بدأت رموز الوثنية تختفي من القطع النقدية كصور الآلهة أبولو وهرقل والمريخ، وأصبحت القاعة الرئيسة في القصر مزينة برسوم الصليب ويعتبر التحول في استخدام الرموز عنصرا مهم في تحول الدولة من الديانة القديمة إلى الديانة الجديدة،[7] وفي السنوات الأخيرة من حياة الامبراطور قسطنطين

---

(1) عمران عبد المجيد، المرجع السابق، ص، 136.

(2) نفسه، ص، 136

(3) Philip Schaff, opcit,p ,18.

(4) Ibid,p,24.

(5) E .D Sainte –Marie , op cit, p,30.

* مرتبة ثانية في التنظيم الكنسي بعد الأسقف يتمثل دورهم الأساسي في تعليم مريدي التنصير، ومن أمثلة القساوسة المعروفين في الكنيسة ببلاد المغرب القديم" ترتليانوس" أنظر، حميدة نشنش، المرجع السابق، ص، 150.

(6) Maxime Emion, Le bouclier au chrisme des gardes impériaux dans l'Antiquité tardive Journée des doctorants du GRHIS, Université de Rouen , 7 mai 2014,p,17.

(7) Philip Schaff, opcit,p,,p,24,25.

يقال أنه أمر بوقف التضحية الوثنية، وهكذا يشهد عصر قسطنطين تحول جذري في سياسة الدولة الرومانية[1].

الشكل رقم 33: عملة تعود لسنة 315م (الامبراطور قسطنطين) توضح اختفاء صور الآلهة الوثنية من العملات الرومانية وحلول رمز الصليب فيها

مصدر الصورة: Modéran Yves , La conversion de Constantin et la christianisation de l'Empire romain, Historiens & Géographes, N° 426 ,2011. , p, 72 .:

الشكل رقم 34: عملة من فترة حكم الإمبراطور قسطنطين تبين استخدام رمز الصليب في الألبسة العسكرية (في الخوذة يظهر رمز الصليب)

مصدر الصورة: Charles Matson Odahl, Constantine and the Christian empire, London and New York, Routledge, 2004,p,149.

(1) Philip Schaff, opcit,p,25.

وقد ظهرت سياسة الامبراطورية الرومانية في السيطرة على توجيه الديانة المسيحية في عهد الامبراطور تيودسيوس العظيم الذي فرض توجيهات قانونية بضرورة تبعية كل الكنائس في كامل مدن الامبراطورية الرومانية للدولة رغبة منه في اخضاعها للقانون الروماني.[1] ومنع تقديم التضحية الوثنية نهائيا[2] وأصدر في سنة 28 فيفري 380 م مرسوم تسالونيك(l'édit de Thessalonique) والذي ورد فيه بضرورة تبعية كل الكنائس في الامبراطورية الرومانية للعقيدة الكاثولكية المتمثلة في (الأب والابن وروح القدس)، أما ماعدا ذلك فكلهم خارجون عن قانون الكنيسة ووجب معاقبتهم، ويبدو أن الانشقاقات كان لها أثر على هيبة ومركزية السلطة الرومانية وأدت إلى شعور الإمبراطور بانفلات السيطرة على المقاطعات التي ظهرت فيها الانشقاقات.[3]

الشكل رقم 35: عملة من عصر الإمبراطور تيودوسيوس الثاني وعليها صورة الصليب صكت بمناسبة انتصاره على الفرس بين (420-422 م) وهو يبين أن الحروب مع الفرس اتخذت طابعا مسيحيا.

مصدر الصورة Tiphaine Moreau, Penser et construire une autorité chrétienne dans l'Empire romain Les associations empereur-croix' dans les textes des IVe et Ve siècles, Thèse doctorat, Université de Limoges, 2015, p, 231.

(1) Dragoş Boicu, Théodose le Grand et l`Édit de Thessalonique (28 Février 380)Circonstances, commentaire, réception , RT, 94 ,2012, N 2, p.212.

(2) Maxime Emion, opcit,p,18.

(3) Dragoş Boicu ,opcit,p,213.

المسيحية دين رسمي للدولة	ترخيص للعبادة المسيحية	اضطهاد المسيحين	حياة المسيح
380م	313م	30م	0م

الشكل رقم 36 : كرنولوجيا الديانة المسيحية من بداية حياة المسيح إلى ترسيمها كديانة للدولة

وهكذا فإنه بعد مرسوم ميلان نجد ان المسيحية سارت نحو منحى أخر من الانتشار برعاية الامبراطورية الرومانية ويعطينا يوسبيوس القيصري فكرة عن هذه التغيرات التي طرأت على مختلف أنحاء الامبراطورية فقد أعيد بناء الكنائس واتخذت في معمارها فخامة أكثر من الكنائس القديمة، وأقيمت في كل المدن ولائم ومناسبات لتكريس الصلوات الجديدة وبطريقة علنية بعيدة عن الملاحقات التي اعتاد عليها المسيحيين في السابق ومنحت هدايا وعطايا مالية لرجال الدين المسيحين، وقد صور مؤرخ الكنيسة يوسبيوس القيصري هذه المظاهر بأنها سلام منحه الله لهذا الدين الجديد. [1] رغم أن هذا السلام كان مطلب المسيحيين الأوائل وأن الديانة المسيحية تدعو في الأصل إلى السلام، ونجد ذلك في كتب رجال الدين الأوائل.[2]

التوجه	الأهداف المفترضة للسياسة
حرية الديانة المسيحية والأديان الأخرى	الحفاظ على استقرار الإمبراطورية لأن الصراعات دينية الدينية تأثر على استقرارها
الاعتراف بالمسيحية وتنصر الإمبراطور	وضع حد للصراع بين السلطة والمسيحيين
الدعوة لعقد المجامع الكنسية والتدخل فيها	توجيه قرارات رجال الدين المسيحيين لصالح الدولة
إصدار قوانين تتعلق بالشؤون الكنسية	محاولة جعل الكنيسة مؤسسة تابعة للدولة
محاربة البدع والانشقاقات	تقوية الكنيسة التابعة للدولة

الشكل رقم 37: جدول يبين ملخص لأهم محاور السياسة الدينية لقسطنطين وأهدافها

[1] يوسبيوس القيصري، المصدر السابق، ص، ص، 479، 480

[2] Cyprien de Carthage , L'unité de l'Église,Tra,Pierre de Labriolle, Series Latina III -Brepols, 1972 ,p,22.

الفصل الثاني:

نشأة الكنيسة الإفريقية وتطورها

1/ في أصل تسمية إفريقيا.

2/ تعريف بالكنيسة الافريقية ونشأتها.

3/ مكانة كنيسة قرطاج في افريقيا المس.يحية.

4/ تنظيم الكنيسة الافريقية.

5 /دور الكنيسة في المجتمع الافريقي.

مصطلح الكنيسة الإفريقية مصطلح تاريخي وجغرافي أطلق على الكنيسة التي نشأت في شمال إفريقيا خلال العصور الأولى لانتشار الديانة المسيحية وارتبط ذلك بالمقاطعة الرومانية، وكانت من أبرز المقاطعات بالنسبة إلى روما خصوصا من الناحية الاقتصادية كما تشكل جزء هام من سياستهم وكثير من الأحداث السياسية التي جرت في هذه المقاطعة ارتبطت بروما حتى قبل الاحتلال الروماني المباشر.

1/في أصل تسمية إفريقيا

لم يكن مصطلح افريقيا أول مصطلح عام أطلق على القسم الشمالي من القارة الممتد من غرب نهر النيل إلى المحيط الأطلسي، فهو يأتي في المرتبة الثانية بعد اسم "ليبيا" الذي شاع في المصادر اليونانية منذ القرن السادس قبل الميلاد [1]. ورغم أن الفراعنة كانت تربطهم علاقات وثيقة بساكنة هذه المنطقة إلا أنه لا يوجد في مصادرهم ما يشير إلى أنهم أطلقوا مصطلح عام عليها فلم ترد سوى تسميات تفصيلية تدل على القبائل التي كانوا في احتكاك معها سواء التي عاشت في مصر بشكل هجرات أو تلك التي خاض الفراعنة معها حروب عديدة أبرزها "التحنو" و"التمحو" و"الماشواش" وحتى " الريبو" او " الليبو" المذكورة في نصوص الفرعون "منربتاح" والفرعون "رمسيس الثالث" لم تكن سوى قبيلة من القبائل التي عرفت فيما بعد "الجلجاماي" عند هيرودوت [2].

ويبدو أن هيرودوت أخذ مصطلح " ليبيا" من المصادر الفرعونية ثم استعمله كمصطلح عام على كامل المنطقة الممتدة من غرب نهر النيل إلى المحيط الأطلسي[3] بما فيها ساكنة الصحراء الكبرى مثل قبائل " الغرامنت"، أما ساكنة جنوب الصحراء الكبرى فأطلق عليهم هيرودوت اسم "الأثيوبيون" .[4]

أما مدلول كلمة " ليبيا" فإنه من الأصح استخدام لفظة " لوبة لأنه ورد في نقوش بونية اسم "لوبيم" حسب رأي محمد حسين فنطر الذي اطلع على معلومات واسعة في هذا المجال، ويبدو حسب اعتقادنا أن كلمة "ليبيا" هي كلمة نقلت من المصادر اليونانية التي تكون قد حرفت لفظ "لوبة" إلى "ليبيا" وهذه الأخيرة

---

[1] هيرودوت، تاريخ هيرودوت، الكتاب الرابع، تر عبد الإله الملاح، أبوظبي، المجمع الثقافي، 2001 ص، 359.

[2] أحمد عبد الحليم دراز، مصر وليبيا فيما بين القرن السابع والقرن الرابع قبل الميلاد، (د.م)، (د.ت)، ص، ص، 36-47.

[3] مصطفى أعشي، أحاديث هيرودوت عن الليبيين (الأمازيغ)، الرباط، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، 2009، ص، 11.

[4] هيرودوت، تاريخ هيرودوت، المصدر السابق، ص، ص،364، 369.

تلائم النطق اليوناني [1]و بحسب الدكتورة مها عيساوي قد يكون اسم "لوب" ساميا لوجود في المعاجم العربية يدل على أرض الجفاف في حين أنه لا يمكن تعميمه على كل المنطقة الدالة عليه من الناحية الجغرافية[2].

أما مصطلح "إفريقيا"[3] الذي هو محل الدراسة فهو يأتي في المرتبة الثانية بعد مصطلح "لوبة" للدلالة على كامل شمال إفريقيا باستثناء مصر وتعتبر المصادر الرومانية أول من عمم اللفظ في حين اختفى مصطلح "لوبة" تدريجيا منها، ومن المصادر الرومانية التي أشاعت استخدم هذا اللفظ كتاب يوليوس قيصر الذي خصص فصلا كاملا سماه "حرب إفريقيا"[4] وبومبيوس ميلا (Poponius Mela) الذي خصص لذلك الفصل الثامن من كتابه الأول،[5] وفي كتاب تيت ليف (Tite Live) أصبح اسم إفريقيا معروف وشائع .[6]

تاكيتوس صاحب كتاب الحوليات من المصادر التي استخدمت مصطلح افريقيا بشكل عام [7]. كما نلاحظ أن اسم إفريقيا ذكر في اللغة الادارية للإمبراطورية الرومانية واستعمل في بداية الأمر للجزء المقابل لصقلية وسردينا بما يتوافق مع خصم الرومان أنداك وهو قرطاج ثم عمم المصطلح ليشمل كامل المنطقة الممتدة من قورينيا (أقصى شرق ليبيا) إلى موريتانيا، وهو نفس النطاق الجغرافي الذي أطلق عليه الاغريق اسم ليبيا وكذلك يمكن استخدامه على النطاق الجغرافي الحالي الممتد من قورينيا حتى حدود المغرب الأقصى الغربية (المحيط الأطلسي).[8] وظهر هذا المصطلح لأول مرة في اللغة الادارية للسلطة الرومانية مباشرة بعد سقوط قرطاج على يد الرومان سنة 146 قبل الميلاد.[9]

---

(1) مها عيساوي، المرجع السابق، ص،22 .

(2) نفسه، ص، 19.

(3) مصطلح افريقيا لا يشمل مصر عند المؤرخون القدماء أنظر M.F.Charvéiat, De l'assimilation des indigéne dans l'Afrique Romaine Alger,imprimeur libraire de l'acdémie,1886,p,05.

(4) Jules César ,oeuvres complètes, présente Didier Hallépée , collection lettre Latines, 1 2012

(5) Pomponius Mela, Gégraphie, trd M.LouisBaudet,Paris,C.L.F, Panckoucke1843 Liv1,VII.

(6) Tite Live, Histoire Romaine,trd, DeM.Nisard,T 1,Paris,Firmin Didot,XXX,137-177.

(7) Tacite, Œuvres completes ,trd,J. L. Burnouf,Paris,Hachette,1859,II,48-51.

(8) souvenirs de l'ancienne Eglise d'Afrique, op cit,p,p,9 ,11 .

(9) Mohamed Meouak,Remarques sur la genèse du peuplement antique et médiéval du Maghreb l'apport de la toponymie et de la philologie, Rocznik Orientalistyczny, T. LXVI, Z. 1, 2013,p,62.

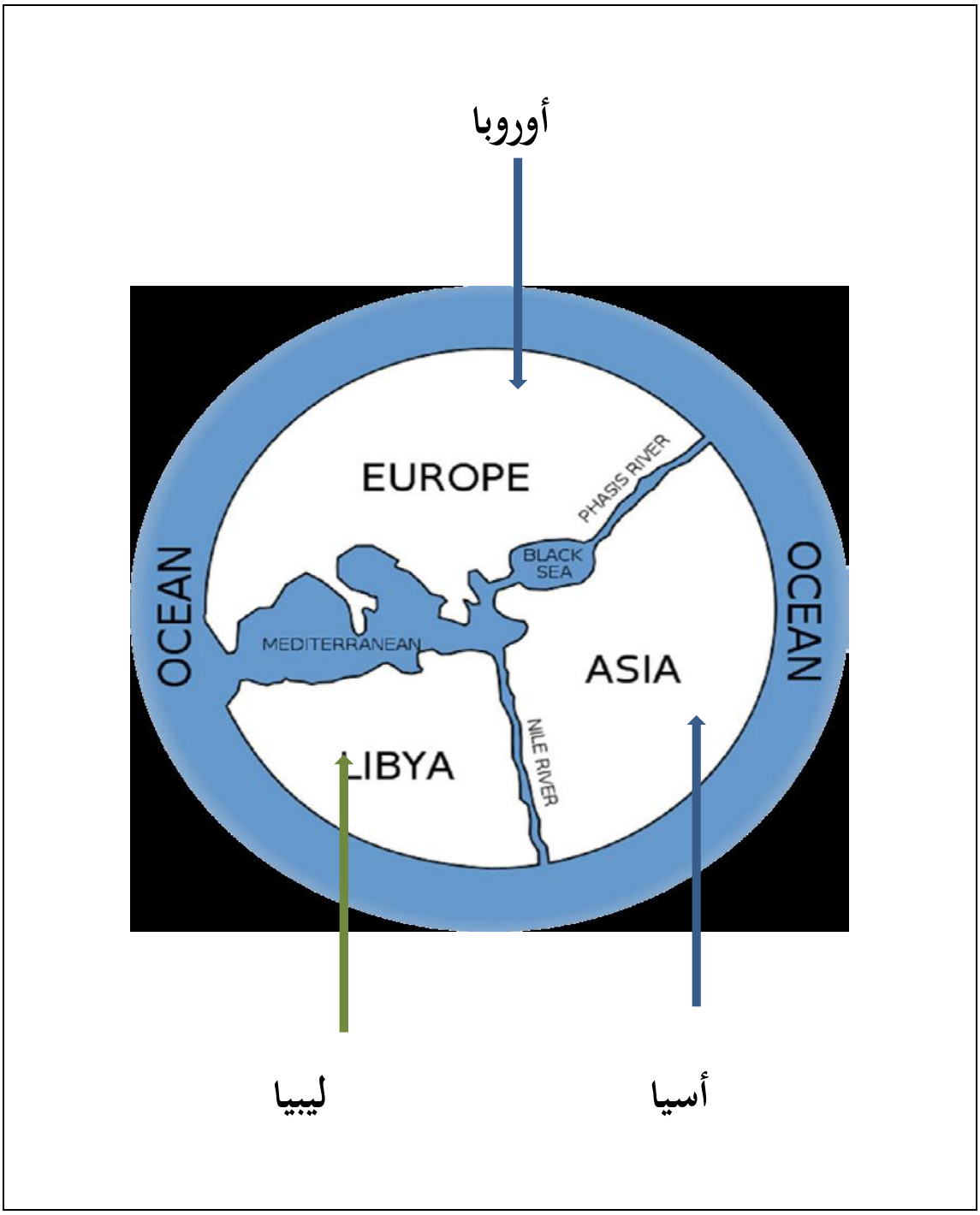

الشكل رقم 38: خريطة للعالم اليوناني أناكسمندر تضع ليبيا كقارة إلى جانب أوروبا وأسيا

مصدر الصورة:www.HiSTORY.ly

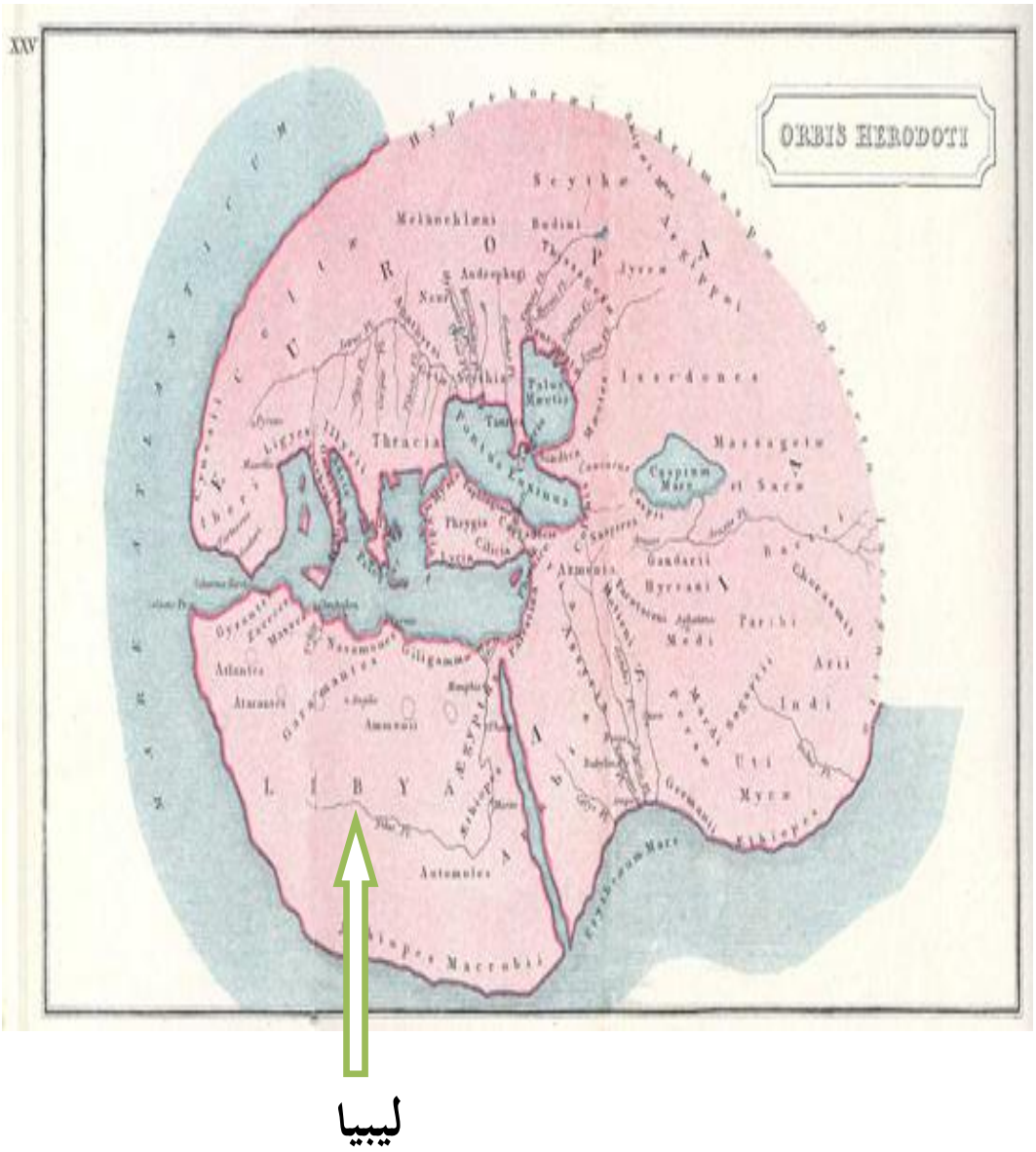

ليبيا

الشكل رقم39: خريطة ليبيا حسب مشاهد المؤرخ الاغريقي هيرودوت

مصدر الصورة : www.HiSTORY.ly

كما يمكن حصر النطاق الجغرافي لمصطلح " إفريقيا" من البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى غاية الصحراء الكبرى جنوبا، ومن وادي النيل والصحراء الكبرى شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، ومن هنا يبدو أن مصر لا تدخل في هذا التعريف بالمفهوم الروماني للمقاطعات.[1]

ومن ناحية أصل تسمية افريقيا فقد اختلف الباحثون كثيرا في اللغة التي ترجع إليها هذه الكلمة فهناك من يرى أن أصولها ليبية وهناك من يذهب إلى الأصول الفينيقية بينما آخرون ذهبوا إلى الأصل اللاتيني وأعطوا تفسيرات عديدة لهذا الاسم سواء القدماء منهم أو المعاصرين .[2] ففي العصور القديمة نجد المؤرخ اليهودي خلال القرن الثاني فلافيوس جوزيف يذهب إلى أن الشعوب التي تسمى ب "افري"Afri تنسب إلى أحد أبناء ابراهيم يدعى "أفر" Afer وهذا الأخير قاد حملة عسكرية إلى ليبيا وهزم خصومه، وأحفاده الباقين حملوا اسمه وعاشوا في اقليم افريقيا. [3] ويذهب ابن خلدون لنفس النظرية بأن أصل البربر كلهم يرجع إلى اسماعيل بن ابراهيم وسكنوا في افريقيا ولكن من دون تحديد تاريخي.[4]

بينما من يذهب إلى القول بالأصل اللاتيني للكلمة يستدل بعدم وجودها في اللغة البونية التي ظلت تستخدم اسم ليبياLyb . [5]

أما بالنسبة إلى الرأي الذي يقول بأصل كلمة " افريقيا" البربري فيستند إلى عدة أدلة منها وجود إلاه بربري ذكر في النقوش اللاتينية وهو "افري" Ifru" [6] وكذلك وجود قبيلة بربرية ذكرها ابن خلدون تسمى " بني إيفرن" وهي من أوسع بطون زناتة وظل اسم هذه القبيلة يستخدم كثيرا خلال العصور الوسطى خصوصا في المصادر العربية[7].

كذلك وجود قبيلة ليبية ذكرها الاغريق باسم "أفوراقس" أو "أفوراغس" وهي تشبه من ناحية النطق ما سماه الرومان بـ"افريقيا" فقد يدل ذلك على الأصل البربري للكلمة وأن هذه القبيلة كانت موجودة قبل مجيء

(1) Anaclet Dupar Lalhé, La formation du patrimoine des Eglises d'Afrique romaine Recherche de fondements théologiques, Thèse doctorat, L'Université canadienne Ottawa,2009,p, 20.

(2) Ibid,p,62 .

(3) Ibid.

(4) عبد الرحمان بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج7، مراجعة سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، 2000، ص، 6 .

(5) Mohamed Meouak,op cit,p,63 .

(6) ibid .

(7) عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ص، 15.

الرومان[1]، وحاليا "ايفوغاس" هي اسم لإحدى قبائل الطوارق،[2] وهناك مدن بشمال افريقيا تحمل اسم هذه اللفظة من بينها مدينة يفرن الواقعة في الشمال الغربي لليبيا[3].

وقد اختلف الباحثون حول تحديد مصدر تسمية أفري "Afri" فهو حسب عمار المحجوبي يرجع إلى اسم قبيلة ليبية كانت مستقرة في شمال مصب وادي مجردة وقد ورد اسمها في النقائش اللاتينية التي عثر عليها في بلدة أوقولا (Uccula) الواقعة بهنشير دورات وكذلك في نقائش بلدة سوا (Sua)، وبرأينا فإن الأرجح أن مصطلح " إفريقيا" محلي بالنظر إلى انتشار مشتقات هذا الاسم في كامل ربوع إفريقيا، واستخدامه في مناطق لم تخضع للسلطة الرومانية وكانت بعيدة عن مجال السيادة الرومانية في شمال إفريقيا .[4]

2/ تعريف بالكنيسة الافريقية ونشأتها

بعد أن تم التعرف على أصل تسمية "افريقيا" ومدلول المصطلح الجغرافي فإن الكنيسة [*]الافريقية تمتد إلى نفس النطاق الجغرافي الممتد من قورينيا إلى المحيط الأطلسي وهي نفسها المنطقة المعروفة في المؤلفات باسم "افريقيا المسيحية" (Afrique Chrétienne)[5] ويرى فرانسوا باراث أن افريقيا في القرن الثالث الميلادي أصبحت أكثر وضوحا في حدودها نتيجة لوصول التوسعات الرومانية لأقصاها فهي تمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى غاية خليج السرت شرقا ومن البحر المتوسط شمالا حتى الحدود الصحراوية جنوبا وهي تضم البلدان المعروفة اليوم ليبيا وتونس والجزائر والمغرب الأقصى باستثناء اقليم قورينيا الذي ظل خاضعا للتأثيرات الاغريقية[6] وكذلك فإن الدراسات الكنسية الحديثة التي قرأت التاريخ المسيحي في شمال افريقيا خلال العصور القديمة استخلصنا منها أن مفهومهم للكنيسة الافريقية يشمل النطاق الجغرافي الذي يعرف اليوم باسم

---

(1) محمد شفيق، ثلاثة وثلاثون قرنا من تاريخ الأمازيغ،مؤسسة تاوالت الثقافية،د.ت، ص، 14 .

(2) سعد المهدي، قضية الطوارق في مالي، مجلة قراءات، العدد 13، سبتمبر2013، ص،34.

(3) فاطمة محمد سليمان المعلول، يفرن دراسة في جغرافية المدن، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2006، ص، 12.

(4) عمار المحجوبي، ولاية افريقيا من الاحتلال الروماني إلى نهاية العهد السويري (146ق.م-235م)، تونس، مركز النشر الجامعي،2001، ص، 6 .

(*) الكنيسة كلمة مأخوذة من اللغة اليونانية وأصها "إكليزيا" وهي تطلق على مجلس جماعة من الناس، وقد استخدمتها الديانة المسيحية للدلالة على الجماعة المؤمنة بها، وهذه الجماعة تنتخب أسقفا لها وتطور التنظيم الكنسي فاصبح يعين رئيس الأساقفة والأسقف ثم البطريك إضافة إلى خدمة الكنيسة الأخرين الكهنة والشماسة، أنظر، عمران عبد المجيد، أطروحة دكتوراه، المرجع السابق، ص، 99 وقد أسست أول كنيسة في تاريخ المسيحية بأورشليم (القدس) كما ورد ذلك في سفر أعمال الرسل وقد استخدموا الكنيسة للتجمع والصلاة والأكل وعلى أساس ذلك اعتمدت الكنائس الأخرى في نشأتها أنظر روبين دانيال، المرجع السابق، ص، 72.

(5) souvenirs de l'ancienne Eglise d'Afrique,op cit,p,12 .

(6) Francois Baratte,Rome en Afrique,www.clio.fr,2009,p,01.

(ليبيا وتونس والجزائر والمغرب الأقصى)[1] ، وقد عرفت افريقيا تغيرات ادارية مختلفة منذ خضوعها للاحتلال الروماني منتصف القرن الثاني قبل الميلاد حيث استحدثوا مقاطعة افريقيا (قرطاج) بعد هزيمة هذه الأخيرة على يدهم سنة 146 قبل الميلاد وأصبحت هذه المقاطعة تخضع إلى السلطة الرومانية المباشرة، ثم جاء الدور على مملكة نوميديا بعد القضاء على يوغرطة والتدرج في احتلال هذا الاقليم ليخضع بصفة مباشرة بعد نهاية حملة قيصر سنة 46 قبل الميلاد، ومع نهاية 43 ميلادي أخضع الامبراطور كلوديوس موريتانيا للإدارة الرومانية بقسمين: موريتانيا القيصرية وعاصمتها شرشال وموريتانيا الطنجية وعاصمتها طنجة ويبدو أن هذه السياسة في اخضاع أقاليم إفريقيا المنتهجة من قبل الرومان هي طريقة للتعرف على الأقاليم بصفة منتظمة واحكام السيطرة عليها حتى يسهل الانتقال إلى الاقليم الآخر.[2]

وهكذا فإنه في القرن الأول الميلادي خلال بداية ظهور المسيحية فإن افريقيا المسيحية كانت تضم أربع مقاطعات: افريقيا القديمة (قرطاج) وافريقيا الجديدة (نوميديا) وموريتانيا القيصرية وموريتانيا الطنجية، في حين أن اقليم قورينيا لا يدخل ضمن المقاطعات الافريقية لأنه كان خاضعا للتأثير الاغريقي.[3]

على أن الولايات الافريقية لم تكن ثابتة في حدودها طيلة الزمن فهي أحيانا تتوحد مثل ما حدث بين افريقيا القديمة وافريقيا الجديدة التي توحدت في مقاطعة أطلق عليها " البروقنصلية" وذلك سنة 27 ق.م لذلك فإن الكثير من الأحداث التي تمس الولايتين حتى بعد انتشار الديانة المسيحية تكون مشتركة ولم يشذ النظام العسكري عن هذه القاعدة فقد كلف الجيش الأوغسطي الثالث الذي كان مقره مدينة تيفاست (قبل أن يتحول إلى لامباز) بحماية المقاطعة البروقنصلية.[4]

أما مع نهاية القرن الثالث الميلادي حتى منتصف القرن الخامس الميلادي وهي الفترة التي نركز عليها في الصراع الديني فإن افريقيا كانت مقسمة إلى سبع ولايات على الشكل الآتي:

1-البروقنصلية وعاصمتها قرطاج

2_بيزاكينا Byzacena (المزاق) وعاصمتها حضرموت (سوسة حاليا)

(1) Pére J .Mesnage,Le christianisme en Afrique ,Alger,Libraire-Editeur,1915,p,8 .
(2) souvenirs de l'ancienne Eglise d'Afrique,op cit, p, 13 .
(3) ibid, p,,p, 13-18.
(4) عمار المحجوبي، المرجع السابق، ص، 93.

3_الطرابلسية وعاصمتها ليبتيس ماغنا

4-نوميديا وعاصمتها سيرتا

5_موريتانيا السطائفية وعاصمتها سطيف

6_موريتانيا القيصرية وعاصمتها شرشال

7_موريتانيا الطنجية(*) وعاصمتها طنجة[1]

ويمكن تقسيم مراحل الوجود المسيحي في افريقيا إلى المراحل التالية:

1-منذ ظهور المسيحية حتى عصر الاضطهادات الأوائل (34م-198م) وهي الفترة التي تبلورت فيها الديانة المسيحية بالعالم القديم وفي شمال افريقيا من خلال التوسع وبناء الكنائس الأولى وظهور القديسين الأوائل.

2-منذ بداية عصر الاضطهاد الثاني للمسيحيين وهو عصر اضطهاد الوثنيين ويستمر إلى غاية صدور مرسوم ميلان 313م (198م-313م) الذي أنهى عصر الاضطهادات.

3-ويمكن أن نطلق عليه عصر الدوناتية ويبدأ منذ صدور مرسوم ميلان إلى غاية الاحتلال الوندالي (313م-428م)، وخلاله تم الاعتراف بحرية الديانة المسيحية ثم اعتمادها كديانة رسمية للدولة ليبدأ الصراع بين الكاثوليك والدوناتيين في شمال إفريقيا.

4-عصر الاحتلال الوندالي (429م-533م).

5-عصر الاحتلال البيزنطي(533م-670م).

(*) في إصلاحات الإمبراطور دقلديانوس كان مصطلح إفريقيا يضم كل الولايات المذكورة باستثناء موريتانيا الطنجية التي ألحقت بمقاطعة إسبانيا أنظر، يوسف عيبش، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لبلاد المغرب أثناء الاحتلال البيزنطي، أطروحة دكتوراه، جامعة قسنطينة،2007، ص،117.

[1] محمد المبكر، شمال افريقيا القديم، حركة الدوارين وعلاقتها بالدوناتية، 305م-429م، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، 2001م، ص، 22 .

وسنركز على العصر الثالث الذي عرفت فيه المسيحية الافريقية تحولا كبيرا تميز بالصراع بين الكنيسة الافريقية الرسمية والحركة الدوناتية.[1]

أما عن نشأة الكنيسة الافريقية فرغم غياب تواريخ دقيقة لتحديد مضبوط إلا أن المعطيات المتوفرة تبين أنها ظهرت في حوالي القرن الثاني الميلادي ويعود الفضل في ذلك إلى ترتليان الذي أسس أول كنيسة في شمال افريقيا وهي كنيسة قرطاج [2] غير أن محمد البشير شنيتي يرى أن التنظيم الكنسي في إفريقيا تم على يدي مبعوثين من كنيسة روما نظرا ويبدو أن ذلك يعود إلى وجود ارتباط بين التنظيم الاداري والتنظيم الكنسي.[3] وأدى الانتشار الواسع للديانة المسيحية في افريقيا إلى نشأة أول كنيسة بهدف تنظيم اجتماعات المسيحيين وتعليم العقيدة المسيحية ،[4] وهذا التنظيم ضروري في ظل وجود معطيات أن أغلب مدن افريقيا البروقنصلية وجزء كبير من نوميديا اعتنقوا الديانة المسيحية في نهاية القرن الثاني الميلادي[5] وضروري أيضا بهدف حصر نشاط الأسقفيات في المقاطعات الافريقية واخضاعها لنظام موحد فقد كان من أولويات الكنيسة الأولى التركيز على وحدة صفوفها [6].

وإذا كانت كنيسة قرطاج أول كنيسة أسست في شمال افريقيا خلال القرن الثاني الميلادي فخلال هذا القرن نشأت كنائس أخرى في افريقيا أهمها كنيسة ستيفيس وكنيسة لامبيسيس (تازولت حاليا في باتنة) وكنيسة مادورا (مداوروش) بالجزائر و كنيسة أثما وكنيسة تيربرمنيس وكنيسة تيسدروس(الجم حاليا) بتونس، أما في ليبيا فتأسست كنيسة ليبتيس ماغنا وهي أمثلة فقط ففي إفريقيا كانت أغلب المدن الكبرى والوسطى تضمن كنيسة واحدة على الأقل [7]، على أن ذلك لا يعني أن المدن الصغرى والقرى لم تقوم بهذه التجمعات التي يولي لها المسيحيون أهمية كبرى فقد أقيمت تلك التجمعات في المنازل والغابات والحقول[8].

(1) Francois Decret,op cit,p,75 .

(2) حميدة نشنش، المرجع السابق،ص، ص، 159، 160 .

(3) محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص، 322 .

(4) Tertullien ,op cit, ,pp,4-6

(5) Paul Monceaux, Histoire litéraire de l'Afrique Chéritienne ,op cit, T2,p,3

(6) حميدة نشنش، المرجع السابق، ص، 63.

(7) روبين دانيال، المرجع السابق، ص، 68 .

(8) نفسه، ص، 110.

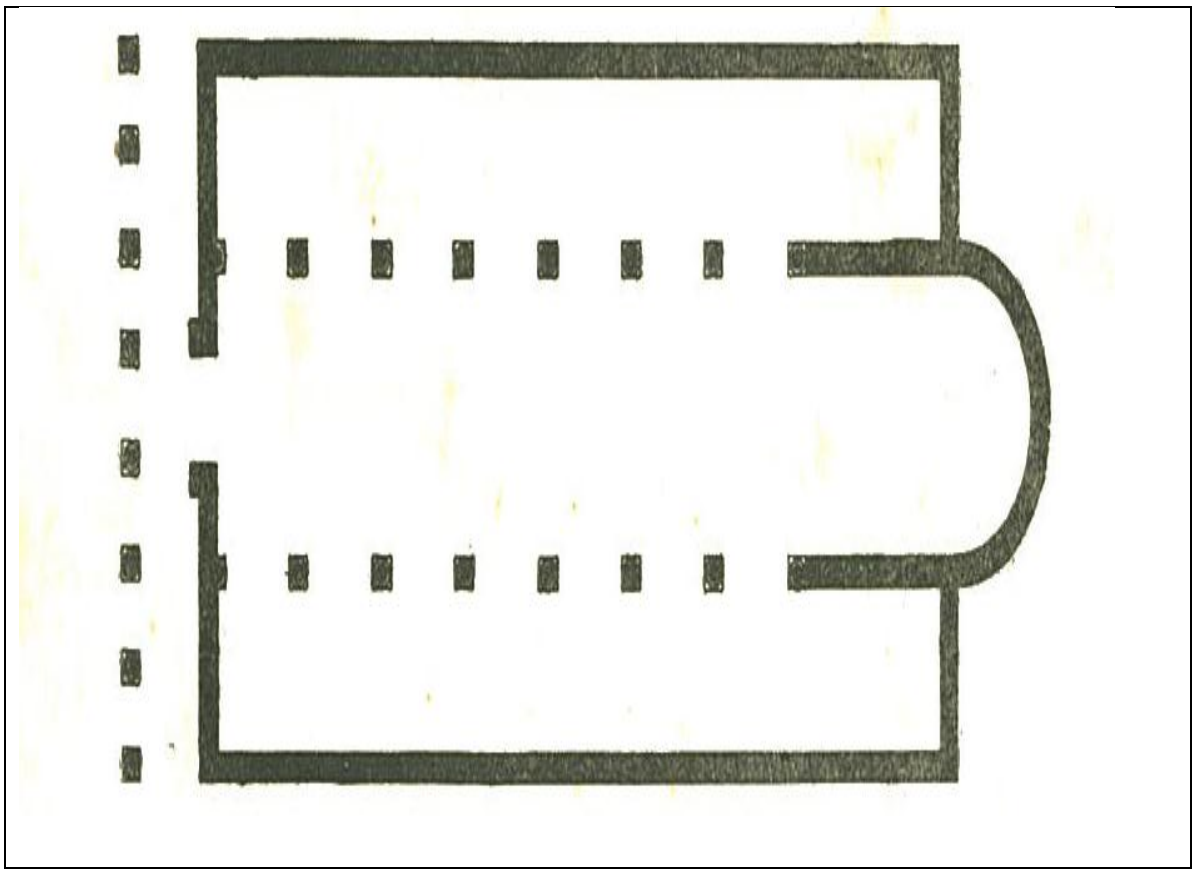

الشكل رقم 40 : مخطط عام للكنيسة الإفريقية حسب ستيفان غزال

المصدر: R.Lemaire, L'origine de la Basilique Latine, Vromant editeures, Bruxelles et Paris, 1911,p, 91.

3/ مكانة كنيسة قرطاج في افريقيا المسيحية

أشرنا في السابق إلى أن مدخل الديانة المسيحية إلى افريقيا كان عبر مدينة قرطاج التي عرفت أولى شواهد انتشار هذه الديانة سواء كانت شواهد مادية أو كتابية وذلك كان بسبب متانة الصلة بين قرطاج وروما من جهة وكثافة الصلة مع الشرق أيضا، فارتباط قرطاج بالغرب والشرق ساعد أفكار الديانة المسيحية على الانتشار السريع[1] وهذا الارتباط كان إما بفضل رواج التجارة القرطاجية أو بفضل وجود جاليات

[1] عمار المحجوبي، المرجع السابق، ص، 149.

ايطالية هامة تقطن بقرطاج وتتواصل بشكل دائم بروما[1] ،وكذلك وجود حواضر يهودية في قرطاج وضواحيها يمكن أنه ساعد على الاتصال بين الديانتين اليهودية والمسيحية على أساس أن اليهود سابقين في معرفة وحدة الألوهية وفي نفس الوقت كانوا على علم بما يجري من تطورات في الشرق ويمكن اعتبار الجالية اليهودية التي عثر على مقبرتها بضاحية غمارت Gammarth (شمال قرطاج) مهدا للاتصال بين الديانتين.[2]

ولم يكن اليهود الجنس الوحيد في قرطاج بل إن هذه الأخيرة تضم العديد من الأجناس من مختلف أنحاء العالم القديم وهذا ما يساعد على انتشار الأفكار الجديدة قبل الولايات الأخرى من افريقيا، أيضا مدينة قرطاج من الناحية الحضارية كانت قوية خصوصا في مجال الاقتصاد والمجتمع والفكر فهي مثل روما في أوروبا والاسكندرية في مصر وهذين المدينتين الأخريتين عرفت الديانة المسيحية انتشارا واسعا فيهما ويبدو أن ازدهار التجارة في قرطاج من العوامل المهمة في التواصل بين قرطاج وغيرها من الحواضر[3]، إضافة إلى أن صيت شهرة كنيسة قرطاج في افريقيا جاءت بفضل ما قدمته من شهداء حسب مفهوم الكنيسة وذلك منذ السنوات الأولى لانتشار المسيحية من بينهم بربيتي فليسيتي (Perpétue Félicité) الذي توفي سنة 202م والقديس كبريانوس الذي توفي سنة 258م [4]، ولم تقدم قرطاج شهداء للكنيسة بتضحياتهم الجسدية فقط بل حتى الأقلام والأفكار الأولى للديانة المسيحية انطلقت منها فالوثائق الأصلية التي تمثل المصدر الرئيسي لتاريخ وأسرار الكنيسة كتبها ترتيليان وتلميذه كبريانوس في قرطاج خلال القرن الثالث الميلادي ،فهنا نتذكر المكانة العلمية ودور المدارس القرطاجية [5] وفي قرطاج كذلك عقدت أولى المجامع[6]الكنسية الأولى التي وضعت أسس الفكر المسيحي [7]

(1) souvenirs de l'ancienne Eglise d'Afrique,op cit, p,82.
(2) Joseph Cuoq,op cit,p,09.
(3) ibid,p,09 .
(4) SlahSelmi,op cit, p,p,211-213 .
(5) جورج حبيب بباوي، المعمودية في الكنيسة الواحدة الجامعة الرسولية، موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية، 2008، ص، 19 www.coptologie.org
(6) المجامع هي مجموعة من الاجتماعات التي تقوم بها الكنيسة لدراسة المشاكل الايمانية والتنظيمية للكنيسة، أنظر القمص تادرس يعقوب ملطي، قاموس المصطلحات الكنسية، تر، شاكر باسيليوس ميخائيل، القاهرة، مطبعة الاخوة المصريين، 1991م، ص،88 .
(7) نفسه، ص، 99

ويحسب أول مجمع كنسي عقد بها للأسقف أغريبينوس Agrippinus بين 218 م و222 م حضره ثمانية عشرة أسقفا من نوميديا وهو ما يؤكد مرة أخرى المحاولات الأولى لكنيسة قرطاج لفرض مكانتها وترأس الكنائس الإفريقية.[1]

وقد ظلت كنيسة قرطاج المركز الأساسي لعقد المجامع الكنسية في بلاد المغرب القديم طيلة وجود الديانة المسيحية [2] ، حتى المجامع التي كانت تعقد خارج قرطاج يبدو أن أساقفتها هم الذين يترأسونها فعلى سبيل المثال مجمع هيبون سنة 393 م ترأسه أسقف قرطاج أورليوس رغم وجود أوغسطين على رأس أسقفية عنابة واعتقادنا بأن هذا الأخير أكثر تفوقا وكفاءة من أورليوس بالنظر إلى خبرته ومؤلفاته الواسعة لكن هنا في هذا الإطار شهرة قرطاج ومكانتها في إفريقيا تفوقت على شهرة ومكانة هيبون وهي النقطة التي جعلت أورليوس يترأس هذا المجمع، كما يبدو أن هناك عقدة تاريخية من النوميديين تجاه قرطاج وهي شعورهم بالنقص أمام ساكنة قرطاج بمن فيهم مفكريها.[3]

كما نجد أن أسقف قرطاج كان يتمتع بمزايا أخرى تميزه عن نظرائه الأفارقة فهو الذي يوافق على الانتخابات الأسقفية ويتدخل في تنقل الاكليروس، ويتكلم بالنيابة عن كل رجال الدين في إفريقيا، كما كان يستشار أحيانا من طرف أساقفة اسبانيا وبلاد غالة رغم أن هذا الاعتراف الروحي لم يكن قانون مكتوب أو وثيقة تقر بذلك فهو بمثابة عرف جرى اعتماده بعض من مخلفاته يرجع إلى ما قبل المسيحية حينما كانت قرطاج تعتقد بزعامتها على المستوطنات الفينيقية في غرب البحر المتوسط.[4]

كل هذه العوامل ساهمت في أن تكون كنيسة قرطاج هي الكنيسة الرسمية في افريقيا وتمثل كل الكنائس الافريقية أمام كنيسة العاصمة روما.[5]

(1) Julien l'Apostat, Sapor, Genséric, op cit, XC, 1.

(2) Anaclet Dupar Lalhé,op cit,p,54.

(3) Charles Joseph Hefele , Histoire des conciles , d'apres les documents origInaux, Paris, Letouzey Etane,1908,T 2,p, 82.

(4) حميدة نشنش، المرجع السابق، ص، 72.

(5) محمد البشير ، المرجع السابق، ص، 322.

من قسطنطين أوغسطس إلى ملتيادس 2 أسقف روما وإلى مرقس 3. نظرا لأن أنولينس والي إفريقيا العظيم قد أرسل إلي عدة رسائل قيل فيها أن سيسيليانوس أسقف مدينة قرطاجنة وجهت إليه تهم كثيرة من بعض زملائي في إفريقيا، ونظرا لأنه يبدو لي أنه لأمر خطير جدا أن يسلك الشعب في تلك الأقطار التي عهدت إلى العناية الإلهية رعايتها، والتي يقطنها عدد وافر من السكان – طريقا خاطئا، وأن يكونوا منقسمين إلى حزبين، وأن يكون الأساقفة مختلفين.

الشكل رقم41: رسالة للإمبراطور قسطنطين يُفهم من خلالها زعامة قرطاج للكنائس الإفريقية

المصدر: يوسابيوس القيصري، المصدر السابق، ص، 500.

لكن تبعية كنيسة قرطاج لروما لم تكن مطلقة في كل الحالات فأحيانا كانت تنفجر الخلافات بينهما مما يؤدي بالكنيسة الأم في روما إلى استدعاء وفود من شمال إفريقيا للنظر في الخلافات، وأحيانا تدخلت لصالح كنيسة روما في مواجهة الانشقاقات والبدع في الكنائس الأخرى، [1] ولعل أهم الخلافات التي وقعت بين قرطاج ورما هي قضية التعميد بين سنتي (255-257)،[2] عندما رفض كبريان أسقف قرطاج رفضا قاطعا إعادة الهراطقة إلى الكنيسة إلا بعد أن يعمدوا من جديد وهو ما أغضب أسقفية روما التي تذهب إلى خلاف ذلك.[3]

الأساقفة الذين أشرفوا على كنيسة قرطاج

1-أغريبينوسAgrippinus أول أسقف عاش في نهاية القرن الثاني الميلادي

2-أوبتا Optatus أكمل المهمة في القرن الثالث الميلادي

3-كروس Cyrus توفي سنة 224م

4-دوناتوس Donatus توفي 248م

5-سانت كبريان أستشهد 258م

(1) Charles Pietri , Les Lettres nouvelles et leurs témoignages sur l'histoire de l'Église Romaine et de ses relations avec l'Afrique Rome École Française de Rome, 1997,p,530.

(2) Dom H. Leclrcq , L'Afrique Chrétinne, Paris, Librairie Victor Lecoffre, T 1, 1910, p,p,208,209.

(3) يوسابيوس القيصري، المرجع السابق، ص، 347.

6-كاربوفروس Garpophorus توفي 263م

7-ليكيانوس ,Luciaxus توفي 292م

8-مونسيريوس ,Mensurils توفي 311م

9-كالونوس ,Cecilianus توفي 327م

10-ريفوس ,Rufus توفي 343م

11-غراتيوس Gratus توفي 353م

12-ريستوتوس توفى 373م

13-جنوليسيوس ,Geneglius توفي 391م

14-أورليوس ,Aurelius توفي 429م[1]

ويذهب محمد البشير شنيتي إلى أن أسقفية قرطاج أصبحت مسؤولة على كل الكنائس الافريقية أمام كنيسة روما وذلك منذ مؤتمر 229م[2]

4/ تنظيم الكنيسة الافريقية

تعود الأصول الأولى لتنظيم الكنيسة في افريقيا إلى البدايات الأولى لانتشار المسيحية بالرغم من أنه يصعب تحديد حدود الكنائس الأولى ومجال تأثيرها وذلك إلى غاية عهد الأسقف كبريانوس حيث بدأت تظهر بعض المعلومات المتعلقة بالتنظيم الكنسي والذي ذكر تبعية ثلاث مقاطعات مدنية لرئاسة أسقفية قرطاج[3].

بل يذهب بول مونصو إلى أنه منذ 180م إلى غاية 213م كانت كنيسة قرطاج تمتلك السلطة على جميع الكنائس في افريقيا وهذه السلطة تجعل الكنائس الأخرى خاضعة لها ولا تقرر في المسائل الهامة إلا

(1) E .D Sainte –Marie, op cit,p,44

(2) محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص، 323.

(3) حميدة نشنش، المرجع السابق، ص، 63 .

بالعودة لكنيسة قرطاج[1]، وقد تم اعتبار هذه المكانة لكنيسة قرطاج مقارنة بالكنائس الإفريقية الأخرى بطريقة عرفية ولم يكن هناك قانون مكتوب يلزم الكنائس الأخرى بتبعيتها لكنيسة قرطاج[2]، لكن يبدو أن هذه السلطة التي كانت تمتلكها قرطاج على كامل الكنائس الافريقية كانت أمام كنيسة روما والدليل على ذلك أنه في عهد الأسقف كبريانوس من 251م -257م تغيرت أفكار كنيسة قرطاج فهو الذي دعى إلى فصل كنيسة قرطاج عن كنيسة روما واستقلاليتها عنها [3] ، لكن ذلك لم يتحقق على أرض الواقع فرغم من اختلافهما أحيانا في الجانب العقائدي والفكري إلا أن ذلك لم يخرج الكنيسة الإفريقية من دائرة الكاثوليكية ،[4] ونجد أنه على العموم كان التقليد السائد في الشرق أو الغرب يتفق على أن كنيسة روما هي الكنيسة الأم في الديانة المسيحية وأن جميع الكنائس المحلية عليها الأخذ بعين الاعتبار بهذا التقليد، كما جرى اعتبار أسقف روما هو خليفة بطرس ودور أسقفيته له الأولوية خصوصا في الجانب اللاهوتي للديانة المسيحية وحل الخلافات المختلفة بين جميع الكنائس.[5]

ويبدو أن هذا التقليد استمر إلى غاية القرن السادس الميلادي حينما قرر الإمبراطور جوستنيان إضافة أربع أسقفيات أخرى تلي أسقفية روما بالترتيب وهي القسطنطينية –الإسكندرية–أنطاكية–القدس، والواضح هنا أنه تم تهميش كنيسة قرطاج رغم مساهمتها الكبيرة في الكنيسة الكاثوليكية[6] .

4-1- تقسيم الأسقفيات في إفريقيا

وعموما يصعب في افريقيا توضيح استقلال المقاطعات الكنسية في كل من نوميديا وبيزاسان والموريتانيتين عن كنيسة قرطاج فقد كان أساقفة هذه المقاطعات يحضرون بانتظام إلى المجمعات الكنسية التي

(1) Toutain Jules. L'Afrique chrétienne avant Saint Augustin [Paul Monceaux, Histoire littéraire de l'Afrique chrétienne depuis les origines jusqu'à l'invasion arabe , Journal des savants, 20e année Mars-avril 1922,p,66.

(2) يوسف عيبش، المرجع السابق، ص،123.

(3) Toutain Jules , L'Afrique chrétienne ,op cit ,p,70.

(4) Anaclet Dupar Lalhé, op cit ,p,5.

(5) Agios Nikolaos, Le rôle de l'évêque de Rome dans la communion de'Eglise pendant le premier millénaire, Le comité mixte de coordination pour le dialogue théologique entre l'Eglise catholique romaine et l'Eglise orthodoxe, Crète, Grèce, du 27 septembre au 4 octobre, 2008,p,p,01,02.

(6) Ibid, p, 05.

تعقدها كنيسة قرطاج [1] رغم تأسيس نوميديا لأول جثليقا[*] لها في مؤتمر سيرتا 305م أما بيزاسان فلم تضع جثليق لها إلا في حوالي 345م في حين تأخر جثليق موريطانيا السطائفية إلى غاية 393م أما في موريتانيا القيصرية والطنجية لم تحفل به إلا في سنة 407م ولهذا يظهر أن التقسيمات الكنسية لم تكن واضحة أو كانت بطيئة كلما ابتعدنا عن قرطاجة[2] ويذهب بيار باتيفول (Pierre Batiffol) إلى نفس الرأي حينما يعتقد بأن إفريقيا لم تكن مقسمة كنسيا قبل القرن الرابع الميلادي، وأن هذا التقسيم لم يحدث إلا في بداية هذا القرن .[3]

وبغض النظر عن تبعية الأسقفيات الافريقية لكنيسة قرطاج فإنه يمكن القول أن تنظيم هذه الأسقفيات في المدن المهمة كان معتبرا ففي كل مدينة مهمة نجد أسقفية رغم الملاحظة على أن هذا التنظيم تقل فعاليته كلما اتجهنا من الشرق إلى الغرب قياسا بقرطاج. [4] وأيضا فإن التنظيم الكنسي كان يتماشى مع خط التحضر حيث بدأ أكثر وضوحا في المراكز الكبيرة في حين أن الأرياف لم يكن بها هذا التنظيم معمول به إلى هذه الدقة مقارنة بالمدن الكبرى،[5] وهذا نموذج لتقسيم أبرز الأسقفيات في افريقيا ما بين 250-300م:

1-افريقيا البروقنصلية:

أ-التربولانية: لبتيس ماغنا-طرابلس-صبراتة-جربة

ب-بيزاسان: لمطة-سوسة- هرقلة وفي الداخل: قفصة-حيدرة-تبسة-تلابت-تالة-سبيطلة

ج-البروقنصلية: قرطاج- أوتيكا-بورتو فارينا (شمال شرق بنزرت)-رأس الجبل-بيزرت-طبرقة ومن أهم أسقفيات الداخل: باجة-الكاف-دقة

---

[1] حميدة نشنش، المرجع السابق، ص، 63

(*) جثليق أو كاثوليك هي كلمة سريانية تعني البطريك الصغير أنظر نيافة الأنبا ايسوزورس، الرهبنة الحبشية نشأتها تطورها، تأثيرها، قديسوها، مركز الدلتا للطباعة ، ط1، 1997م،ص،31، أما البطريك فهو بحسب قاموس المصطلحات الكنسية فهو أب الكنيسة كلها يرأس المجمعات المقدسة، أنظر، القمص تادرس يعقوب ملطي، المرجع السابق، ص، 13

[2] حميدة نشنش، المرجع السابق، ص، 65

[3] Pierre Batiffol, Le Primae Sedis episcopus en Afrique, Revue des Sciences Religieuses, 1923 , V 3, N 4,p, 425.

[4] Joseph Cuoq,op cit,p,p,18 .

[5] Anaclet Dupar Lalhé,op cit,p,62.

2-نوميديا:

سيرتا-عنابة-سكيكدة-جميلة-لامباز-خنشلة-تيمقاد-طبنة-ميلة

3-موريتانيا السطائفية:

منذ 256 م موريتانيا لها أسقف باسم كوينتوس (Quintus)، وفي مجال النقائش المسيحية مؤرخة منذ 225م.

4-موريتانيا القيصرية:

من أهم المدن التي كانت لها أسقفيات نجد : أوزية وتيبازة وشرشال، وفي مجال النقائش المسيحية فهي مؤرخة منذ سنة 227م

5-موريتانيا الطنجية:

كانت مقر الأسقفية في طنجة وقد ذكرنا سابقا اسم أحد شهدائها المعروفين في تاريخ الكنيسة وهو مركلوس(Marcellus)[1]

إلا أن هذا التقسيم تغير مع نهاية القرن الرابع الميلادي (فترة القديس أوغسطين)، فمن خلال مراسلات هذا الأخير يبدو أنه تم اعتماد تقسيم المقاطعات إلى: موريتانيا القيصرية- موريتانيا السطائفية- نوميديا-البروقنصلية-البزانس-طرابلس ونلاحظ أن مقاطعة موريتانيا الطنجية لم تعد تابعة للكنيسة الإفريقية.[2]

4-2- الوظائف في الكنيسة الإفريقية

إن تقسيم الوظائف في الكنيسة أمر ضروري يسهل من إدارتها ويجعل من كل عنصر خاضع للكنيسة يتحمل مسؤوليته في حدود المهام المكلف بها واستحدثت الوظائف لتسيير المهام الكثيرة كالقيام بالصلوات واطعام الأيتام وصيانة أثاث الكنيسة والمقابر المسيحية والتعليم.[3]

(1) Joseph Cuoq,op cit,p,p,18,19.

(2) Pierre Sarr, Administration et discipline ecclésiales dans l'Afrique chrétienne d'après quelques lettres de saint Augustin, Dialogues d'histoire ancienne, 2006 , V 32, N 1, p,84.

(3) روبين دانيال، المرجع السابق، ص، 165.

أما بالنسبة للوظائف المعروفة في الكنيسة الافريقية في بداية الأمر يتكون من أربعة مراتب وهي: الأسقف (episcopus)، والقساوسة (presbyteri)وهناك الشماسة (diaconi) والقراء (lectores) [1]

1-الأسقف: وكان الأسقف أهم وظيفة وهو المسؤول الهام في الكنيسة المحلية،[2] يعود الفضل في انشاء هذه المرتبة إلى كنيسة روما خلال القرن الثاني الميلادي في وقت لم تكن فيه هذه الكنيسة تحمل اسم البابوية رغم أن أسقف روما يمارس وظيفته مثل البابا[3] بحيث كان يرأس كل الكنائس الكاثوليكية في العالم الروماني ويبدو أن ذلك قياسا بمكانة روما على المستوى السياسي فالتنظيم الكنسي اقتبس أشياء كثيرة من التنظيم الاداري للدولة الرومانية ،[4] كما يمثل الأسقف الكنيسة في التواصل مع الكنائس الأخرى فهو سفير للكنيسة المحلية، [5] وعادة ما يترأس الأسقف كنيسة المدينة الكبيرة فالمدن الصغرى والقرى ليست بها أسقفيات، بل هي عبارة عن وحدات تسمى ب " الأبرشية" وهي أصغر وحدة في تنظيم الديانة المسيحية،[6] ونظرا لأهمية وظيفة الأسقف في الكنيسة فإن كبريان في كتابه" وحدة الكنيسة" يعتبره مصدر لهذه الوحدة، ولأن جميع الانشقاقات في الديانة المسيحية كانت تبدأ من الأساقفة .[7]

وترتبط مكانة الأسقف بمصطلح " الكاتيدرا" والذي يعني الكرسي كرمز من رموز سلطته ورعايته لأتباع كنيسته.[8]

أما بالنسبة لطريقة تعيين الأسقف فإنه كان ينتخب من قبل الشعب ثم يقوم زملائه بتنصيبه على رأس هرم الكنيسة، ويتشرط لتنصيبه أخلاقه العالية وايمانه القوي وأن يكون من قدماء الكنيسة.[9]

---

[1] حميدة نشنش، المرجع السابق، ص، 67

[2] Anaclet Dupar Lalhé,op cit,p,60.

[3] مصطلح البابوية أطلق لأول مرة على ياروكلا (هرقل) البطرك الثالث عشر في الكنيسة القبطية ثم انتقل اللقب إلى كرسي روما باعتبار أسقف روما رئيس الرسل عند الكاثوليك، أنظر، موسى بن عقيلي، البابوية عند النصرانية، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1433 هـ، ص، 18.

[4] Fabien Davier,op cit, p, 186.

[5] Anaclet Dupar Lalhé,op cit,p,69.

[6] Ernest Renan, Histoire des origines du Christianisme, Marc Auréle et la fin du maonde antique,L7,4 edit, Paris, Calmann Lévy, 1882, p, 411.

[7] Cypirien de Carthage, op cit, p, 07.

[8] شارل جنيبر، المرجع الساق، ص، 139.

[9] نفسه، ص، ص، 139، 140.

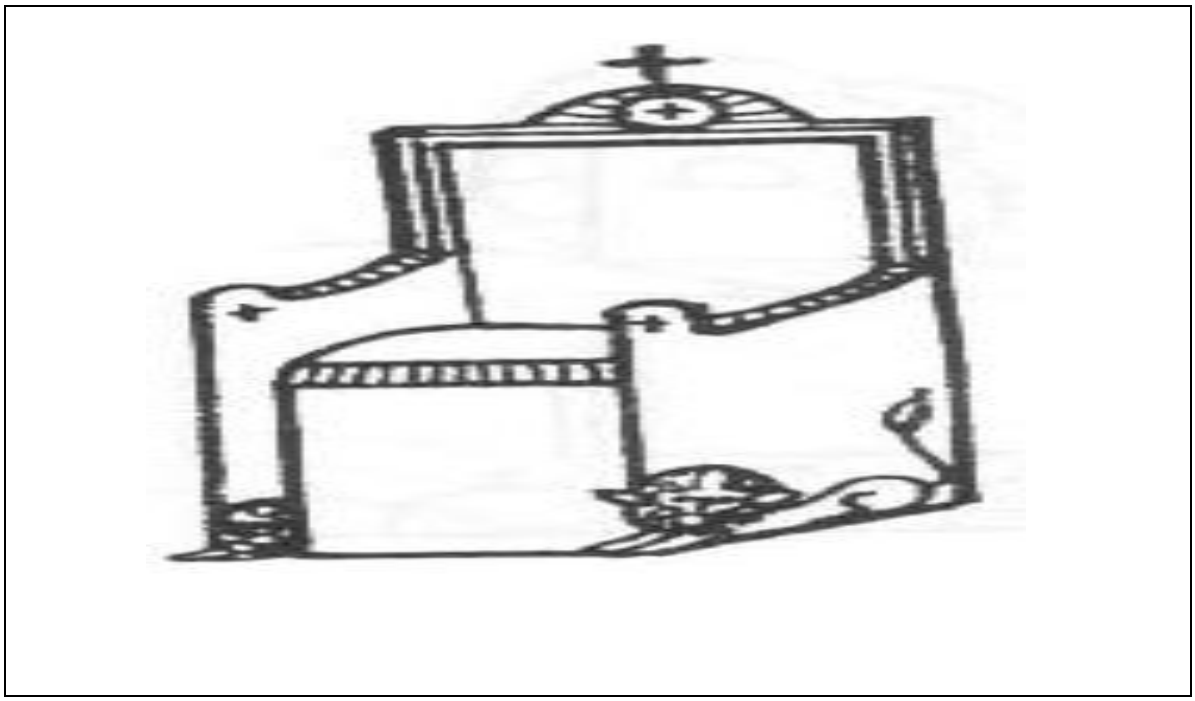

الشكل رقم 42: كرسي الأسقف في العصور القديمة كان يوضع وسط الدرج داخل الكنيسة

مصدر الصورة: القمص تادرس يعقوب ملطي، المرجع السابق، ص، 42.

2-القسيس: وهو في الأصل من حث اللغة كلمة يونانية (presbutéros) تعني الكبير في السن، ويبدو أن هذا النوع من الوظائف استعانت بهم الإدارات المدنية أيضا لما لكبار السن من خبرة في التسيير وتميزهم بالوقار.[1]

واعتبرت الكنيسة أن القس مهمته الاهتمام بالمسيحيين ورعايتهم كأولاد له.[2] ولكن الكنيسة اختارت القسيسين بناء على حكمتهم وليس بالضرورة أن يكونوا طاعنين في السن.[3]

وتعتبر مهمة القسيس مثل مهمة الوزير فهو مساعد للأسقف مكلف بعدة وظائف كاستقبال الأجانب في الكنيسة وزيارة المرضى وإدارة الشؤون المالية للكنيسة ودعم الأيتام والفقراء وهي وظائف أغلبها ذات طابع اجتماعي.[4] كما ينوب القسيس عن الأسقف في الوظائف الخاصة بالجانب الروحي ولهذا السبب اعتبروا

(1) Fabien Davier,op cit, p, 187.

(2) القمص تادورس يعقوب الملطي، المرجع السابق، ص، 40.

(3) يوحنا لورنس، تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة، بيروت، المطبعة الأمريكية، 1875، ص، 31.

(4) Fabien Davier,op cit, p, 189.

أنفسهم أعلى من درجة الشماس.[1] فالقسيس بإمكانه تعميد من يرغب في الدخول للديانة المسيحية بتفويض من الأسقف كما يتكفلون بتعليم مريدي التنصر كل ما يتعلق بتعاليم الديانة المسيحية وبذلك جمعوا بين المهمة التعليمية والمهمة الاجتماعية .[2]

3-الشماس[*]: هو أيضا من أعوان الاسقف في الكنيسة وظيفته مهمة حيث يعمل كوسيط مباشر بين الأسقف وأتباع الكنيسة [3]، يعين من قبل الأسقف ويعمل على خدمة المذبح[4] وخدمة الناس أيضا في الكنيسة، كما أن هذه الوظيفة لا تقتصر على الرجال فقط بل النساء أيضا اللواتي يهتمن بخدمة النساء القاصدين للكنيسة.[5]

والشماسين مستشارين للأسقف فيما يتعلق بكل الأمور الإدارية للكنيسة.[6] وفي بعض الكنائس الكبيرة يوجد عدد إضافي يطلق عليه " الشمماسة المساعدون" [7] ويبدو أن ذلك يرجع لانشغالاتهم وأعمالهم الكثيرة التي لا تقتصر على الوساطة بين الأسقف وأتباع الكنيسة بل تتعدى إلى الأمور الإدارية والمالية الأخرى،[8] ويبدو أنه في بعض الأحيان كان الشماس يمثل الأسقف في زيارة المرضى والمساجين ونقل الطعام إليهم مثلما فعل الشماسين ترتيوس (Tertius) وبومبونيوس (Pomponius) حينما زارا القديستين بربيتيا (Perpétue) وفليست (Félicité) ونقلا إليهم الطعام، وذلك لأن الإدارة الرومانية ومن منطلق أنهم سجناء لم تكن تقدم لهم وجبات تقيهم من الجوع فقد كانت غير كافية وعلى إثرها مات الكثيرون في السجون، فكان من مهمة الشماس التخفيف من حدة هؤلاء المحرومين.[9]

---

[1] شارل جنيبر، المرجع الساق، ص، 143.

[2] حميدة نشنش، المرجع السابق، ص، 150.

[*] كلمة دياكون بمعنى شماس أو خادم هي رتبة كانت موجودة في الجيش الروماني تطلق على ضابط يشرف على عشرة جنود، أنظر، جون لوريمر، تاريخ الكنيسة، ج3، القاهرة، دار الثقافة،د.ت، ط1،ص ، 118.

[3] Auguste Audollent, op cit , p, 396.

[4] المذبح في الكنيسة هو مائدة مكعبة تقام عليها الذبيحة المقدسة (جسد الرب ودمه) حسب اعتقادات المسيحيين، أنظرلقمص تادورس يعقوب الملطي، المرجع السابق، ص، 49.

[5] نفسه، ص، 27.

[6] حميدة نشنش، المرجع السابق، ص، 151 .

[7] Robin Daniel, op cit, p, 130.

[8] شارل جنيبر، المرجع الساق، ص، 143.

[9] Dom H. Leclrcq , op cit,p, p,184,185.

4-القراء: من وظائف الكنيسة أيضا يقوم من كلف بها بقراءة مختارات أو فصول من الكتاب المقدس في المناسبات الدينية .[1]

ظهر القراء لأول مرة بقرطاج بداية القرن الثالث الميلادي وذكرهم ترتيليان كما ذكرهم كبريان ويبدو أنهم كانوا يتميزون بفصاحة اللسان نظرا لما تتطلبه وظيفة القراءة من حسن الصوت وايصاله إلى مرتادي الكنيسة،[2] ومن أبرز القراء الأفارقة أوريوس (Aurelius) الذي عاش في عصر كبريانوس وهذا الأخير هو الذي رقاه لمرتبة قارئ كما ذكر من القراء فيتاليس سيريلوس (Vitallis Cyrillus) في بداية القرن الرابع الميلادي.[3]

وتعتبر الوظائف الأربع المذكورة هي الوظائف الرئيسية في الكنيسة، لكن مع نمو الكنائس وازدياد عدد المسيحيين أضيفت وظائف ثانوية أخرى فمنذ القرن الثالث الميلادي وضع حارس لباب الكنيسة ويبدو أن مهمته كانت تقتصر على مراقبة مرتادي الكنيسة وحماية ممتلكاتها،[4] كما هو شأن الكنيسة الدوناتية بمدينة هيبون التي وضعت كاهنا لحراستها ومنع المتطفلين الكاثوليك من دخولها، وقد تكون وظيفة الحراس نشأت بسبب الصراع الديني، هذا الصراع أخل بالأمن في ربوع إفريقيا فاستدعى تنصيب حارس في مدخل الكنائس لضمان أمنها،[5] ولا نجد أن التنظيم الكنسي في إفريقيا يذكر كثيرا مهنة البواب ويبدو أنه بسبب عدم أهمية وظيفتهم وقلة السياق الذي يذكرهم.[6]

ومن الوظائف الأخرى الأقل أهمية الحفارون (Fossores) الذين يقومون بوظيفة التكفين والدفن، ويبدو أنها من الوظائف الإغريقية التي انتقلت إلى المجتمع اللاتيني ولا نجد لهذه الوظيفة إشارات كثيرة في إفريقيا، لكنها ذكرت في محضر الكنيسة الرسمي لسيرتا سنة 303 م مع اعتقاد الباحثين بأن هذه الوظيفة انتشرت بعد السلام المسيحي في الكنائس الإفريقية الأخرى.[7]

---

[1] القمص تادورس يعقوب الملطي، المرجع السابق، ص، 38.

[2] Auguste Audollent , op cit, p , 400.

[3] حميدة نشنش، المرجع السابق، ص، 87.

[4] شارل جنيبر، المرجع الساق، ص، 143.

[5] خديجة منصوري، المرجع السابق، ص،42.

[6] حميدة نشنش ، المرجع السابق، ص، 87.

[7] نفسه، ص، ص، 88، 89.

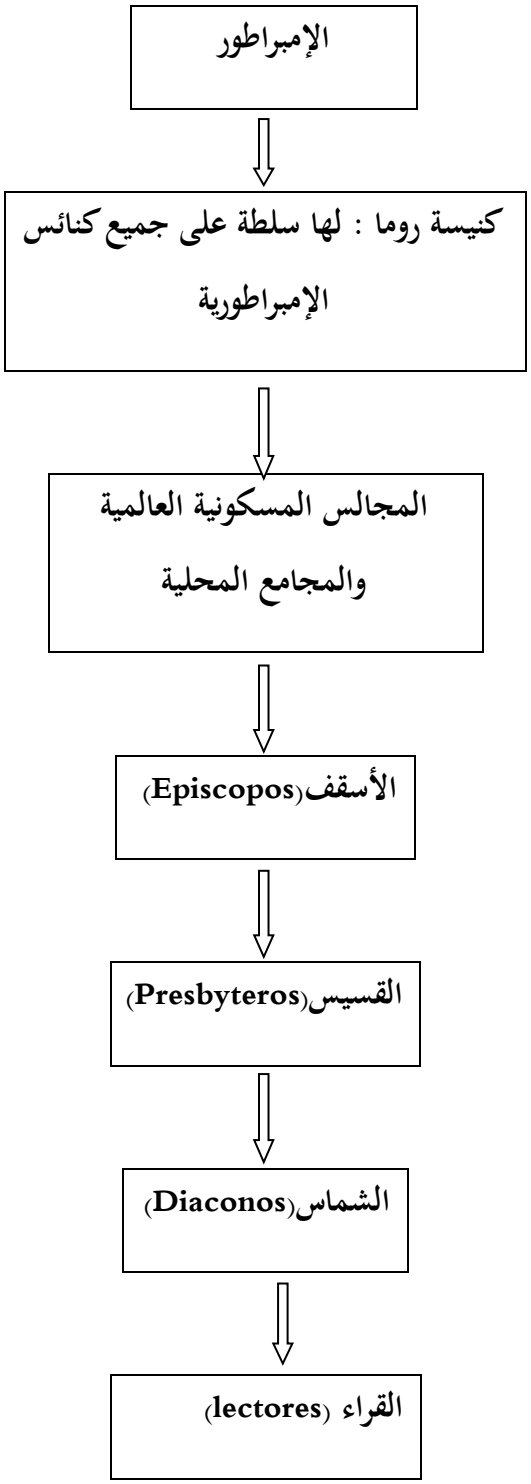

الشكل رقم 43: مخطط يبين تنظيم توزيع السلطات (الوظائف) في الكنيسة الإفريقية

المصدر: بتصرف عن، Anaclet Dupar Lalhé, op cit, p, 83. Agios Nikolaos, op cit,p,p,01,02.

4-3-الجانب الانضباطي في الكنيسة الافريقية

ولم تغفل الكنيسة الإفريقية عن الجانب الانضباطي المتعلق بها فعادة ما تنشأ صراعات بين رجال الدين فيما بينهم أو سوء تصرف وسوء أدب من طرف أحدهم، بل إن الأمور الانضباطية شملت حتى أبسط التصرفات كأن يغادر أحد الدير دون استئذان الأسقف من منطلق أن هذا الأخير أعلى مرتبة في الكنيسة.[1]

كما أصبح الجهاز الانضباطي ضروري داخل الكنيسة الإفريقية خصوصا بعد ظهور الصراعات المذهبية والتي قد تنشأ من داخل الكنيسة وتتطور إلى جدالات يؤدي بعضها إلى الهرطقة أو الانشقاق بمفهوم الكنيسة الأصلية وبهذا الشكل قد يتم تأديب بعض الأساقفة بغرض مراجعة أفكارهم.[2] أو قد يحدث تمرد من أحد العاملين بالكنيسة ضد رئيسه، باعتبار أن الأسقف هو المسؤول الأعلى عن الكنيسة ووجب عليه فرض الانضباط بين عمالها.[3]

أوغسطين في كتاباته يولي أهمية كبيرة للجانب الانضباطي فهو يصر على الصرامة في هذا الجانب، و يذكر انحرافات بعض الأساقفة كالاحتيال على الدولة وعدم دفع الضرائب واستغلال اسم الكنيسة لتحقيق أغراض شخصية، وهي أفعال من طبيعة البشر فليس كل من ينتسب للكنيسة يعتبر رجلا سويا، فاستدعى ذلك تدخل الكنيسة واصدار تنظيمات وعقوبات تقضي على هذه الظواهر فالأسقفية ليست وسيلة لقضاء الأغراض الشخصية.[4]

ويبدو أن التقاضي كان يتم في محكمة كنسية، وذلك منذ عهد الإمبراطور قسطنطين الذي منح للكنائس إمتيازات عديدة من بينها حق رجال الدين ممارسة السلطة القضائية على الموظفين التابعين لهم دون الرجوع إلى قاضي البلدة.[5] وأحيانا بعض القضايا تنقل إلى المحاكم المدنية خصوصا ما يتعلق بالجرائم وذلك لعدم وجود أجهزة أمنية داخل الكنيسة، وعادة ما يفصل رجل الدين من وظيفته في حالة ارتكابه لأحد

(1) Pierre Sarr, op cit, p, 88.
(2) ibid.
(3) حميدة نشنش، المرجع السابق، ص، 145.
(4) Pierre Sarr, op cit, p,p, 88, 89.
(5) محمد البشير ، المرجع السابق، ص، 340.

الجرائم،[1] وقد استخدم أوغسطين مصطلح « excommunication » للدلالة على طرد رجال الدين من الكنيسة والمتورطين في انحرافات عقائدية أو أخلاقية، وهو طرد لا يخص كنيسته فقط بل يمنع من الانضمام إلى الكنائس الأخرى، وإلى جانب هذه العقوبة العامة التي تؤدي برجل الدين في الكنيسة إلى خسارة منصبه هناك عقوبة أخرى وهي التنزيل في الرتبة السفلى.[2]

كما أن هذه العقوبات لا تعني الاستبعاد التام من الكنيسة بل بالإمكان اعادة إدماج الشخص المعاقب مرة أخرى إذا ما أعلن توبته عن الانحرافات التي قام بها.[3]

انطلاقا من هذه العقوبات يتبين لنا حرص الكنيسة الإفريقية على تحديد مسؤولية كل فرد داخل الكنيسة، مع ادراكها لإمكانية ارتكاب هؤلاء الأفراد لأخطاء متفاوتة الخطورة ولذلك وضعت عقوبات صارمة خصوصا ضد الانحرافات العقائدية والأخلاقية.[4]

4-4- المجمعات الكنسية في افريقيا Ecclesia (المجالس الكنسية):

في البداية فإن مصطلح الإكليزيا ليس مصطلح ديني فهو مصطلح يوناني قديم يشير إلى تلك التجمعات التي كان يعقدها المواطنون اليونانيون في أثينا مرة واحدة كل أسبوع لمناقشة السياسة العامة لإدارة المدينة، ونجد أن كلمة "كنيسة" ترجمت إلى اللاتينية من اللفظ "اكليزيا" وهو ما يؤدي إلى صياغة مفهومها في الديانة المسيحية بمعنى "التجمعات" أو "المجالس" التي تعقد بين مجموعة من المؤمنين بهذه الديانة.[5]

وهناك اشارات في العهد الجديد إلى مفهوم الكنيسة بمعنى التجمعات المحلية للمعمدين، وعلى هذا الأساس فإن التجمعات الكنسية التي كانت تعقد سواء بالنسبة للكنيسة بصفة عامة أو الكنيسة الافريقية بصفة خاصة كان هدفها مناقشة الأمور المتعلقة بالديانة المسيحية، [6] وقد نشأت هذه العلاقات بين الكنائس بطريقة عفوية من دون أن تكون معاهدات أو قوانين تدعو لاجتماعها لأنه في الأصل كانت مستقلة

(1) Charles Joseph Hefele , op cit, p, 87.
(2) Pierre Sarr, op cit, p, 96.
(3) ibid, p, 98.
(4) Ibid, p, 98.
(5) Fabien Davier, op cit, p, 182.
(6) Ibid, p, 183.

عن بعضها البعض، لكن يبدو أن مصير الكنائس المشترك وحاجة الأساقفة للنقاش وتبادل الآراء هو الذي أدى إلى نشأة ما يعرف ب"المجامع الكنسية".[1]

وتتم الاجتماعات بصفة دورية ومنظمة على الأقل مرة واحدة كل أسبوع داخل منزل أحد أعضاء المجموعة وأطلق اسم (synaxe) على تلك الاجتماعات، وقد يطلق عليها تسميات أخرى بحسب ما جاء في كتابات ترتيليان مثل (coetus) و (congregatio) و(consortium) و (conuentio) و (coitio) وتشير هذه المصطلحات إلى فكرة التجمع وتأسيس جمعيات لمجموعة من الناس، باستثناء المصطلح الأخير الذي يكون له واقع سيء بحسب معناه اللاتيني من خلال أنه يوحي إلى تأسيس جماعة خارج إطار قوانين الإمبراطورية الرومانية، وهو بحسبنا مفهوم واقعي بالنظر إلى فترة الاضطهادات الطويلة التي تعرض إليها المسيحيين قبل إصدار مرسوم ميلان 313 م، حينما كانت تجمعات المسيحيين خطر يهدد الإمبراطورية الرومانية.[2]

كما ركزت الكنيسة الإفريقية على الاجتماعات السنوية التي كانت تجرى بصفة انتظامية سواء مرة أو مرتين في السنة،[3] ويتم ذلك بإعلام الكنائس الإفريقية لإرسال مندوب عنها للحضور ليعود بتقرير يحمله لكنيسته الأصلية عن قرارات المؤتمر.[4] وأصبحت هذه الاجتماعات حيوية تصدر منها قرارات هامة وتنوعت مواضيعها ما بين عقائدية واجتماعية وقضائية واقتصادية كما كان لهذه المجالس تأثير كبير على حياة الكنائس وعملت على تأسيس الوعي المشترك وضرورة تماسك العمل بينها وتوحيد الفكر والعقيدة وفرض الانضباط، [5] وبالنسبة للانضباط فيمكن القول أن المجمعات الدينية كانت بمثابة مجالس تأديبية من الدرجة الأولى خصوصا بالنسبة لحالات الانشقاق والهرطقة.[6]

وأما عن تحديد بداية هذه المجالس فيصعب تحديد ذلك بدقة ولكن على العموم تم ذلك قبل منتصف القرن الثالث الميلادي ويبدو أنه بين سنوات 208 م و220 م وهي بداية صعبة تماشيا مع واقع الإمبراطورية

---

(1) يوحنا لورنس، المرجع السابق، ص، 63.

(2) Fabien Davier,op cit, p, 184.

(3) Anaclet Dupar Lalhé,op cit,p,60.

(4) Robin Daniel, op cit, p, 130.

(5) Anaclet Dupar Lalhé, loc cit.

(6) Yvette Duval, La plebs chrétienne au « siècle de Cyprien » jusqu'à la paix de l'Église, revue des Études Augustiniennes, Paris, Institut d'Études Augustiniennes, N 48, 2002, p, 45.

الرومانية الذي كان لا يعترف بشرعية الديانة المسيحية،[1] ونجد أن المسيحيين دافعوا بقوة ليكون لهم وجود قانوني كما حدث عند ترتيليان، هذا الأخير طرح العديد من الحجج لتبرير قانونية ما يفعله أتباع الديانة المسيحية وطالب بوضع إطار لهم ضمن القانون الروماني.[2]

ويعتبر أورليوس أسقف قرطاج الذي عين سنة 391 م من أنشط الأساقفة في مجال عقد المجمعات بالكنيسة الإفريقية من خلال تنظيمه وحضوره لأكثر من عشرين مجمعا كنسيا أغلبها عقد بقرطاج، وهي مجمعات ساهمت بشكل كبير في تطور الكنيسة الإفريقية[3]، ونظر للعدد الكبير للمجامع الإفريقية فإن الجدول التالي يبين أهمها:

اسم المجمع (المدينة المنعقد فيها)	الشهر والسنة	أهم المواضيع المطروحة
مجمع قرطاج	حوالي 200 م	مسألة المعمودية في الديانة المسيحية
مجمع قرطاج	251 م	قضايا عقائدية في الديانة المسيحية
مجمع قرطاج	290 م	قضايا عقائدية في الديانة المسيحية
مجمع قرطاج	390 م	تنظيم وضع الأساقفة في الكنيسة
مجمع هيبون	393 م	اصدار تنظيمات خاصة بالكنيسة وبموظفيها
مجمع قرطاج	397 م	تشريعات خاصة بموظفي الكنيسة
مجمع ميلاف	402 م	ضد الحركة الدوناتية
مجمع قرطاج	403 م	ضد الحركة الدوناتية
مجمع قرطاج	405 م	مناقشة مستجدات الحركة الدوناتية
مجمع قرطاج	412 م	مناقشة آراء الدوناتيين
مجمع ميلاف	416 م	ضد بدعة البيلاجيين
مجمع قرطاج	418 م	ضد بدعة البيلاجيين

الشكل رقم 44: جدول يبين أهم مجمعات الكنيسة الافريقية

المصدر: Charles Joseph Hefele, op cit, p, p, 98,99, Collection des Canons les plus remarquables, Dictionnaire des conciles, Paris, Gauthier Frére, 1835, p,p,04,05.

(1) Yvette Duval, Sur les conciles africains antérieurs à Cyprien, Revue d Etudes Augustiniennes , Paris, Institut d'Études Augustiniennes, N 49, 2003,p,p,242.

(2) Fabien Davier, op cit, p, 291.

(3) Charles Joseph Hefele, op cit, p, 97.

نلاحظ من خلال هذا الجدول أن أغلب المجامع في الكنيسة الإفريقية تم انعقادها في قرطاج وهو ما يثبت مرة أخرى قيادة قرطاج للكنائس الإفريقية، ثم إن هذه المجامع عالجت مواضيع مختلفة تتعلق بالديانة المسيحية ولم تكن تخفى عليها المستجدات التي تتعلق بواقع المسيحيين خصوصا المحلية منها.

أما الجدول التالي يمثل بطاقة تعريفية لمجمع هيبون 393 م وأهم القرارات الصادرة عنه

رئيس المجمع	أورليوس أسقف قرطاج
الحضور	من مختلف المقاطعات الإفريقية
ملخص أهم القرارات الصادرة	1-ضرورة تبعية كل الكنائس الإفريقية لتوقيت الأعياد الدينية الصادرة عن كنيسة قرطاج 2-تنظيم وضعية خدام الكنيسة من أساقفة وقراء ورجال الدين بصفة عامة داخل الكنيسة 3-تحديد الحالات الانضباطية التي يمكن لرجال الدين أن يتقاضوا أمامها سواء المحاكم الكنسية أو المحاكم المدنية 4-قطع العلاقات الاجتماعية بين رجال الدين الكاثوليك وغيرهم من الوثنيين والهراطقة والمنشقين كمنع الزواج فيما بينهم ومنع الميراث

الشكل رقم 45: جدول لمجمع هيبون 393 م وأهم القرارات الصادرة عنه

المصدر: Charles Joseph Hefele, op cit, p,p,84-89.

4-5- موارد الكنيسة الإفريقية

تحتاج الكنيسة الإفريقية إلى موارد للقيام بمهامها كمؤسسة دينية واجتماعية ويمكن التعرف من خلال الكثير من الإشارات التاريخية على تلك الموارد بالشكل التالي:

1-موارد داخلية: في بداية الأمر كانت الكنيسة الإفريقية فقيرة بسبب أنه في بداية وجودها انضم إليها مجموعة من أفراد الطبقات الدنيا كالحرفيين والمزارعين والعبيد ولكن الوضع تحسن مع انضمام الطبقات الثرية كما هو الحال بالنسبة للأسقف كبريانوس الذي كان ينتمي إلى عائلة غنية[1]، فزادت مداخيل الكنيسة من خلال صدقات وتبرعات كثيرة من أتباعها وهي تشكل مدخول هام لها، ولم تكن عبارة عن أموال فقط بل شملت القمح والخمر والزيت والعنب والماشية والملابس والمزهريات والأثاث.[2]

ويبدو أن الكثير من أتباع الكنيسة دفعوا هذه الصدقات والتبرعات إما بدافع ايماني خصوصا أن رجال الدين كانوا يعتبرون أنها الوسيلة الثانية للخلاص بعد المعمودية أو أن الدافع من تلك التبرعات كان بغرض الحصول على الغفران بعد ارتكاب الخطايا الكبيرة، وبعضهم دفعها لطلب الشفاء من مرضه أو لأسرته، كما لا يستبعد أن يكون الطموح واكتساب شعبية كان من وراء تبرع الناس الأغنياء لصالح الكنيسة.[3]

ويبدو أن الزراعة كانت من المهن الأكثر تدعيما للكنيسة الإفريقية ولأن الاقتصاد الزراعي يأتي في المقام الأول من حيث مزاولته في إفريقيا وهذه الأخيرة كانت مخزن للحبوب في العالم القديم ومن دون شك أن منتجات أخرى مثل العنب والزيتون كانت موارد دخل للكنيسة الإفريقية سواء من حيث تقديمها كغلال لصالح الكنيسة أو كأموال بعد بيعها.[4]

وفي المقام الثاني تأتي الصناعة والتجارة من خلال الكثير من المناجم والمحاجر المنتشرة بكثرة في إفريقيا وهي تعتبر دعم آخر للكنيسة الإفريقية سواء ما تحتاجه المباني من مواد أولية وتزيين داخلي وأفرشة وأثاث،

(1) حميدة نشنش، المرجع السابق، ص، 140.
(2) Anaclet Dupar Lalhé,op cit,p,136.
(3) Ibid, p, p, 138,153.
(4) Ibid, p,109.

ولا شك أن أتباع الكنيسة ممن يمارسون هذه الحرف ساهموا بشكل مباشر أو غير مباشر في الكنائس الإفريقية.[1]

كما نلاحظ أن الممتلكات التي سلبت من المسيحيين في فترة الاضطهادات تم ارجاعها لهم بأمر من الإمبراطور قسطنطين مما زاد من مداخيل الكنيسة الإفريقية.[2] ومنح للكنيسة حق الملكية بموجب القانون الروماني، وهو حق يمكنها من التصرف بحرية في أملاكها .[3]

كل هذه المداخيل جعلت جون لوريمو يذهب إلى أن الكنيسة فعلا كانت غنية وهو ما أدى أحيانا إلى اكتساب بعض الأساقفة أموال طائلة وقيامهم بولائم وحفلات نافست مثيلتها في البلاط الإمبراطوري.[4]

2-موارد خارجية: بعد اعتراف الإمبراطور قسطنطين بالديانة المسيحية أصبحت الهبات الإمبريالية تشكل جزء كبير من موارد الكنيسة الإفريقية،[5] ولعل الهدايا والامتيازات التي أرسلها الإمبراطور قسطنطين إلى كل الأساقفة في الإمبراطورية الرومانية وأوامره بإعادة بناء الكنائس التي تم تهديمها، يبدو أن هذه الأموال التي أرسلت شكلت إضافة أخرى معتبرة للكنيسة الإفريقية،[6] وبفضل أموال الأباطرة تطور الشكل المادي للكنائس الإفريقية سواء من حيث المعيشة أو في أماكن العبادة.[7]

(1) Anaclet Dupar Lalhé,op cit,p, 118.

(2) يوسابيوس القيصري، المصدر السابق، ص، 499.

(3) Anaclet Dupar Lalhé,op cit,p,105.

(4) جون لوريمر، المرجع السابق، ج 3، ص،189.

(5) Anaclet Dupar Lalhé,op cit,p,152.

(6) يوسابيوس القيصري، المصدر السابق، ص، ص، 380،381.

(7) حميدة نشنش، المرجع السابق، ص، 142.

قسطنطين أوغسطس إلى سيسيليانوس أسقف قرطاجنة. يسرنا أن تمنح بعض المنح في كل أقطار إفريقيا ونوميديا وموريتانيا لبعض خدام الديانة الطاهرة الجامعة لتغطية نفقاتهم، لذا كتبت إلى أورسيوس وزير مالية إفريقيا العظيم، وأمرته بأن يدفع إلى فطنتكم ثلاثة آلاف فولى .

ومتى استلمت المبلغ المشار إليه أأمر بأن يوزع على جميع المذكورين أعلاه وفقا للمختصر المرسل إليك من هوسيوس.

وإن وجدت أنه ينقصك أي شيء لإتمام غرضنا نحو الجميع فأطلب بدون أي تردد من هيراكيلدس أمين خزانتنا كل ما تراه ضروريا. لأنني أمرته لما كان هنا بأن يدفع إليك في الحال كل ما تطلبه منه.

ونظرا لأنني علمت أن بعض ذوي العقول السليمة يريدون أن يحولوا الشعب عن الكنيسة المقدسة الجامعة بطريقة دنسة مخزية، فأعلم بأنني أمرت أنولينس الوالي، وباتريشس نائب المقاطعة، لما كانا هنا، بأن يبذلا عناية فائقة ليس فقط نحو الشؤون الأخرى بل أيضا نحو هذا الأمر قبل كل شيء، وأن لا يغضا الطرف عنه ان حصل.

وإن رأيت أشخاصا كهؤلاء مستمرين في هذا الجنون فأذهب في الحال إلى القاضيين المذكورين واشرح لهما لكي يؤدباهم كما أمرتهما لما كانا هنا، ليحفظك لاهوت الله العظيم سنينا طويلة.

الشكل رقم 46: نسخة لرسالة الإمبراطور قسطنطين يُلح فيها على إرسال أموال للكنائس

المصدر: يوسابيوس القيصري، المصدر السابق، ص، ص، 502، 503.

وتلك الموارد كانت كافية للقيام بكل نشاطاتها بما فيها بناء الكنائس مثل حالتي كنيسة تيفاست أو الكنيسة الدوناتية بتيمقاد خصصت لهما أموال كبيرة لشراء الأرض التي بنيت عليهما اضافة إلى استكمال بناؤهما.[1]

ولم يكن شراء أراضي للكنائس وبناؤها الشيء الوحيد الذي يحتاج إلى أموال طائلة بل أيضا الديكور الداخلي للكنيسة والتجهيزات وشراء الكتب عبء أخر خصص له سيولة مالية معتبرة.[2]

ويضاف أيضا إلى النشاطات الداخلية للكنيسة نشاطات خارجية أخرى، فكان بإمكانها مساعدة الفقراء والمساكين وتقديم الخدمات لهم وهذا يدل على وجود فائض مالي في مداخيلها.[3]

وتجنبا لوقع الاختلاط في مدن افريقيا الشمالية ومواقعها الحالية وضعنا هذا الجدول لأهم المدن التي انتشرت بها المسيحية وأسماءها الحالية:

(1) Anaclet Dupar Lalhé,op cit, p, p,150,153.
(2) Ibid, p, 153.
(3) Ibid .

اسم المدينة القديم	اسم المدينة الحالي	اسم المدينة القديم	اسم المدينة الحالي
Caesarea	شرشال	Sicca	الكاف
Calama	قالمة	Sitifis	سطيف
Cirta	قسنطينة	Sufetula	سبيطلة
Curubis	كوربة	Thagaste	سوق أهراس
Cuicul	جميلة	Thamugadi	تيمقاد
Gummi	المهدية	Theveste	تبسة
Hippo	عنابة	Thugga	دقة
Icosium	الجزائر	Thysdrus	الجم
Lambèse	تازولت	Thabraca	طبرقة
Lixus	العرائش	Tipasa	تيبازة
Madaura	مداوروش	Tingis	طنجة
Milevis	ميلاف	Utica	أوتيكة
Scillium	القصرين	Volubilis	وليلى
Sala	سالي	Abitina	شواد

الشكل رقم 47: جدول لأسماء المدن القديمة في افريقيا مقابل الاسم الحالي

المصدر:.Robin Daniel,op cit,p13

5/دور الكنيسة في المجتمع الافريقي

من خلال دراسة الكنيسة الإفريقية خلال القرون الأولى للميلاد نلاحظ أنها كانت تمثل مؤسسة تقوم بأدوار كثيرة من بينها الدور الاجتماعي مستغلة سلطتها الديبلوماسية مع البلاط الإمبراطوري والكرسي الرسولي في روما وهو ما يؤهلها لتحقيق بعض المكاسب ذات الطابع الاجتماعي تماشيا مع هدفها في تحقيق العدل والمساواة بين الناس.[1] ونحن هنا بهذا الصدد نتحدث عن زيادة سلطة ونفوذ الكنيسة بعد اعتراف الإمبراطور قسطنطين وتحول أساقفتها من أعداء وملحدين إلى محترمين وذو مكانة اجتماعية عالية ومنح لهم حق التدخل في القضايا المدنية ورفعها إلى المجالس القضائية الخاصة بالكنيسة فأصبحت لهم نوع من الاستقلالية.[2]

وللقيام بهذا الدور نجد أن الكنيسة الإفريقية استغلت ما تمتلك من أموال لمساعدة الفقراء والمتسولين والذين أطلق سراحهم من أيدي تجار الرقيق من خلال توفير المأوى والغذاء على عاتقها،[3] ويبدو أن الكنيسة الإفريقية كانت قادرة على ذلك بفضل زيادة التبرعات والصدقات من قبل الأفراد والحكومة وتحويل جزء منها لسد حاجة المعوزين .[4]

وإن وجدت أنه ينقصك أي شيء لإتمام غرضنا نحو الجميع فأطلب بدون أي تردد من هيراكيلدس أمين خزانتنا كل ما تراه ضروريا، لأنني أمرته لما كان هنا بأن يدفع لك في الحال كل ما تطلبه منه.

الشكل رقم 48: فقرة من رسالة قسطنطين إلى أسقف قرطاج لمنح الأموال للكنائس الإفريقية (تدل الفقرة على قمة السخاء)

المصدر: يوسابيوس القيصري، المصدر السابق، ص، 503.

كما أن هذا التضامن وشعور المسيحيين ببعضهم البعض هو من أصول الديانة المسيحية فقد كان مألوفا حتى قبل اعتراف الإمبراطورية بالديانة المسيحية ففترة الاضطهاد التي مروا بها أكسبتهم هذا الشعور من

(1) Elyes Baccouche, Observations sur l'autorité de l'Église d'Afriqueà la lumièredes nouvelles lettres de Saint Augustin, Revue Ibla, Tunis, N 210, 2012, p,239.

(2) جون لوريمر، المرجع السابق، ج3، ص، 28.

(3) Elyes Baccouche, op cit, p, 256.

(4) جون لوريمر، المرجع السابق، ج3، ص، 30.

خلال تقديم جميع المعونات للمضطهدين ممن فقدوا ممتلكاتهم وكذلك القابعين في السجون.[1]

ومن الحوادث التي تدل على وجود تضامن بين المسيحيين في فترة الاضطهاد هي الأموال التي جمعوها من أجل الحصول على جثة كبريانوس القرطاجي والتي تبلغ قيمتها خمس وعشرين قطعة ذهبية وهذا حتى يتم دفنه على الطريقة المسيحية.[2]

ونظر لأهمية هذه الأعمال الخيرية التي تكفلت بها الكنيسة فإن التنظيم الكنسي وضع لرتبة الشماس أولوية للقيام بهذه المسؤوليات .[3] كما وضع في الكنيسة الإفريقية محامون يتعاونون مع الأساقفة للدفاع عن الفقراء من الأغنياء .[4]

كبريانوس هو الآخر كان ممن كرسوا مبادئ تخصيص جزء من أموال الكنيسة لصالح الفقراء والمرضى والأيتام وعابري السبيل والذين عانوا من الاضطهاد، وبدأ بنفقة أمواله الخاصة لصالح الكنيسة التي أحسن تسييرها رغم نهب جزء منها خلال المضايقات في عصر الاضطهاد وكلف قس يدعى " روغاسيانوس" بمساعدته، وقد نقلت تبرعاته حتى للكنائس النوميدية،.[5] وعندما تم إبعاد كبريانوس على إثر مرسوم فاليريانوس أمر من منفاه نقل كل ما تبقى من ثروته للفقراء والمسجونين والمضطهدين حتى للذين ينتمون للطوائف الأخرى، وكان حريصا جدا على مساعدتهم.[6]

أوغسطين أيضا ساهم بآرائه في هذا الصدد من خلال تركيزه في أفكاره على ضرورة مساعدة الفقراء والأيتام وجعل قضيتهم من صميم عمل أتباع المسيحية منتقدا جشع الأغنياء ومؤيدا للعدالة الاجتماعية كما دعى أيضا إلى دفاع الكنيسة عن هذه الفئات نظرا لعدم امتلاكها المال الكافي ولا نسجها لعلاقات تكفي

(1) Auguste Audollent , op cit, p , 410.
(2) Ibid, p, 146.
(3) Fabien Davier, op cit, p, 189.
(4) جون لوريمر، المرجع السابق، ج3، ص، 122.
(5) حميدة نشنش، المرجع السابق، ص، ص، 276- 278.
(6) Dom H. Leclrcq , op cit, p,p, 191,192.

للدفاع عن حقوقها[1] ، هذه القضايا التي تدخلت الكنيسة الإفريقية لحلها يبدو أنها حسب أوغيسط أودلن كلفتها أموال معتبرة من خزينة الكنيسة قياسا بأهمية تلك المواضيع خلال الفترة الرومانية.[2]

من جهة أخرى كانت الكنيسة الإفريقية تقبل شكاوى المظلومين وتحاول معالجتها بمختلف الأساليب حتى لو استدعى التدخل لدى الجهات المدنية فهي تحافظ على أتباعها من تجاوزات السلطات المحلية، وأحيانا تتوسط للإفراج عن المسجونين المسيحيين الذي تعرضوا للظلم، وكل هذا يعطينا فكرة بأن الكنيسة الإفريقية حاولت الظهور بمظهر شريك للسلطة المدنية ولم تقتصر مهامها على الأمور الدينية فقط .[3]

من ناحية أخرى حاولت الكنيسة الإفريقية ضبط الأمور الأخلاقية في المجتمع الإفريقي، فكانت تنادي بتحسين المعاملات بين أفراده بمن فيهم الطائفة الوثنية فترتيليان يعتقد أنه بالإمكان التعايش بين الوثنيين والمسيحيين وهما جزء من مجتمع واحد، مجتمع يشترك في نفس اللباس ونفس الأكل ونفس نمط الحياة، وكلاهما (المسيحيين والوثنيين) يترددون على الساحة العامة والسوق والمعارض وكل أماكن التسوق، كما أن المسيحيين مثل غيرهم يقومون بواجباتهم في الزراعة والتجارة والحرف .[4] ومن هنا يظهر ترتيليان وكأنه يسوق صورة للمجتمع المسيحي بمساهمته الفعالة وعمله الجاد داخل إطار الإمبراطورية الرومانية وفي نفس الوقت دعوة للمسيحيين بممارسة واجباتهم انطلاقا من المبادئ التي تنادي بها ديانتهم.

ورفض المسيحيين المشاركة في الاحتفالات والمراسيم التي يقوم بها الوثنيين لا يعني بأنهم يشكلون نوع من العزلة داخل المجتمع أو أن ينظر لهم على أساس أنهم غرباء، لأن هذه النظرة كانت سائدة في أوساط الأفارقة.[5]

كما نصحت الكنيسة الإفريقية مجتمعها بضرورة ضبط النفس وعدم تبرج النساء والتزامهن بالحشمة، وفي هذا الصدد دعى ترتيليان إلى العزوبية ورفض الزواج إلا للذين لا يقدرون على مقاومة غرائزهم الجنسية، من

(1) Iulian Danca,Augustin, juge et défenseur des pauvres, itinéraires augustiniens, Montpellier,Augustin de l'Assomption, p, 09,11.
(2) Auguste Audollent , op cit, p , 148.
(3) Elyes Baccouche,op cit, p, 261.
(4) Tertullien, Apologétique, op cit, XLII, 1,2, p, 109.
(5) حميدة نشنش، المرجع السابق، ص، ص، 198، 199.

جهة أخرى أصر على ضرورة المحاباة بين الإخوة المسيحيين ونصرة بعضهم البعض [1]

وبعد معرفة هذه المهام الإضافية التي اهتمت بها الكنيسة الإفريقية للدفاع عن أتباعها جعلها مؤسسة قادرة على تحقيق بعض المكاسب الاجتماعية انطلاقا من المبادئ التي تقررها الديانة المسيحية وأعطت حيوية للمجتمع لم تكن معهودة في المجتمعات الوثنية.[2]

[1] حميدة نشنش، المرجع السابق، ص، ص، 208- 210.

[2] Elyes Baccouche , op cit, p , 266.

الفصل الثالث:

نشأة الحركة الدوناتية

1/شخصية المؤسس دوناتوس (Donatus)

2/أبرز مفكري الحركة الدوناتية

3/أسباب وظروف نشأة الحركة الدوناتية

4/مبادئ الحركة الدوناتية

5/ مدى انتشار الحركة الدوناتية في المغرب القديم

1/شخصية المؤسس دوناتوس (Donatus)

لم يفرق رجال الدين الكاثوليك بين شخصيتين متشابهتين في الاسم ضمن إطار الحركة الدوناتية فالشخصية الأولى وهي دوناتوس الأول يجهل تاريخ ميلاده وتاريخ وفاته، غير أنه هناك اشارات تحدد تاريخ وفاته في حوالي 316م بعد محاكمته من طرف الامبراطور قسطنطين الأول كما يرتبط اسم دوناتوس الأول[1] بتأسيس الحركة الدوناتية[2] أما الشخصية الثانية للحركة الدوناتية فهي"دوناتوس الكبير" المدعو بالقرطاجي ومعلوم تاريخ ميلاده ووفاته من حوالي 270م-355م[3]، وهذا الأخير توفي في سجون روما بإسبانيا في سنة 355م، أي قبل أن يولد القديس أوغسطين بسنة واحدة[4]، والاختلاف بين الشخصيتين يكاد يكون غير واضح حتى في المصادر الكاثوليكية ولا عند الدوناتيين والكثير من الباحثين لا يفرقون بينهما، ولهذا السبب تعودوا على ابراز شخصية دوناتوس الكبير بالنظر إلى دوره في نشر مبادئ الحركة الدوناتية وتوسيع نشاطها.[5]

بول مونصو المتخصص في تاريخ الديانة المسيحية بإفريقيا أيضا يدرك وجود شخصيتين باسم دوناتوس ساهموا في تأسيس الحركة الدوناتية ونشرها، دوناتوس (Cases-Noires)* ودوناتوس القرطاجي لكن اختفى فجأة دور دوناتوس الأول من الكتب الدوناتية ليفسح المجال لدوناتوس الكبير (القرطاجي).[6]

وإذا كان دوناتوس الأول من أسس الحركة الدوناتية وتميز بفكره الرديكالي المدافع عن ضرورة صفاء الكنيسة من بعض القساوسة الذين أعطيت لهم مكانة هامة فيها رغم أنهم وقفوا ضد اخوانهم المسيحيين أيام الاضطهادات ولم يستطيعوا مقاومة السلطة الرومانية، وهذه الأفكار كانت سببا في إعدام دوناتوس الأول بعد

---

(1) يوجد اسم دوناتوس أيضا على رأس قوائم أساقفة قرطاج توفي سنة 248 م وهو يؤكد أنه كان إسما شائعا أنظر – E .D Sainte Marie, op cit, p, 44.

(2) محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص، 341.

(3) نفسه.

(4) عثمان سعدي، الأب دونا، رجل الدين المسيحي المغاربي المناضل، حولية المجمع، مجمع اللغة العربية، طرابلس، العدد06، 2008م، ص، 217

(5) محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص، 341.

* يمكن أن تكون الديار السود Cases-Noires هي مدينة نقرين الحالية جنوب مدينة تبسة أنظر Laporte Jean-Pierre, Dupuis Xavier, De Nigrenses Maiores à Négrine, Antiquités africaines, 45,2009,P, 60.

(6) Monceaux Paul, Les premiers temps du Donatisme et la question des deux Donat, Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 60e année, N. 1, 1916, P, 50.

أمر الإمبراطور قسطنطين بالرغم من أن أفكاره لا تضيف شيئا أساسيا للعقيدة المسيحية [1]، وبعد إعدامه واصل دوناتوس الكبير (الثاني) قيادة هذه الحركة إلى غاية وفاته كما أشرنا سابقا سنة 355م ويبقى الشيء الذي نركز عليه أن أغلب المصادر المسيحية لا تفرق بين هذين الشخصين فهي تتفق على شخص واحد، و تتفق هذه المصادر على أن الفكر الدوناتي فكر واحد.[2]

وقد أبرز المؤرخ الفرنسي بعض من ملامح شخصية دوناتوس فقال "على امتداد أربعين سنة كان البطل بارزا على مسرح الأحداث، وتطور الحركة الدوناتية السريع تحقق بفضل أفكاره، لقد كان قائدا منظما ومستقيما وأصيلا وله اطلاع عقائدي، وخطيب بارع وكاتب متميز، ومدرب مكون للرجال، كان قاسيا على نفسه مثلما هو على الآخرين، كان أنوفا شرس الطبع، كان يفرض المواقف على أساقفته الذين يعبدونه كالإله"، ومن خلال هذا الوصف يمكن أن نلاحظ أن مؤسس الحركة الدوناتية كان من الشخصيات المحلية المشهورة المعروفة بثقافتها الواسعة واعتناقه للديانة المسيحية نابع من اقتناعه الواضح وهو ما يبرر دفاعه الحماسي عنها، ومن ناحية أخرى اتقانه للخطابة والكتابة ساهمت في سرعة اقتناع عدد كبير من الأفارقة به.[3]

وفي مجال التأليف ألف دوناتوس الكبير كتابا بعنوان " الروح القدسية" وكتاب عن التعميد لكن لم تصل إلينا كتبه بسبب موجة الحرق التي تعرضت لها كتب الدوناتيون من قبل الكاثوليك لمنع انتشار أفكارهم، كذلك ضاعت الكثير من رسائله التي جدال فيها الكاثولكيين دفاعا عن مذهبه، ولا شك أن حملة القضاء على الحركة الدوناتية التي خاضتها السلطة الرومانية والكنيسة الإفريقية هي من ساهمت في ضياع تلك الأعمال الكثيرة للدوناتيين [4].

---

[1] فينفريد إلليغر، المرجع السابق، ص، 211.

[2] محمد المبكر، المرجع السابق، ص، 27.

[3] شارل أندري جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، الجزء الثاني، نقلا عن عثمان سعدي، المرجع السابق، ص، 217.

[4] عثمان سعدي، الأب دونا، المرجع السابق، ص، 230.

2/أبرز مفكري الحركة الدوناتية

انطلاقا مما أشرنا إليه في السابق من صعوبة التعرف على مفكري الحركة الدوناتية وأعمالهم، لم تصلنا هذه الأخيرة إلا من خلال مجادليهم من الكاثوليك خصوصا عند أوبطا الميلي وأغسطين[1] ومن أبرز من تعرفنا عليهم في حدود اطلاعنا نجد:

2-1-الأسقف بارمنيانوس (Parmenianus)

يبدو أن بارمنيانوس هو الوحيد من بين قادة الحركة الدوناتية ليس من أصول إفريقية فهو إسباني أو غالي المولد[2] خلف دوناتوس على رأس الأسقفية الدوناتية بقرطاج (363 م-393م)،[3] ودلك رغم أصوله الأجنبية.[4] ألف كتابا يحتمل أن يكون عنوانه "ضد كنيسة المتخاذلين" حسب الردود التي ردها عليه أوبطا الميلي[5] ويبدو أن بعض من أعمال بارمنيانوس اقتبست أو كانت مكملة لأعمال دوناتوس القرطاجي.[6]

وعرف بارمنيانوس بخطاباته البليغة مثل سلفه دوناتوس مما مكنه من قوة التأثير في أتباعه كما تميز بقدرته الجدلية الواسعة مع الكاثوليك.[7]

ورغم أن بارمنيانوس من كبار المدافعين عن القضية الدوناتية خلال المرحلة المبكرة إلا أن الكثير من المعلومات حول حياته تظل غائبة.[8]

---

(1) روبين دانيال، المرجع السابق، ص، 240.

(2) Paul Monceaux, Histoire litéraire de l'Afrique Chéritienne, op cit ,p, 221.

(3) محمد المبكر، المرجع السابق، ص، 185.

(4) Paul Monceaux, Histoire litéraire de l'Afrique Chéritienne, op cit ,p, 222 .

(5) محمد المبكر، المرجع السابق.

(6) Paul Monceaux, Histoire litéraire de l'Afrique Chéritienne, op cit ,p, 223 .

(7) ibid, p, 225.

(8) David Benedict , A History of the Donatists, Pawtucket, RI: Nickerson, 1875, p 58 .

2-2-كريسكونيوس Cresconius

كتب نصف قرن بعد بارمينيانوس، عُرف بتميزه في مجال النحو ولم تصل المعلومات الكثيرة عنه إلا من خلال ما كتبه بعض الأساقفة الدوناتيين عنه،[1] أو من خلال جدله الفقهي مع أوغسطين، هذا الأخير كتب ردود عنه في رسالة تتمحور حول قضية الدوناتية بصفة عامة.[2]

2-3-الأسقف بيتليانوس (Petilianus)

يقال أنه ولد كاثوليكيا من أبوين كاثوليكين ثم تحول إلى الدوناتية [3] ترأس أسقفية قسنطينة في عهد أوغسطين عرف ببلاغته وعلمه الواسع كما يعترف أغسطين بذلك كما كان من أبرز المجادلين في مؤتمر قرطاج سنة 411 م الذي عقد بين الكاثوليك والدوناتيين.[4]

حوالي 400 م كتب بتليانوس كتيب بعنوان " Epistula ad preshyteros et diaconos dona- tistas adversus Catholicam " وهو كتاب خصص لدراسة قضايا كالمعمودية وأسباب الانقسام والاضهاد والعلاقات مع الكاثوليك، ويبدو أن غزارة مؤلفاته أدت إلى ردود اغسطين من خلال كتاب " الرد على بيتليانوس"،[5] والذي كتب حوالي سنتي 400-402 م وكتاب أخر حول التعميد بعنوان (De unico baptismo, contra petilianum) سنة 410 م .[6]

2-4-أمورتيوس (Emeritus)

عاش خلال القرن الخامس الميلادي كان من الناشطين والمتحمسين للفكر الدوناتي ويتكرر اسمه كثير عند خصومه الكاثوليك، ترأس أسقفية قيصرية (شرشال) وهي من الأسقفيات البارزة في مقاطعة موريتانيا القيصرية،[7] كما يعتبر أمورتيوس من الشخصيات الدوناتية البارزة التي حضرت مؤتمر قرطاج 411 م ودافعت بشدة عن القضايا الدوناتية.[8]

---

(1) David Benedict,op cit, p, 59.

(2) محمد المبكر، حركة الدوارين...، المرجع السابق، ص، 171.

(3) David Benedict, loc cit.

(4) Paul Monceaux, La littérature donastique, les ouvrages de Petilianus, Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, V 50, N 4, 1906, p, 227.

(5) Paul Monceaux, La littérature donastique, p, p, 227, 228.

(6) Pére J .Mesnage, op cit, p, 276.

(7) David Benedict , loc cit.

(8) محمد المبكر، حركة الدوارون...، المرجع السابق، ص، 338.

2-5-الأسقف غودنتيوس (Gaudentius)

أسقف مدينة تيمقاد أواخر القرن الرابع الميلادي وأسقفيته كانت مهمة إذا ما اعتبرنا أن تيمقاد هي المعقل الثاني للحركة الدوناتية بعد باغاي.[1] كان من المؤيدين ل" الاستشهاد" عن طريق قتل النفس فقد هدد هو ورفاقه بحرق كنيسته في تيمقاد والموت داخلها ورفض تسليمها للكاثوليك،[2] ولهذا السبب نجد أوغسطين ينتقده كثيرا ويتهمه بالعنف والتعصب وكتب فيه رد طويل عنونه ب " ضد غودنتيوس" (Contra Gaudenlium).[3]

3/أسباب وظروف نشأة الحركة الدوناتية

لدراسة تاريخ الحركات المذهبية والفكرية لابد من تحديد أسباب وظروف نشأتها من خلال معرفة الدوافع التي أدت بمجموعة ما إلى تأسيس مذهب أو فكرة خاصة بها وكذلك معرفة الظروف التي أحاطت بنشأة تلك الحركات والتي دفعتها للتعبير عن مبادئها، فالبنسبة للدوناتية يبدو أن أصل المشكل يعود إلى اختلاف وجهات النظر داخل الكنيسة بين من يعارض إعطاء مكانة خاصة للأساقفة الذين تعاونوا مع السلطة الرومانية أيام الاضطهاد وسلموها الكتب المقدسة ولم يقاوموا ضغطها وسايروها في أطروحاتها ويمثل الدوناتيون وجهة النظر هذه معتبرين أن من تخاذل مع إخوانهم المسيحيين يحتاجون إلى تعميد جديد[4].

أما الرأي الثاني فهو وجهة نظر ما يمكن اعتباره أتباع الكنيسة الكاثوليكية الرسمية[*]فهو يرى ضرورة الامتثال لأوامر السلطة الرومانية ومسايرتها حقنا لدماء المسيحيين رغم أن تلك الأوامر لا تخدم الديانة المسيحية بل هي لمحاربتها مثل مصادرة ممتلكات الكنائس والكتب والوثائق المقدسة، وبالتالي يمكن اعتبار هذا التيار أنه استسلم

---

(1) Paul Monceaux, Les ouvrages de Gaudentius, évêque donatiste de Thamugadi (Timgad) au temps d'Auguste, Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 50e année, N. 5, 1906, P, 314.

(2) David Benedict , op cit, P, 61.

(3) Bels Jacques, La mort volontaire dans l'oeuvre de saint Augustin, Revue de l'histoire des religions, T187, N°2, 1975, p, 152.

(4) فينفريد إلليغر، المرجع السابق، ص، 216.

(*) مصطلح الكاثوليكية نسبة إلى الكلمة اليونانية "katholikos" والتي تعني عالمية، ونسبه المسيحيين إلى كنيستهم من حيث أن ديانتهم جاءت لجميع الناس أنظر Verlag Friedrich Bischoff, Le Catechisme de l'Église neo- apostolique, Zurich(Suisse), Friedrich Pustet, 1 re edit, 2015,p,23.

للأمر الواقع ورضخ لقوة السلطة الرومانية [1]وهذا الأمر أحدث غضب كبير في التيار المقابل الذي اعتبر أن ذلك خيانة لدماء المسيحيين وخيانة لمبادئ الكنيسة ولا يمكن أن يكون هؤلاء المتخاذلين ممثلين للكنيسة. [2]

ويرى محمد البشير شنيتي أن ظهور الحركة الدوناتية استنادا إلى أوغسطين كان سنة 305م عندما أصدر مجمع كيرتا قرارات أبطلت القرارات التي صدرت عن مجمع قرطاج والمتعلقة بتطبيق أوامر الإمبراطور واجراءاته ضد الكنيسة وهو يعبر عن بوادر الانشقاق الأولى في الكنيسة الافريقية بعد أن كانت الكنائس في عموم نوميديا تابعة لكنيسة قرطاج[3]. ثم تعمق الانشقاق أكثر حول هذه النقطة سنتي 311م-312م بعد وفاة أسقف قرطاج منسوريوس (Mensurius) وتعيين مكانه سيسليانوس (Cecilianus) فما كان من أساقفة نوميديا إلا أن احتجوا على هذا التعيين الذي همشهم وخرق أعراف الكنسية الافريقية التي كانت تقتضي تعيين الأساقفة الجدد بحضور كبير أساقفة نوميديا، مما يعني أن سيكندينوس(Secundus)[*] غاب عن هذا التعيين وهو الذي كان من المفترض أن يمثل الأساقفة النوميديين. [4]

كما اجتمع عدد من الأساقفة النوميديين وعددهم حوالي سبعين أسقفا خلال هذه الفترة مع قنصل المقاطعة لحل هذا الاشكال لكن يبدو أن لاشيء تغير فأبواب الصراع بين الدوناتيين والكاثوليك أصبحت مفتوحة.[5]، ثم اكتشف هؤلاء الأساقفة النوميديون أن زملائهم الأساقفة الذين انتخبوا سيسيليانوس كانوا متخاذلين ضد إخوانهم المسيحيين أيام الاضطهاد ومن هنا فإن ذلك التعيين باطل لأن الأساقفة المتخاذلين هم بحاجة إلى إعادة تعميد تعيدهم إلى الكنيسة.[6]

ويبدو أن الخلافات بين الدوناتيين والكاثوليك لم تكن وليدة القرن الرابع الميلادي بل هي خلافات ظهرت من قبل بين الكنيسة الافريقية وكنيسة روما في الكثير من المسائل الدينية خصوصا في عهدي ترتيليان وكبريانوس

---

[1] محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص، 344.

[2] فينفريد إلليغر، المرجع السابق.

[3] محمد البشير شنيتي، المرجع السابق.

[*] سكيندينوس كبير أساقفة نوميديا في تلك الفترة وهو برتبة جثليق، من الأوئل الذين سافروا إلى قرطاج احتجاجا على تعيين الأسقف الجديد سيسيليانوس دون حضوره ثم تبعه عدد من زملائه لنفس الغرض، ينظر، محمد المبكر، حركة الدواورن...، المرجع السابق، ص، 27.

[4] Carlos Garcia Macgaw, Tradition et transmission Augustin,Cyprien et la question du Bapteme dans le contexte du Schisme DonatistE ,presses Univ de Franche-comté,2014,p,110 .

[5] Ibid.

[6] محمد المبكر، المرجع السابق، ص، 27.

بينما أصبحت الخلافات أكثر اتساعا في القرن الرابع الميلادي، وهو رأي يذهب إليه أيضا المؤرخ بول مونصو حينما يرى أن قضية انتخاب الأسقف سيسليانوس لم تكن سوى ذريعة لإعلان الانشقاق.[1]

وهكذا يبدو لنا أن الخلافات في الكنيسة الافريقية لم تكون تافهة من وجهة نظر الدوناتيين فمن تغييب وتهميش لأساقفة نوميديا إلى وجود أساقفة وقفوا ضد اخوانهم المسيحيين أيام الاضطهاد وأصبحوا على رأس كنيسة قرطاج ويلزمهم إعادة تعميد، وبما أن كنيسة قرطاج كانت تتزعم كل الكنائس الافريقية، فإن من وجهة نظر الدوناتيين أن هذا يعتبر انحرافا يجب إصلاحه[2].

ولم تكن وجهة النظر هذه في بداية الانشقاق تمثلها الكنائس النوميدية فقط بل حتى في مدينة قرطاج نفسها لم يحظى سيسليانوس بالثقة اللازمة لترأس الكنيسة مما كلفه وقوف بعض من رجال الدين في صفوف الدوناتيين وهكذا فإن الكنيسة الافريقية انقسمت إلى كتلتين الأولى كاثوليكية برئاسة سيسليانوس والثانية دوناتية بزعامة دوناتوس.[3]

وهناك من يربط نشأة الحركة الدوناتية باعتراف السلطة الرومانية بالديانة المسيحية من خلال اصدار الإمبراطور قسطنطين مرسوم ميلان عام 313م الذي اعترف فيه بالديانة المسيحية كديانة معتمدة كغيرها من الديانات، والاشكالية ليست في اعتراف السلطة أو تنصرها انما تدخلها في شؤون الديانة المسيحية فالإمبراطور أصبح يدعو للمجامع الكنسية ويشرف عليها ويعطي الأوامر ويضغط على هذه المجامع بآرائه رغم كونه رجلا سياسيا.[4]

ويظهر هذا التدخل بوضوح في قضية الخلاف بين الأساقفة الأفارقة حول تعيين سيسليانوس حينما اعتبر قسطنطين أن هذا الخلاف خطير جدا، ومن هنا كون تحديد درجة الخطورة جاءت من الإمبراطور وليس من أسقف روما إذا ما اعتبرنا قيادة كنيسة روما لجميع الكنائس في الإمبراطورية الرومانية، وفي نفس الصدد طالب قسطنطين من الأساقفة في إفريقيا أن يبحروا إلى روما في مجموعتين : مجموعة ممن تتهم سيسليانوس وتتكون من

(1) Paul Monceaux, Histoire litéraire de l'Afrique Chéritienne, op cit ,p,8.

(2) محمد المبكر، المرجع السابق، ص، 27.

(3) نفسه، ص، 28

(4) محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص،339.

عشرة أساقفة، وعشرة آخرين ممن هم في صفه وذلك لحل الخلاف بين الطرفين، وهنا أيضا نلاحظ بوضوح تدخل الإمبراطور حتى في أساليب حل هذا الخلاف الديني .[1]

كما يظهر من خلال الرسالة أن الإمبراطور قسطنطين هو ممثل الديانة المسيحية وهدفه هو الحفاظ على وحدة الكنيسة الجامعة رغم أنه في رسالة أخرى يشير إلى أن فض هذا الخلاف سيكون بين الطرفين المتنازعين وأسقف روما، بما يظهره وكأنه طرف محايد في النزاع لكن يبدو بالنسبة لبعض الأساقفة في إفريقيا أنه بمجرد إعطاءه الأوامر وتحديد الزمان والمكان لانعقاد اجتماع حل الخلاف يعتبر تدخلا في شؤون الكنيسة.[2]

قسطنطين أوغسطس إلى كرستوس 7 أسقف سيراكوزا، لما بدأ البعض يختلفون فيما بينهم بخبث فيما يتعلق بالعبادة الطاهرة والقوة السماوية، والعقيدة الجامعة، رأيت أن أضع حدا لهذه المنازعات التي بينهم، فاصدرت الأوامر بأن يقوم بعض الأساقفة من بلاد الغال، وأن يستدعي من إفريقيا الطرفان المتخاصمان، اللذان كانا يتنازعان مع بعضهما البعض بعناد وبصفة مستمرة، لكي يفحص بكل دقة موضوع النزاع بحضورهم وحضور أسقف روما.

ولكن نظرا لأن البعض إذ تناسوا خلاصهم، والتوقير الخليق بديانتنا المقدسة، لم يضعوا حدا للعداوة، ولم يخضعوا للحكم السابق صدوره، مدعين بأن الذين أعطوا رأيهم وقرارهم كانوا قليلي العدد، أو أنهم تعجلوا وتهوروا في اعطاء حكمهم قبل فحص كل الأمور التي كان يتطلب الموقف فحصها بدقة من أجل كل هذا حدث أن الذين كان يجب أن يحتفظوا بعلاقات الأخوة والمودة بين بعضهم البعض انقسموا فيما بينهم، الأمر الذي يدعو إلى الخزي والعار، وأعطوا فرصة للغرباء عن هذه الديانة الطاهرة للاستهزاء لذلك رأيته ضروريا أن يوضع الآن حد إن أمكن وبوجود الكثيرين لهذه المنازعات التي كان يجب أن تتلاشى بعد الحكم الصادر بموافقتهم.

ونظرا لأننا من أجل هذا قد أمرنا بأن يجتمع عدد وافر من الأساقفة من أماكن مختلفة في مدينة أرل قبل أول شهر أوغسطس فقد رأينا أنه من المناسب أن نكتب لك أيضا لكي تحصل من لاكترونيانوس العظيم وإلى صقيلة عربة عامة، وتأخذ معك اثنين آخرين من الرتبة الكهنوتية الثانية تختارهما أنت، وثلاثة خدم لخدمتك في الطريق، وترتب أن تكون في المكان المذكور قبل الموعد المحدد,

لك بحكمتك واتفاق ووحدة الباقين الموجودين يحسم هذا الانقسام الذي استمر حتى الآن بكيفية مخجلة بسبب بعض المنازعات المخزية، بعد أن يسمع كل ما يدلي به الطرفان المتنازعان، وبعد أن يسمع كل من أمرناهم أيضا بالحضور، فيستقر كل شيء وفق الايمان السليم، وتعود الوحدة الأخوية ولو تدريجيا، ليحفظك الله القدير في صحة كاملة سنين عديدة.

الشكل رقم 49: رسالة للإمبراطور قسطنطين تدل على تدخله في مسألة خلاف الأساقفة الأفارقة

المصدر: يوسابيوس القيصري، المصدر السابق، ص، ص، 501، 502.

[1] يوسابيوس القيصري، المصدر السابق، ص، 501.

[2] نفسه.

ومن جهة أخرى ليس كون الامبراطور كرجل سياسي فقط بمعنى أن أرائه من المفروض لا يمكن الأخذ بها لعدم اختصاصه في الشؤون الدينية، بل أيضا من وجهة نظر التيار المنشق أنه لا يمكن التحالف مع هذه السلطة التي كانت في وقت قريب تضطهد المسيحيين وتقوم بأعمال تهدف للقضاء على الديانة المسيحية، وهذا برأي الدوناتيين انحرافا عن مبادئ المسيحية الأولى التي لم تكن بها أية تأثيرات سياسية.[1] ولا نستبعد أن الإمبراطور قسطنطين نقل الامتيازات التي كان يحصل عليها في الديانة الوثنية إلى الديانة المسيحية سواء في المجال العقائدي أو التأديبي، فمن الصعب القضاء على العقلية الوثنية بسرعة قياسا إلى أن قسطنطين أول إمبراطور وثني يعترف بالديانة المسيحية.[2]

الشكل رقم 50: صورة لتمثال ضخم لرأس الإمبراطور قسطنطين كان يوضع أحيانا في الكنائس (مثل كاتدرائية ماكسينتيوس) وهو دليل على وجود علاقة بين السلطة والكنيسة

مصدر الصورة https://st-takla.org/Saints/Coptic-Orthodox-Saints-Biography/Coptic-Saints-Story_1396.html ،

هنري تشادويك، أوغسطينوس، مقدمة قصيرة جدا، تر، أحمد محمد الروبي، القاهرة، هندروي للتعليم والثقافة ط1، 2016، ص، 120.

(1) محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص، 338.

(2) Saxer Victor, L'Église et l'empire chrétien au IVe siècle. La difficile séparation des compétences devant les problèmes doctrinaux et ecclésiologiques, Revue des Sciences Religieuses, T 77, fascicule 1, 2003,p, 10.

كما يمكن تبرير التدخل السريع للإمبراطور شخصيا (من الناحية السياسية) في قضية الخلاف حول أسقفية قرطاج إلى كون هذه الأخيرة تعتبر الحاضرة الثانية في العالم الروماني وبما أن منصب الأسقفية يعتبر منصب ديني سياسي (بعد الاعتراف بالديانة المسيحية) فإن أي تهديد يمس هذا المنصب يكون له تأثير قوي في الإمبراطورية الرومانية. [1]

من قسطنطين أوغسطس إلى ملتيادس 2 أسقف روما وإلى مرقس 3. نظرا لأن أنولينس والي إفريقيا العظيم قد أرسل إلي عدة رسائل قيل فيها أن سيسيليانوس أسقف مدينة قرطاجنة وجهت إليه تهم كثيرة من بعض زملائي في إفريقيا، ونظرا لأنه يبدو لي أنه لأمر خطير جدا أن يسلك الشعب في تلك الأقطار التي عهدت إلى العناية الإلهية رعايتها، والتي يقطنها عدد وافر من السكان – طريقا خاطئا، وأن يكونوا منقسمين إلى حزبين، وأن يكون الأساقفة مختلفين.

الشكل رقم 51: رسالة للإمبراطور قسطنطين يتبين فيها أهمية الكنيسة الإفريقية

المصدر: يوسابيوس القيصري، المصدر السابق، ص، 500.

ثم أن هذا الخلاف لم يعد قاصرا على خلاف أسقفي داخل الكنيسة بل تبعه رفض شعبي وهو ما يتبين من خلال الرسالة التي وجهها البروقنصل " أنولينوس" إلى الإمبراطور قسطنطين في تقريره عن أحداث الخلاف حول تعيين سيسليانوس حيث يذكر في المحضر أن المعارضين لهذا التعيين كانوا مرفوقين بجماعة من عامة الشعب، ويبدو أن هذه التجمهرات كان يرفضها القانون الروماني لأنها تدخل في باب الاخلال بالنظام العام. [2]

ويرى آخرون أن قضية الخلاف حول تعيين سيسليانوس على رأس كنيسة قرطاج قضية شخصية ترجع إلى قيام امرأة غنية تدعى لوسيلا (Lucilla) بتحريض المعارضين لسيسليانوس بتنحيته لصالح ماجورانوس خلال اجتماع أقيم بمنزلها سنة 312 م و دفعت أموال طائلة للوصول إلى هدفها، غير أننا نعتقد أن هذا السبب الشخصي وإن كان فعلا موجود فلم يكن له تأثير حقيقي على الأسباب الواقعية الكامنة في هذا الخلاف والتي ترجع بالأساس إلى الأساقفة المتخاذلين خلال فترة الاضطهادات وإلى الارتباك الذي حصل في الكنيسة بسبب تدخل الدولة الرومانية في المواضيع الدينية، [3] كما أننا لا يمكن أن نستبعد فرضية التنافس بين نوميديا وقرطاج

[1] Carlos Garcia Macgaw, Loc cit.

[2] محمد المبكر، المرجع السابق، ص، 176.

[3] عبد الحميد عمران، الديانة المسيحية...، المرجع السابق، ص، 201.

في قيادة الكنيسة الإفريقية انطلاقا من أن هذا الانشقاق بادر به الأساقفة النوميديين وتم تجسيده في أرض الواقع من سيرتا النوميدية سنة 305 م وبهذا الشكل تداخلت أسباب عديدة لظهور الحركة الدوناتية.[1]

ومن الواضح أن دعم الإمبراطور كان في صف سيسليانوس من خلال توجيه الأوامر للأساقفة بالوقوف خلف أسقف روما في نظرته لهذا الخلاف وانطلاقا من هذا فقد أقر المجمع الكنسي الذي دعى إليه قسطنطين عام 313 م بتثبيت سيسليانوس في كرسيه الأسقفي.[2]

وبتعيين ماجورانوس أسقف لقرطاج من قبل المعارضين لسيسليانوس تفاقمت مشاكل أسقفية قرطاج بوجود قيادتين ولم يحل الخلاف حتى بعد موت ماجورانوس، إذ خلف هذا الأخير دوناتوس الذي بدأ عهد جديد من الصراع نقل إلى معظم بقاع المقاطعات الإفريقية،[3] وذلك لأن المؤتمر الجديد الذي عقد في أرل سنة 314 م للنظر مجددا في شرعية سيسليانوس لم يقرر حكم جديد بل أقر بشرعية سيسليانوس.[4]

ولم يحمل اعتراف تيودوروس بالديانة المسيحية كديانة رسمية للدولة سنة 391م أي جديد بل كرس انقسام الطوائف المسيحية، بسبب الفهم الذي فهمته تلك الطوائف من أن الديانة المسيحية انحرفت بعدما تحالفت مع قوى الظلم والطغيان فصورة الاضطهادات لم تمحى من نفوسهم وأصلا كانوا يأملون في المسيحية بأن تخلصهم من تلك القوى خصوصا وأنهم قدموا العديد من الشهداء.[5]

وجاء إعلان تيودوروس بنتائج عكسية على مستوى وحدة الكنيسة، فقد حاولت الدولة فرض مذهبها على الأقاليم الخاضعة لها وهو ما ساهم في خلق مناخ للحركة الدوناتية من حيث أن الدوناتيين أصلا متذمرين من سلطة الإمبراطورية الرومانية. [6]

وحتى وإن اعتبرنا أن الخلافات داخل الكنيسة الافريقية السبب المباشر لظهور الحركة الدوناتية فهذا لا يمنع من وجود أسباب غير مباشرة ترجع في تكوينها إلى ما قبل ظهور الديانة المسيحية في افريقيا وهي أسباب

---

(1) E .D Sainte –Marie, op cit,p, 47.

(2) Carlos García Macgaw,op cit , p, 111.

(3) عبد الحميد عمران، الديانة المسيحية...، المرجع السابق، ص، ص،202،201.

(4) Carlos García Macgaw, loc cit.

(5) جميل الحمداوي، المقاومة الأمازيغية عبر التاريخ أو عندما تسترخص الدماء من أجل الحرية، الرباط، دار المعرفة، 2013، ص، 128.

(6) نفسه، ص، 129.

ترتبط في الأساس بعلاقة السكان الأفارقة بالسلطة الرومانية، حيث كانت علاقة سيئة تميزت باستغلال الرومان للأفارقة وهو ما يمثل تناقض بين مطالب الديانة المسيحية الداعية للعدل وتحرير الانسان ومناداتها بتكريم الانسان بعيدا عن تصرفات الأباطرة وممارسات الامبراطورية الرومانية المتميزة بالاستغلال الاقتصادي والظلم الاجتماعي[1] ويمكن توضيح بعض الظروف التي نشأت فيها الحركة الدوناتية بالشكل التالي:

3-1-الدور الاقتصادي

في الوقت الذي ظهرت فيه الحركة الدوناتية كانت المناطق التي انتشرت فيها عانت كثيرا من الاستغلال الاقتصادي للسلطة الرومانية حتى قبل ظهور الديانة المسيحية ، فقد حولت أراضي السكان الأصليين إلى ملكية عمومية للشعب الروماني بموجب القانون الروماني، بعد أن كانت الأراضي هي مصدر رزقهم الأساسي، بل تعدى الاستغلال إلى الأراضي الرعوية وهي أخر ما يملكه السكان الأصليين من مصادر الثروة على أساس أن سكان شمال افريقيا كانت مصادر عيشهم الرئيسية تعتمد على الزراعة والرعي[2]، وفي الوقت الذي كانت فيه أراضي الملاك الأصليين تنتزع باسم القانون الروماني، كانت تمنح لملاكين كبار اخضعوها لسياسة الاحتكار، فهذه الأراضي منحت للإمبراطور وحاشيته وحكام أقاليمه وقادته العسكريين، فاختل التوزان الاجتماعي وأحس سكان شمال افريقيا بالظلم، وظهر كيف أن القانون الروماني أستخدم في أيدي فئات قليلة من المجتمع وهو ما ولد لهم شعور بالتهميش وترسخ لهم بعدم عدالة السلطة الرومانية.[3]

ومن مظاهر الاستغلال الفاحش أن تحول جزء كبير من سكان شمال افريقيا المالكين للأراضي والتي انتزعت منهم بموجب القانون الروماني إلى عبيد لدى الملاك الجدد فكان لهذه المظاهر أثر سيء على نفوس الأفارقة. فقد دفعتهم الحاجة والفقر إلى العمل في تلك الأراضي ولم يكن بإمكانهم المطالبة باسترجاعها وإلا تلقوا رد قاسي من السلطة الرومانية كعقوبة لهم [4] ، كما أن تعسف موظفي الإمبراطور وصل بهم الحد إلى الزج بالسجن لكل من يشتكي من سوء معاملة موظف ما، فكثير ما كان الفلاحون في إفريقيا يشتكون من

---

[1] عيواج زاهية، الحركة الدوناتية في المغرب القديم ودورها في مقاومة الاحتلال الروماني، أعمال ملتقى وطني، المتحف الوطني العمومي، سطيف، 11و12ديسمبر، 2012، ص،89.

[2] نفسه.

[3] مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص، 90.

[4] روبين دانيال، المرجع السابق، ص، 29.

ابتزاز موظفي السلطة الرومانية ومغالاتهم في فرض الجزية لكن الحكام المحليين كانوا يغطون على سلوك موظفيهم وقمع كل تحرك يمس بوظائفهم ومن هنا يبدو أن الحكام المحليين وحتى الأباطرة كانت لهم مصالح وأراضي تسير بهذا الشكل فحاولوا الحفاظ عليها والاستمرار في تحقيق أغراضهم الشخصية.[1]

والعبرة في ذلك قيام تاكفاريناس ومساندیه بمطالبة استرجاع الأراضي التي استولى عليها الرومان بعد أن تمادى الرومان في التوسع والجشع في استغلال الأرض الافريقية غير مهتمين لمشاعر الملاك الأصليين وتفاقم أوضاعهم، وقد قابل الجيش الروماني ثورة تاكفاريناس بالقوة العسكرية، وهو من الأساليب التي استخدمتها الادارة الرومانية لفرض سياستها الاستغلالية وعدم ترك المجال لمطالب السكان الأصليين [2] ومن مظاهر الاستغلال أيضا أن يرى السكان الأصليين منتجاتهم من حبوب وزيتون وكروم وخيرات بلادهم من ثروات طبيعية وبحرية وحتى حيوانات من أغنام وأبقار وفيلة وأسود تنقل إلى أوروبا وهم محرومين منها فهي تولد احساسا قويا بالظلم وبأفضلية طبقات على طبقات أخرى.[3]

ويمكن ربط هذا الاستغلال الاقتصادي بالثورة الدوناتية فلم يرضى الدوناتيون بتحالف الكنيسة مع السلطة الرومانية التي يحملون منها موقفا متذمر لأنها ساهمت في تفاقم أوضاعهم الاقتصادية، وفي مراحل تطور الثورة الدوناتية نجد أن دوناتوس كان يأمر االبربر بطرد كبار الملاك وأصحاب النفوذ من المسيحيين الكاثوليك من أراضيهم من خلال مهاجمتها وتحرير العبيد الذين يخدومون فيها.[4] وهي في الأصل أراضي السكان الأصليين استولوا عليها بموجب النفوذ، فمن خلال قانوني هنوريوس لسنتي 412 م و 414 م والمتعلقين بمحاربة الحركة الدوناتية نجد أن وضعية المزارعين الأفارقة كانت تشبه وضعية العبيد حتى من ناحية العقوبات التي تفرض عليهم كانت متشابهة.[5]

كذلك يعتبر وجود ملاك أراضي أصحاب نفوذ من رجال الكنيسة الكاثوليك خرقا واضحا لتعاليم الديانة المسيحية التي ركزت أساسا على العدالة والكسب المشروع، وهو يعطينا مؤشر على وجود تيار من رجال

---

[1] إ.س.سفينسيسكايا، المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية، تر، حسان مخائيل اسحق، دمشق، دار علاء الدين ط3، 2010، ص،149.

[2] جمال مسرحي، المرجع السابق، ص،160.

[3] عيواج زهية، المرجع السابق، ص، 90.

[4] جميل الحمداوي، المقاومة الأمازيغية ، ص، 129.

[5] محمد المبكر، حركة الدواورن، المرجع السابق، ص، ص، 74، 75.

الدين المسيحيين فضلوا مصالحهم الشخصية ومآربهم المالية على حساب الديانة المسيحية ووحدة الكنيسة فهم استسلموا لإغراءات السلطة الرومانية المتمثلة في منحهم الامتيازات من أراضي وعبيد وأموال في مقابل مسايرة السياسة الرومانية، ويبدو أن رجال الدين المسيحيين من أصحاب المبادئ قاوموا زملائهم الانتهازيين.[1]

3-2-الدور الاجتماعي

جاءت الديانة المسيحية لتخلص الانسان من كل أنواع الظلم والاستغلال فهي ترى من خلال مبادئها أن كل انسان هو شخصية تحظى بالكرامة الكاملة للخلق وهو مناقض تماما للجو الاجتماعي الذي كان يسود العالم القديم قبل مجيء المسيحية فالديانة اليهودية تتميز بالانتقاء والعنصرية وبأفضلية الجنس اليهودي على الأجناس الأخرى،[2] في حين أن الديانة الوثنية فرضت عبادة آلهة لا ينفعون الناس شيء بدليل استمرار الامبراطور وحاشيته في استغلال الناس، وفي نفس الوقت يحكم الامبراطور باسم القوة الإلهية وأن تعليماته وأوامره مقدسة وكأن الآلهة هي التي فضلته على سائر الناس فهو بشر ليس مثل البشر الآخرين وهكذا فإن الوثنية كرست العبودية والتمييز بين الناس[3]، فالديانة المسيحية منذ البداية نسفت فكرة التفاضل بين الأجناس أو تمييز انسان على انسان آخر ووضعت في أولوياتها حب الله والعمل الصالح وفي خضم ذلك يتساوى الناس من حيث علاقتهم مع الله [4].

وعلى العكس من الديانة اليهودية التي يبدو من خلال ممارستهم أنها شريعة خاصة باليهود فإن الديانة المسيحية جاءت لكافة البشر في اطار شراكة انسانية غير منحصرة في لون أو جنس معين، وهي من بين أهم الأسس التي جعلت سكان شمال افريقيا يعتنقونها لأنها تلغي معاناتهم الاجتماعية المألوفة خلال الاحتلال الروماني[5]، ومن بين أهم التعاليم التي جاءت في انجيل "متى" والتي تنهي عن الممارسات السابقة نجد:

الأصحاح السادس:

مت 6 :19 لا تكنزوا لكم كنوزا على الارض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون

---

[1] جميل الحمداوي، المقاومة الأمازيغية، ص، 129.

[2] عامر عدنان الحافي، الأخلاق المسيحية، نحو علم اخلاقيات اسلامي، مؤتمر اسماعيل الفاروقي وإسهاماته في الفكر الاسلامي المعاصر، جامعة اليرموك، 23و24 نوفمبر 2011، ص، 03.

[3] Anne-Marie ,Hazard –Tourilon ,op cit,p,03 .

[4] عامر عدنان الحافي، المرجع السابق، ص،07.

[5] الأب متى المسكين، المسيح: حياته، أعماله، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط1، 1998، ص،ص،87،86.

الأصحاح العاشر:

مت 10 :11 واية مدينة او قرية دخلتموها فافحصوا من فيها مستحق واقيموا هناك حتى تخرجوا

الأصحاح التاسع عشر

مت 19 :16 واذا واحد تقدم وقال له ايها المعلم الصالح اي صلاح اعمل لتكون لي الحياة الابدية

مت 19 :17 فقال له لماذا تدعوني صالحا ليس احد صالحا الا واحد وهو الله ولكن ان اردت ان تدخل الحياة فاحفظ الوصايا

مت 19 :18 قال له اية الوصايا فقال يسوع لا تقتل لا تزن لا تسرق لا تشهد بالزور[1]

مت 19 :19 اكرم اباك وامك واحب قريبك كنفسك

مت 19 :20 قال له الشاب هذه كلها حفظتها منذ حداثتي فماذا يعوزني بعد

مت 19 :21 قال له يسوع ان اردت ان تكون كاملا فاذهب وبع املاكك واعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني.

فهذه بعض التعاليم التي جاءت في انجيل متى التي تنادي بتطهير حياة الانسان الروحية والمادية من الاستغلال والظلم[2]، وبمقارنة الواقع الاجتماعي الذي جاءت به الديانة المسيحية والواقع الذي فرضته الامبراطورية الرومانية نجده على النقيض تماما فقد عانى سكان شمال افريقيا طيلة فترة الاحتلال الروماني من الفقر والتهميش والتمييز والفصل بين المدن الرومانية والمدن الأمازيغية داخل نطاق شمال افريقيا، وخط الليمس من الأساليب العنصرية التي كرستها الادارة الرومانية فهو يعبر عن فصل وميز عنصري صريح بين السكان في شمال افريقيا وغيرهم من الموالين لروما، فالمناطق التي انطلقت منها الثورة الدوناتية خصوصا في الأوراس كان الكثير من سكانها طردوا خارج خط الليمس بعد أن تعرضت أراضيهم وخيراتهم للاستغلال أمام أعينهم[3]وبقي سكان شمال افريقيا يحملون تذمر كبير ضد السلطة الرومانية فقد حولتهم إلى عبيد بعد أن كانوا يعيشون أحرارا

[1] موقع الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي القس: الكنيسة القبطية الأرثوذكسية – الاسكندرية–مصر– http://st-takla.org/pub _newtest /40_matt.html)

[2] نفس الموقع.

[3] عيواج زهية، المرجع السابق، ص، 91.

في أراضيهم، لذلك نجد أنهم كانوا يناصرون أية حركة معارضة للسلطة الرومانية، طامحين في ذلك إلى استعادة حقوقهم وتخلصهم من الظلم. [1]

وهكذا لا يمكن اغفال الجانب الاجتماعي في تطور الحركة الدوناتية، فالدوناتيون اعتبروا أن تحالف الكنيسة مع السلطة الرومانية سوف لن يغير من أوضاعهم الاجتماعية شيئا بل هو استمرار لسياسة الظلم والتهميش التي مارستها السلطة الرومانية قبل مجيء الديانة المسيحية، وهو في نظرهم انحراف لمبادئ المسيحية لأن هذه المبادئ ستكون بأيدي سلطة لم تعرف العدل والمساواة طيلة تاريخها وتعاملاتها مع السكان الأصليين.[2]

4/مبادئ الحركة الدوناتية

بعكس حركات الانشقاق الأخرى لم تؤسس الحركة الدوناتية لمبادئ جوهرية تختلف عن المبادئ المسيحية الأصيلة، فهي ظلت تعتبر نفسها أنها حركة محافظة على المبادئ الأولى التي جاءت بها الديانة المسيحية وأنها تسير على خطى المبشرين المسيحيين الأوائل[3].

4-1-مشكلة المتخاذلين

وحسب الدوناتيون فإن النقطة الأساسية التي جعلتهم يؤسسون حركتهم هي انحراف المسيحية عن مبادئها الأصلية من خلال تحكم جزء من المتخاذلين الذين نُصِبوا على رأس الكنائس الافريقية بعد نهاية عصر الاضطهاد، هؤلاء المتخاذلين كانوا قد ضعفوا في عصر الاضطهاد وانساقوا وراء السلطة الرومانية[4] ، كما سلموا لها الكتب والوثائق المقدسة وطبقوا أوامر الامبراطور فيما يخص مصادرة أملاك المسحيين [5]وهو خيانة في نظر دوناتوس حيث تكشف أحد رسائله موقفه من ذلك فمن خلال رسالة وجهها لأسقف قرطاج منسوريوس قائلا "إني مسيحي وأسقف ولست خائنا" وذلك في رده على قبول كنيسة قرطاج أوامر الامبراطور المتعلقة بالتضييق على أتباع الديانة المسيحية، ومن خلال استقرائنا لهذا الموقف يتبين أن دوناتوس كان متشدد في

(1) Pascal Nicollier,op cit,p,16.

(2) عيواج زهية، المرجع السابق.

(3) فينفريد إليغر، المرجع السابق، ص، 216.

(4) جميل الحمداوي، المقاومة الأمازيغية... المرجع السابق، ص،ص، 24،25.

(5) محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص،344.

العلاقة مع الإمبراطورية الرومانية ولا يمكن طاعة أوامرها ويبدو أن الشهادة في نظر دوناتوس كان أفضل من تطبيق أوامر تلك السلطة ويبدو أن حدة الغضب ضد السلطة الرومانية من طرف الدوناتيين كانت في أشدها [1].

فمبدأ مقاومة الإمبراطورية الرومانية وعدم طاعة أوامرها من المبادئ الأساسية التي ركزت عليها الحركة الدوناتية ونادت بضرورة فصل المرتدين (Lapsi) [*] والمتخاذلين (Traditores) [**]من جهة عن المخلصين للديانة المسيحية من جهة أخرى [2] وقد ظل الدوناتيون يثيرون مسألة فصل الشهداء والصامدين عن المتخاذلين بحيث أن لا يكونوا في مستوى واحد من حيث المكانة في التنظيم الكنسي وأثاروا هذه النقطة باهتمام خلال مناظرة بمؤتمر قرطاج سنة 411م بين الدوناتيين والكاثوليك، معتبرين أنفسهم الأوفياء للشهداء الذين فقدوا في عصر الاضطرابات والصامدين في وجه الامبراطورية الرومانية معاتبين كل من تخاذل في نصرة الديانة المسيحية، فهم وأبناؤهم لا يحق لهم الحصول على المناصب الهامة في الكنيسة ويبدو أن هذه القضية من القضايا الرئيسية في الصراع المسيحي المسيحي [3].

خصوصا أنه بعد نهاية عصر الاضطهاد الذي أشرنا إليه في السابق وتوقف اجراءات العنف ضد المسيحيين حاول الكثير من المرتدين العودة مجددا إلى الديانة المسيحية وهو ما طرح مشكلة جدلية بين رجال الدين في كيفية واجراءات عودتهم[4] فلم يكن من رجال الكنيسة الدوناتية ومن باب نظرتهم المحافظة إلا أن اعتبروا تلك العودة خطرا على مبادئ المسيحية الأولى فهم مشكوك في اخلاصهم لديانتهم ولزملائهم فالذي تواطئ بالأمس مع السلطة الرومانية، لا يجب أن يكون محل ثقة فليس له هيبة ولا مكانة لكي يتبوأ منصب كبير في التنظيم الكنسي[5] وهذا رغم رد الكاثوليك على الدوناتيون في هذه المسألة بالقول أن الضعف عند الانسان هو ظاهرة طبيعية وأن الانسان في حياته معرض لارتكاب الأخطاء [6].

---

(1) Paul Monceaux, Histoire litéraire de l'Afrique Chéritienne ,op cit,p,12.

(*) مصطلح لاتيني أطلق على المرتدين عن الديانة المسيحية أنظر

Christime Prieto , Les hérésies du christianisme ancien Formation théologique Reims, 13 sept. 2008,p,140 .

(**)مصطلح لاتيني يطلق على المسيحيين الذين لم يصمدوا في وجه الامبراطورية الرومانية آيام الاضطهاد، فكانوا كثيرا ما يتعاونون معها حتى ولو على حساب اخوانهم المسيحيين أنظر، جميل الحمداوي، المقاومة الأمازيغية... المرجع السابق، ص،25.

(2) نفسه.

(3)جميل الحمداوي، المرجع السابق، ص، 27.

(4) Christime Prieto , loc cit

(5) فينفريد إلليغر، المرجع السابق، ص، 216.

(6) خديجة منصوري، المرجع السابق، ص، 38.

وفي ظل وجود هذه العناصر المرتدة لم يكن من الدوناتيون إلا الاعلان عن كنيسة تضم العناصر الصامدة في وجه الاضطهاد [1] وهكذا فإنه حسب ب.مونصو فإن سوء الفهم أيام الاضطهاد وصعوبة معالجة وضع العديد من الأساقفة ورجال الدين والعلمانيين أدى إلى بداية هذا الانشقاق[2].

4-2-تدخل الدولة في الدين

النقطة الثانية التي ركزت الحركة الدوناتية في نضالها ضد الكنيسة الافريقية الممثلة للكنيسة الكاثوليكية الرسمية هي قضية تدخل السلطة في الدين فمبادئ الديانة المسيحية تبرأت من الدولة الرومانية، هذه الدولة التي مارست سنوات عديدة من الاضطهادات العنيفة والخطيرة وحطمت قوة المخلصين، لا يمكن لسلطة كهذه تسيير شؤون المسيحين ولا التدخل في ديانتهم.[3]

ويبدو أن الدوناتيون فهموا سياسة الامبراطورية الرومانية في التحول من الاضطهاد إلى السلام، حيث ما كان ذلك أن يتم لولا صمود المسيحيين واحساس الدولة الرومانية بأن اجراءتها ضدهم فاشلة واستمرارها في تلك السياسة قد يؤدي إلى انهيارها [4]خصوصا أنه بداية من عصر الإمبراطور قسطنطين اعتنق سكان أغلبية الأراضي التابعة للإمبراطورية الرومانية في الشرق والغرب الدين المسيحي، وأصبح واقعا لا مفر منه فلم يعد تأثير الوثنيين قويا كما كان في السابق و تغير شكل الدولة تغيرا جذريا فأصبحت الأرياف والمدن مسيحية فكان لذلك انعكاس جوهري على الحياة الاقتصادية والاجتماعية لها[5] فاستسلمت الدولة للأمر الواقع واعترفت بالديانة المسيحية لإنقاذ سلطتها قبل فوات الأوان وحدوث تمرد تتحمل مسؤوليته الدولة، لكن في نفس الوقت تدخلت في هذا الدين الجديد ووجهته حسب مصالحها فبقاءها متفرجة على الأحداث وسيطرة المسيحيين لن يفيدها في شيء[6]، وتدخلها أدخل المسيحيين في شك لأن من كان في وقت قريب يضطهد المسيحيين بشدة ويعتبرهم تهديد للإمبراطورية الرومانية بين عشية وضحاها تحول إلى مشرف على ديانتهم ومقترح للقرارات في المجامع الكنسية، هذه القرارات التي أخذت بعين الاعتبار رغم عدم اختصاص السلطة في الشؤون الدينية[7]،

---

(1) خديجة منصوري، المرجع السابق، ص، 32.

(2) Paul Monceaux, Histoire litéraire de l'Afrique Chéritienne , op cit ,p,10 .

(3) محمد البشير شنيتي، ص، 345.

(4) نفسه.

(5) Anne-Marie-Hazard-Tourillon,op cit ,p, 8.

(6) محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، 337.

(7) جميل الحمداوي، المقاومة الأمازيغية... المرجع السابق، ص،128.

فالكثير من القرارات المصيرية التي حددت مصير الديانة المسيحية كان مصدرها الامبراطور بما فيها تلك المتعلقة بمحاربة الحركة الدوناتية وهنا بدت تلك القرارات وكأنها قرارات سياسية وليس قرارات لخدمة شؤون الديانة المسيحية[1]، وفي هذا الصدد أطلق الأب دونا جملته المعروفة" لا علاقة للمسيحية بالإمبراطور والإمبراطورية، الله أرسل المسيح للمستضعفين" في تعبير منه عن أن هذا التحالف الجديد بين المسيحية والإمبراطورية سوف لن ينصر المستضعفين كما نادت به هذه الديانة ومن ثمة يحصل تحريفا في احدى أهم المبادئ التي جاءت بها.[2]

ويرى محمد البشير شنيتي أن أحد أقوى المواقف في تاريخ الكنيسة طرح الدوناتيون لمسألة عدم تدخل الدولة في شؤون الديانة المسيحية وبدا ذلك واضحا في مؤتمر قرطاج سنة 411م[3]، وقد يكون هذا ردا على قرار الإمبراطور الذي اعتبر الحركة الدوناتية هرطقة وخارجة عن القانون في 12فبراير 405م فأعطى هذا القرار حق التدخل الرسمي لقمع الدوناتيون واخماد حركتهم.[4]

ولأن ما كان يخشاه الدوناتيون من خطورة تدخل الدولة في الشؤون الكنسية قد وقع فعلا على الأرض فقد وجد الدوناتيون أنفسهم خلال انعقاد مؤتمر قرطاج سنة 411م أنفسهم أمام محكمة يرأسها الوالي الروماني مارسيلنيوس (Marcellinus) الذي تصرف بأوامر أوغسطين بضرورة وقف الجدال في المؤتمر وارسال جنود لاعتقال الأساقفة الدوناتيون وهذا يظهر بوضوح تآمر كل مؤسسات الإمبراطورية الرومانية ضد الحركة الدوناتية [5].

4-3-مسألتي التوحيد والتعميد

من الناحية اللاهوتية حافظت الحركة الدوناتية على مبدأ التوحيد فهي على غرار المذاهب المشرقية المصرية والسورية تعتبر أن للمسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة عكس الكنيسة الكاثوليكية التي ترى أن للمسيح طبيعتين ومشيئتين إلهية وانسانية وهو ما أدخلها في موضوع تأليه المسيح[6].

(1) محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص،347.
(2) عثمان سعدي، الأب دونا، المرجع السابق، ص، 222.
(3) محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص، 348.
(4) عثمان سعدي، الأب دونا، المرجع السابق، ص، 227.
(5) نفسه، ص، 228.
(6) نفسه، ص، 221.

أما مسألة التعميد [*] فهي من المسائل التي اتخذت منها الحركة الدوناتية موقفا صارما فكل مرتد يجب اعادة تعميده عكس الكنيسة الكاثوليكية التي قبلت المرتدين دون اعادة تعميد، بل إن التعميد عند الدوناتيون يجب أن يخضع لأساقفة معروفين بالإيمان والأخلاق الحسنة مدعمين أراءهم من خلال الكتاب المقدس الذي جاء فيه "الشجرة الجيدة تكون فواكهها جيدة أما الشجرة اليابسة فهي لا تقدم فواكه جيدة. وهل يقطف العنب من الأشواك" في إشارة إلى أن الأساقفة المشكوك في اخلاصهم للكنيسة سوف لن تكون نتيجتهم إيجابية للأشخاص الذين عمدوهم.[1]

وقد كانت قضية التعميد مسألة خلاف بين كنيسة روما وكنيسة إفريقيا حتى قبل انشقاق هذه الأخيرة ففي عهد كبريانوس عارضت الكنيسة الإفريقية إرجاع المرتدين إلى الكنيسة إلا بعد أن يعمدوا من جديد وهو موقف أغضب كنيسة روما التي لا تشترط إعادة التعميد للمرتدين عن الديانة المسيحية فيكفي أنهم عمدوا لأول مرة.[2]

[*] التعميد هو طقس من طقوس الديانة المسيحية يتم التعبير من خلاله إلى الانضمام إلى ديانة المسيح، أنظر جورج حبيب بباوي، المعمودية في الكنيسة الواحدة الجامعة الرسولية، موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية www.coptology.com، موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية، 2008، ص، 47.

[1] خديجة منصوري، المرجع السابق، ص، 41.

[2] يوسابيوس القيصري، المصدر السابق، ص، 347.

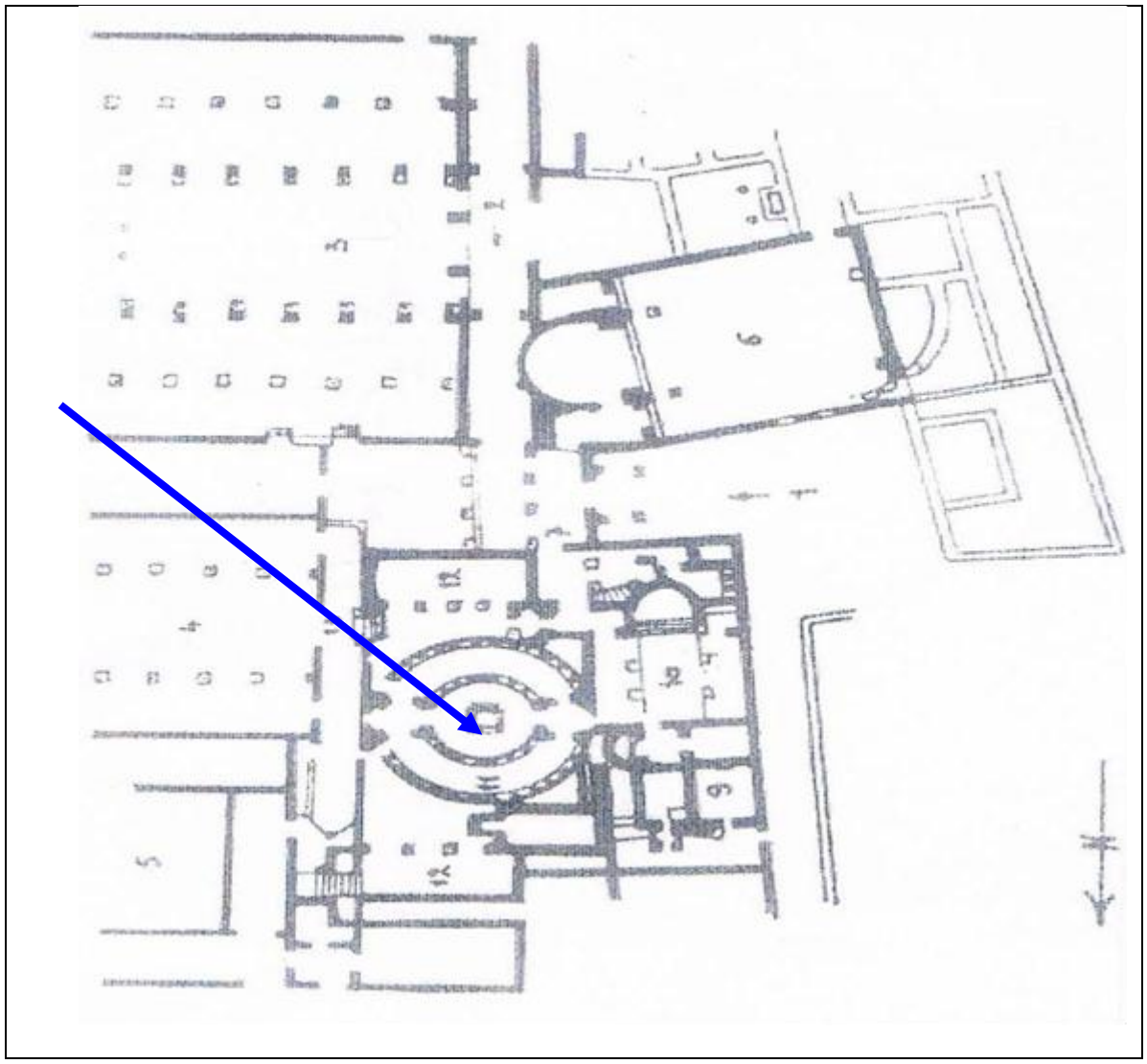

الشكل رقم 52: صورة تبين وجود مكان داخل كل كنيسة مخصص لممارسة طقس التعميد (المكان المخصص هو الرقم 11 بكنيسة جميلة)

مصدر الصورة

Duval Noël. L'évêque et la cathédrale en Afrique du Nord, Actes du XIe congrès international d'archéologie chrétienne, Lyon, Vienne, Grenoble, Genève, Aoste, 21-28 septembre 1986, Rome, Publications de l'École française de Rome, 1989, p, 379.

4-4- المبادئ الإجتماعية

ومن ناحية الحياة العامة فقد اتخذ الدوناتيون مبدأ مقاطعة كل من ينتمي للكنيسة الكاثولكية بالامتناع عن تبادل التحية معهم وعدم تناول الأكل معهم أو الجلوس في مجالسهم أو الدفن في مقابرهم [1] ورفض جميع العلاقات التجارية والمادية معهم، بل وصلت المقاطعة إلى درجة منع الكاثوليك من التطفل على الدوناتيون مثل تعيين الدوناتيون بمدينة عنابة كاهنا لحراسة مقابرهم ومراقبة كل من يدخل عليها مع منع أي كاثوليكي من ذلك، وفي حالة انتزاع كنيسة كاثوليكية فإن الدوناتيون لا يقومون بممارسة شعائرهم فيها إلا بعد حرق محرابها وبيع أثاثها وتنظيف بلاطها وجدرانها بالماء المالح لاعتقادهم السائد بنجاسة الكاثوليك[2]، وهكذا من خلال هذه المبادئ نلاحظ أن الحركة الدوناتية لم تحاول أن تطرح نفسها بديل للكنيسة الكاثوليكية وانما حاولت فرض نفسها لا صلاح الكثير من الانحرافات التي وقعت فيها.[3]

المشكلة	نظرة الدوناتيين	نظرة الكاثوليك	مبررات الدوناتيين	مبررات الكاثوليك
رجوع المسيحيين المتخاذلين والمرتدين	عدم المساواة بينهم وبين الصامدون خلال فترة الاضطهادات	الكل سواسية لأن الكل مسيحيون	فقدان الثقة في المتخاذل والمرتد لا يمكن أن يتقلد منصب عال في الكنيسة	الإنسان بطبعه يتعرض للأخطاء وأخطاؤهم تدخل في هذا الإطار
تدخل السلطة في الدين	من الضروري فصل السلطة عن الدين	الكنيسة مؤسسة من مؤسسات الدولة	تدخل السلطة يؤدي إلى انحراف في الديانة	تدخل السلطة ينظم الديانة
التعميد	إعادة تعميد المرتدين	لا يعاد تعميد المرتدين	الإرتداد يعني الخروج من الديانة المسيحية	الإرتداد كان بسبب الخوف من الموت والتعذيب

الشكل رقم 53: جدول يبين أهم نقاط الخلاف في المبادئ بين الدوناتيين والكاثوليك

5/ مدى انتشار الحركة الدوناتية في المغرب القديم

عندما نذكر موضوع الصراع في الكنيسة المسيحية بصفة عامة يتباذر للأذهان الحركة الدوناتية في المغرب القديم والحركة الأريوسية في الشرق وهما الحركتان اللتان سببتا اضطراب كبير في الكنيسة وفي الإمبراطورية الرومانية

[1] محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص، 350.

[2] خديجة منصوري، المرجع السابق، ص، 42.

[3] محمد البشير شنيتي، المرجع السابق.

خلال القرن الرابع الميلادي[1]، فالحركة الدوناتية هي حركة افريقية ولدت في قرطاج ونوميديا وجندت أتباعها في كامل الولايات الافريقية مستغلة ظروف كثيرة في تلك الولايات من أبرزها السخط والبؤس وتذمر جزء كبير من السكان ضد الإمبراطورية الرومانية[2]، هذا التذمر كان أكثر كلما توغلنا في المناطق الريفية في بلاد المغرب القديم حيث يبدو أن الفقر والحرمان كان على أشده وهو ما يفسر الانتشار الكبير للحركة الدوناتية داخل الأرياف[3].

وقد كانت اشارة انطلاق هذه الحركة الافريقية من قرطاج كما أشرنا إلى ذلك سابقا من خلال رفض الأساقفة النوميديين تعيين سيسليانوس (Cecilianus) أسقفا جديدا لكنيسة قرطاج وهي الكنيسة الأم في عموم افريقيا محتجين على تهميشهم من أي دور هذا التعيين[4]،ومتهمين سيسليانوس وزملائه الذين عينوه بعدم اخلاصهم للديانة المسيحية لتخاذلهم ضد اخوانهم المسيحيين في فترة الاضطراب وبالتالي يعتبر ذلك التعيين في رأيهم لاغيا، وقاد هذا الاحتجاج الأب دوناتوس وهو ما مثل الانطلاقة الرسمية لتأسيس الحركة الدوناتية[5]، ويمكن اعتبار نوميديا مركز الحركة الدوناتية في إفريقيا من خلال وجود الكثير من الكنائس الدوناتية بتاموقادي وتيفاست وباغاي، وهي كنائس تميزت بالتنظيم وبكثرة أتباعها، حتى أن التجمعات الكاثوليكية كانت شبه منعدمة، ومع ملاحظة خريطة انتشار الحركة الدوناتية يتبين كثافة انتشارها بنوميديا مقارنة بغيرها من المقاطعات[6].

وبحسب المعلومات المتوفرة يمكن تحديد مدينة باغاي (Baghai) كعاصمة للحركة الدوناتية في إفريقيا رغم أن الباحث قد يلاحظ في بداية الأمر أن قرطاج هي التي دارت فيها مسائل النقاش للأساقفة الدوناتيين مع نظرائهم الكاثوليك لكن كما ذكرنا سابقا أن ذلك فقط بسبب أن قرطاج كانت تتزعم الأسقفيات في إفريقيا

(1) Jacques Zeiller, Donatisme et arianisme. La falsification donatiste de documents du concile arien de Sardique, Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 77e année, N. 1, 1933. P,65.

(2) Paul Monceaux, Histoire litéraire de l'Afrique Chéritienne, op cit ,p,p,3-8.

(3) Rémy Kurowski, Autour du bapteme de clovis - saints Martin, Genevieve, Remi, clotilde,1997,p,14.

(4) Carlos Garcia Macgaw,op cit,p,110 .

(5) Pierre Hadot, Michel Meslin, A propos du Donatisme, Archives des sciencessociales des religions. N. 4, 1957. P,144 .

(6) Paul Monceaux, Histoire litéraire de l'Afrique Chéritienne, op cit ,p,39.

أمام كنيسة روما، فمن الطبيعي أن تناقش قرطاج مسألة الحركة الدوناتية باعتبارها مسألة إفريقية بالدرجة الأولى.[1]

فالأحداث الحاسمة في مسار الحركة الدوناتية جرت في باغاي بدء بالمعارك الدموية التي جرت فيها سنة 347م حينما تحولت المدينة إلى معقل للمقاومة ضد إجراءات السلطة الرومانية الخاصة بملاحقة الدوناتيين وقتلهم، وهو ما أدى أيضا بأساقفة باغاي إلى قيادة مقاومة كبيرة تمتد حتى إلى تيفاست وتيمقاد، وقد كان لهذه الأحداث دور كبير في تثبيت الحركة الدوناتية بإفريقيا [2]، ومن مدينة باغاي انطلقت حركة الدواورن وكان لأسقفها الدوناتي دورا في تنظيمها، كما حاول أساقفتها أن يجعلوا منها بديلا لعقد المجمعات بإفريقيا مكان قرطاج فقد اجتمع بها 310 أسقفا سنة 394 م لمناقشة قضاياهم وهو عدد كبير يفوق أحيانا (من حيث الحضور) بعض المجمعات التي جرت في قرطاج.[3]

أما مدينة تيمقاد فهي المعقل الثاني للحركة الدوناتية بعد باغاي، سلكت هذه المدينة نفس الاتجاه الذي سلكته باغاي من حيث دعم أساقفتها للدوناتيين ولمقاومتهم للكنيسة الكاثوليكية والإمبراطورية الرومانية.[4]

---

[1] محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص، 323.

[2] عمران عبد المجيد، الديانة المسيحية...، المرجع السابق، ص، 215.

[3] P.J.Mesnage, op cit, p,p,253,254.

[4] عمران عبد الحميد، الديانة المسيحية في المغرب القديم...، المرجع السابق، 254

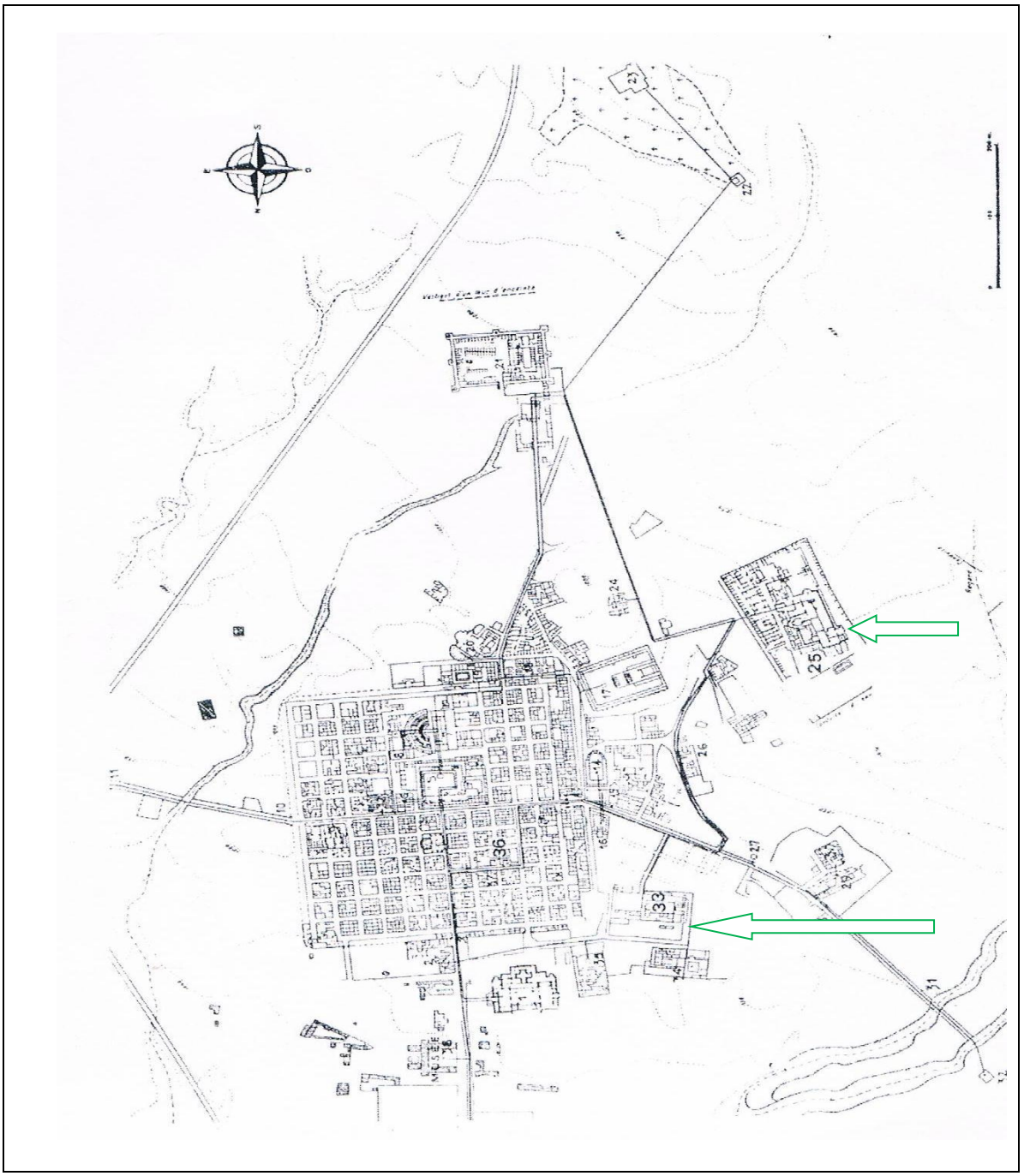

الشكل رقم 54: نموذج عن تواجد الكنائس الكاثوليكية والدوناتية في مدينة واحدة (رقم 33 الكنيسة الكاثوليكية، رقم 25 الكنيسة الدوناتية بتيمقاد)

المصدر: Duval Noël. L'évêque et la cathédrale en Afrique du Nord, op cit, p, 370 .

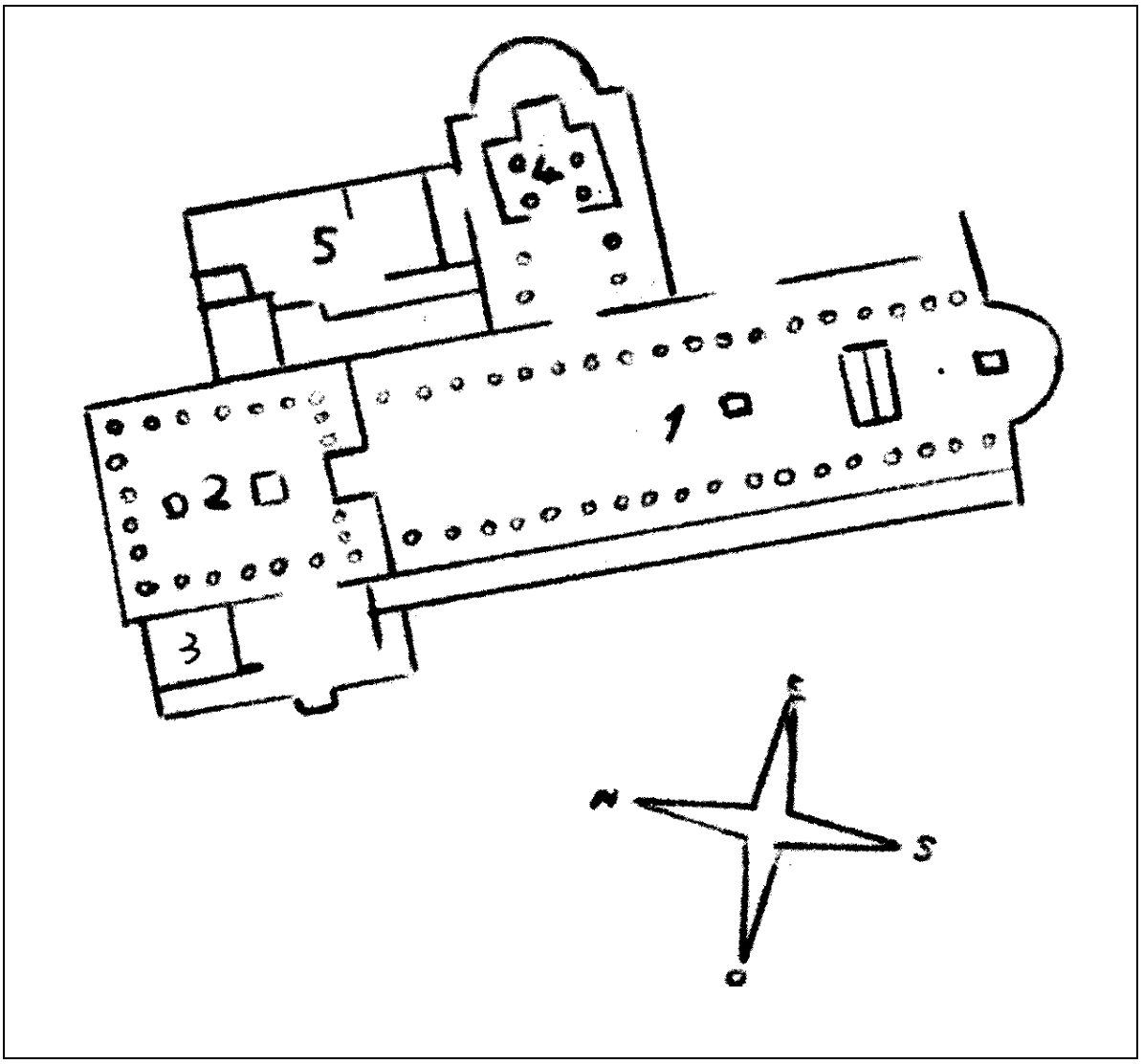

الشكل رقم 55: مخطط للكنيسة الدوناتية بتيمقاد التي كان يشرف عليها أوبتاتوس

1- صحن الكنيسة

2- باحة

3- بيت التعميد

4- المصلى

5- منزل أبتاتوس

المصدر: وزارة الثقافة، دليل آثار ومتحف تيمقاد، الجزائر، 1982، ص، 70.

وكلما تعمقنا في المناطق الداخلية بإفريقيا نلاحظ الانتشار الواسع للحركة الدوناتية ويبدو أن ذلك يرجع إلى قلة تأثرها بالرومنة ونجاح خطاب الدوناتيين في تحريض السكان ضد السلطة الرومانية مستغلين أوضاعهم المزرية،[1] وهو نفس الرأي الذي يذهب إليه أوغسطين منتقدا الأساقفة الدوناتيين لاستخدامهم أسلوب الدعاية والتأجيج لنشر أفكارهم في كامل ربوع المقاطعات الإفريقية.[2]

ويبدو أن معاناة نوميديا من الظروف التي ترتبط بتذمر سكانها من الإمبراطورية الرومانية جراء الظلم الاقتصادي والاجتماعي المسلط عليهم من الإدارة الرومانية، كان أكثر من غيرها من المقاطعات خصوصا أن دوناتوس كان ينتمي إلى هذه المقاطعة ويعرف أوضاعها جيدا، [3] هذه الظروف السيئة حسب تقييم المؤرخين السوفيات كانت تصل بالفلاحين إلى مستوى الاستعمار والرق حيث تحولوا تدريجيا إما إلى مستعمرين في أراضيهم أو عملاء، بل إن وضعهم الاقتصادي مطابق لحالة العبيد وهذا عكس ما كانت عليه الأوضاع في القرن الثاني الميلادي حيث يعيش الفلاحون والعبيد والمستعمرين جنبا إلى جنب.[4]

كما يفسر هؤلاء المؤرخين سبب تذمر قاطني المناطق الداخلية في نوميديا من السلطة الرومانية نتيجة لجشع الملاكين الرومان الكبار وتوسعهم الزراعي إلى تلك المناطق المعروفة بطابعها الريفي ومن ثمة مزيد من السيطرة على لقمة العيش للسكان الأصليين.[5]

(1) M. Poujoulat , op cit, p, 37.

(2) Augustin, Contra Litteras Petiliani Donatistae Cirtensis Episcopi, tra, REV. J. R. KING, M.A, Oxford, 84,184, 24-26,528.

(3) جميل الحمداوي، المقاومة الأمازيغية... المرجع السابق، ص، 129.

(4) Pierre Gacic, En Afrique romaine : classes et luttes sociales, d'après les historiens soviétiques, Annales. Économies, Sociétés, Civilisations , V 12, N 5, 1957, p,p, 650, 651.

(5) Ibid, p, 654.

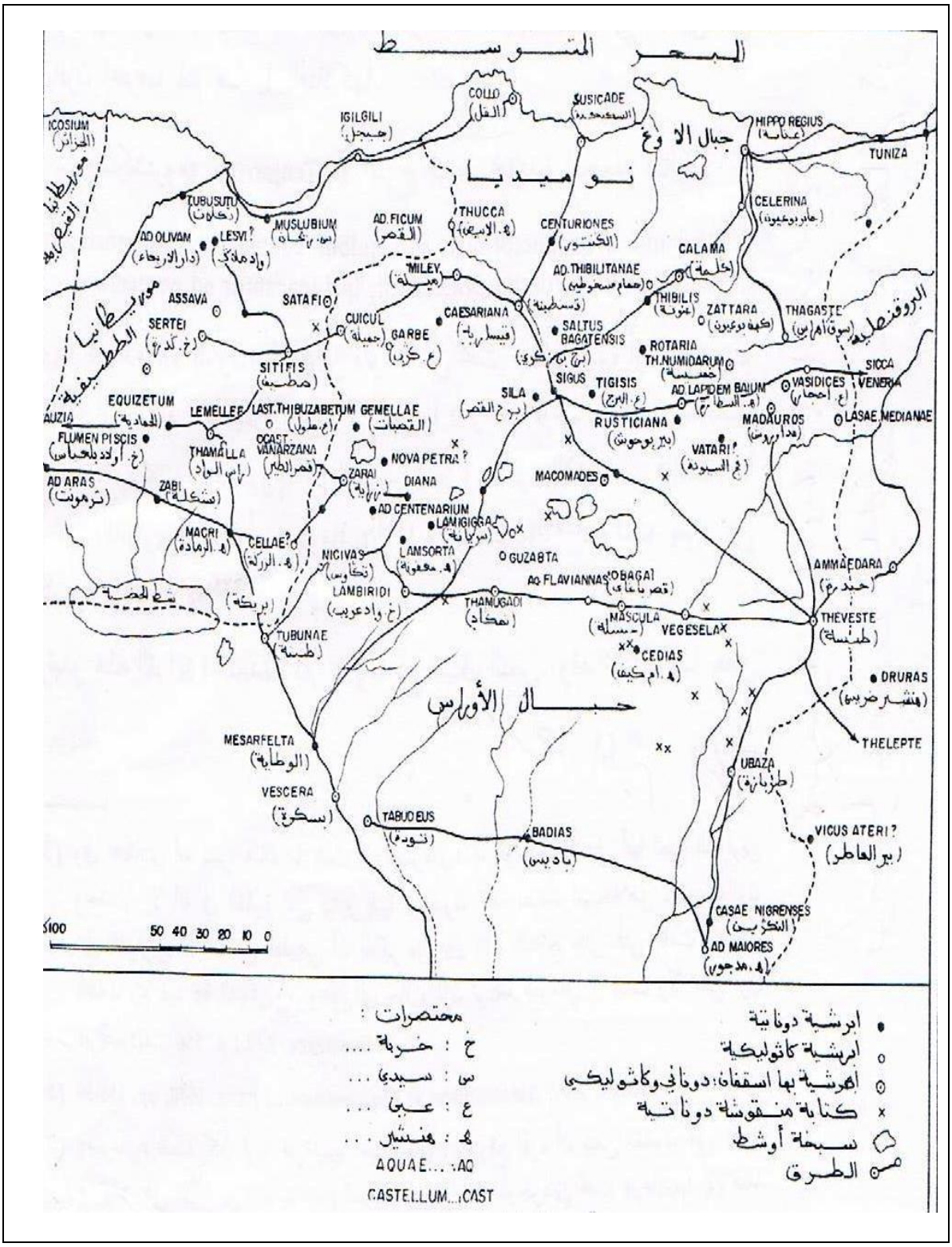

الشكل رقم56: خريطة انتشار الأبرشيات الدوناتية والكاثوليكية في نوميديا وموريتانيا السطائفية خلال بداية القرن الخامس الميلادي

المصدر: محمد المبكر، المرجع السابق، ص، 361.

لكن اعتبار نوميديا مركز للحركة الدوناتية بإفريقيا لا يعني اقتصار انتشارها في هذه المقاطعة فقط أو أن انتشارها ببقية المناطق كان محدودا، ففي بداية انشقاق الدوناتيين خلال المرحلة الأولى عن كنيسة قرطاج نجد أن من بين الأساقفة القرطاجيين أنفسهم انضموا إلى جانب الدوناتيون رافضين للخلل الذي حدث في مستوى التنظيم الكنسي بالكنيسة الأم في قرطاج[1]، كذلك عم انتشار الحركة الدوناتية المقاطعات الأخرى في البزانسان وطرابلس وفي موريتانيا القيصرية إذ أن انتشارها يظهر واضحا في مدن مثل تيبازة وسطيف[2]، وأن هذا الانتشار في موريتانيا ساعده مجموعة من العوامل أهمها استغلال الدوناتيين لفترة التسامح الديني التي أعلن عنها قسطنطين سنة 321م، مما أدى إلى عودة الكثير من أساقفتهم من المنفى، لأنه يبدو أن الحركة الدوناتية عانت كثيرا من إجراءات التضييق التي أعلنتها الإمبراطورية الرومانية، أما السبب الآخر فهو تنازل الدوناتية عن قضية إعادة تعميد المعتنقين الجدد للديانة المسيحية وهي قضية شكلت جزء من مبادئها خلال صراعها المذهبي مع الكاثوليك، وهذا التراجع قد يفسر باتجاه الحركة الدوناتية نحو الواقعية.[3]

(1) محمد المبكر، المرجع السابق، ص، 28.

(2) Paul Monceaux, Histoire litéraire de l'Afrique Chéritienne, op cit ,p,p , 35,43.

(3) محمد المبكر، المرجع السابق، ص، 200.

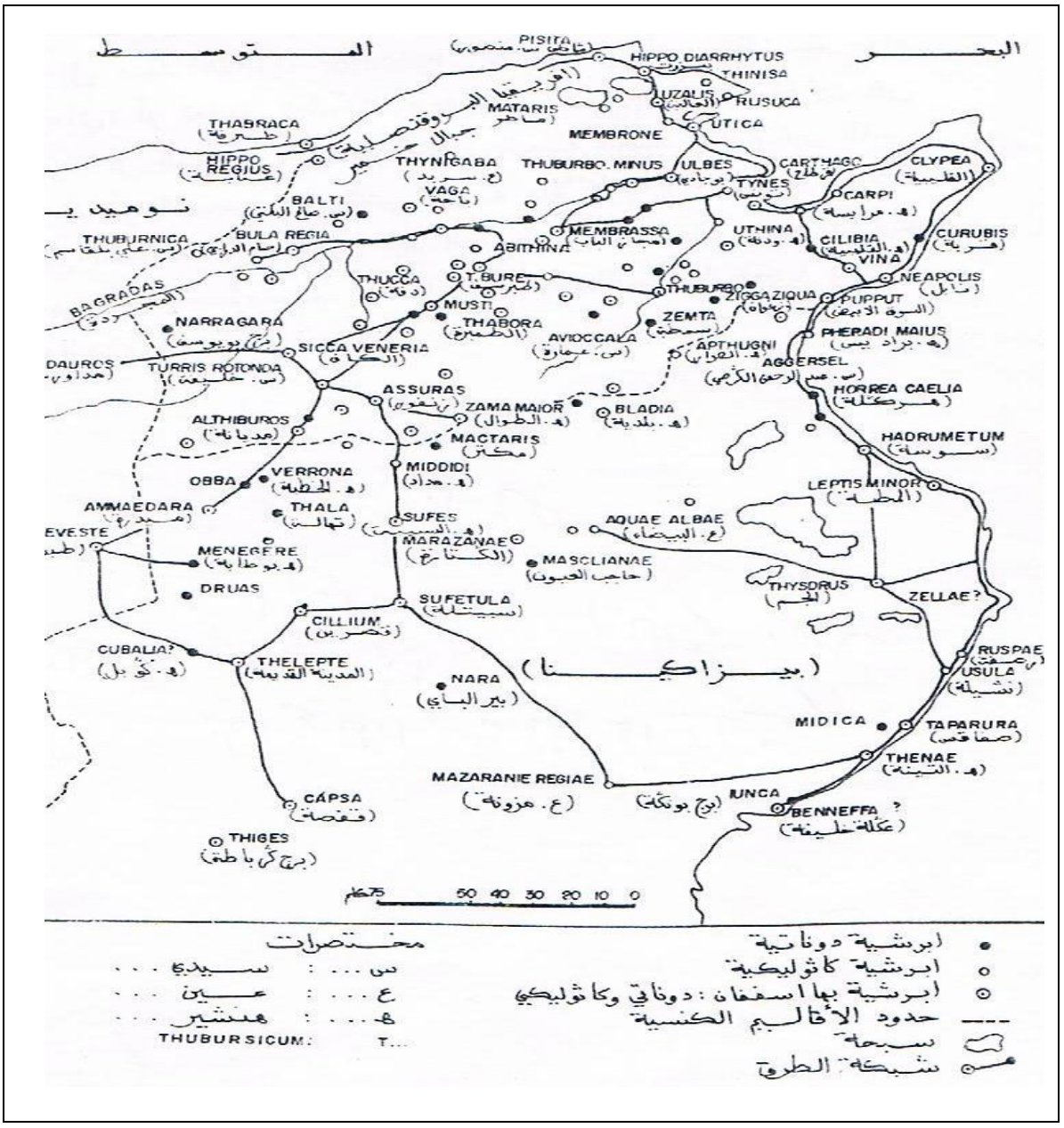

الشكل رقم57 : إنتشار الأبرشيات الدوناتية والكاثوليكية في إفريقيا البروقنصلية والبزانسان خلال بداية القرن الخامس الميلادي

المصدر: محمد المبكر، حركة الدواورن، المرجع السابق، ص، 361.

ومما يدل على الانتشار السريع للحركة الدوناتية في إفريقيا هو محاولة كنيسة قرطاج بتهدئة الوضع القائم من خلال ارسال الشماسين(*) إلى المدن والأرياف لإقناعهم بضرورة انتظار قرارات كنيستي روما وقرطاج المخولتين اختصاصا فقط للحكم في المسائل الدينية، إلا أن ذلك قوبل بالرفض المطلق من الدوناتيون المتحمسون لمبادئهم والمستعدين للموت من أجلها وعدم التنازل عنها.(1)

كما فشلت محاولات التهدئة هذه حتى داخل الكنيسة نفسها لأن تزايد الأساقفة الدوناتين كان مستمرا فكان عددهم في أول مجمع لهم بقرطاج سبعين أسقفا سنة 312م لينتقل عددهم إلى مائتين وسبعين أسقفا عام 330م بمجمع ثان في قرطاج(2)وفي أوائل القرن الرابع الميلادي يبدو أن عدد الأساقفة الدوناتين ببلاد المغرب كان مساويا لعدد الأساقفة الكاثوليك فمؤتمر قرطاج الذي عقد سنة 411م لمحاولة اصلاح الخلاف بين الكاثوليك والدوناتين حضره 565 أسقفا من بينهم 279 أسقفا دوناتيا مقابل 286 أسقفا كاثوليكيا، وهذا يبين بوضوح مدى انتشار الحركة الدوناتية وعقد المؤتمر في حد ذاته يمثل اعترافا بقوة الدوناتيين (3).

واعتمادا على عدد حضور الأساقفة الدوناتيون لمؤتمر قرطاج سنة 411م وتمثيلهم بالنصف من العدد الكلي للأساقفة يمكن أن نقول أن نصف المسيحيين في إفريقيا كانوا دوناتيين وأن الستمائة كاتدرائية الموجودة في إفريقيا بداية القرن الخامس الميلادي نصفها على الأقل يشرف عليها الدوناتيين(4)، وفي هذا المؤتمر أشار بيتليانوس أسقف قسنطينة الدوناتي إلى تفوق الدوناتيين في نوميديا وعدم وجود أساقفة كاثوليك إلا في أماكن محدودة مع اعتراف الكاثوليك بذلك في نفس المؤتمر ويبدو أن التمثيل النصفي بين الطائفتين لم يكن عادلا من وجهة نظرنا لأنه كان ينبغي أن يكون التمثيل حسب عدد الأتباع لكل طرف.(5)

لكننا نعتقد أن الاعتماد على نسبة الحضور لمؤتمر قرطاج سنة 411 م والتي عبرت عن التواجد الكاثوليكي مناصفة مع التواجد الدوناتي غير كافية لأنه يبدو أن الدوناتيون اخترقوا كامل إفريقيا بما فيها كنائس المدن المترومنة فالتضامن الشعبي معهم كان كبيرا ولم يقتصر على الأرياف فقط، لأن بعض الباحثين من بينهم

(*) الشماس (Diakoni) هو رتبة في الكنيسة وردت في سفر أعمال الرسل (أعمال الرسل 6) يعملون في الكنيسة كخدام فهم يساعدون الكهان في وظائفهم أنظر Paulin Bédard, Se préparer À servir guide À L'usage du conseil local,2008,p,01

(1) عمران عبد المجيد، الحركة الدوناتية بين الانشقاق الديني والتحرر ، ص، 88.

(2) نفسه، ص، 91.

(3) عثمان سعدي، الأب دونا ، ص، 228.

(4) Duval Noël, L'évêque et la cathédrale en Afrique du Nord, op cit , p, 347.

(5) محمد المبكر، المرجع السابق، ص، 195.

روبرت جولي (R. Joly) حاولوا أن ينسبوا الحركة الدوناتية للأرياف النوميدية وللفقراء بينما انتشرت الكاثوليكية في المدن المترومنة ولدى الأغنياء [1] ، ففي كنيسة هيبون (عنابة) التي تمثل أكبر الكنائس في نوميديا (وهي مدينة مترومنة) كانت الحركة الدوناتية مسيطرة عليها بشكل كلي حيث لم يكن للكاثوليك سوى كنيسة واحدة تمثلهم وهي "كنيسة السلام"، وذلك قبل مجئ القديس أوغسطين الذي وبفضل بلاغته وتأثيره على مستمعيه أعاد السيطرة للكنيسة الكاثوليكية في هذه المدينة.[2]

وغير بعيد عن هذه المدينة نجد العاصمة النوميدية سيرتا(حوالي 30ألف نسمة القرن الرابع الميلادي) كانت أغلب كنائسها تتبع للحركة الدوناتية وبها كانت النواة الأولى لقرارات المعارضة ضد كنيسة قرطاج .[3] كما أن الأثار تشير إلى وجود الكثير من الكنائس الدوناتية ببلاد المغرب القديم خلال الفترة التي عرفت انتشارها ففي نوميديا نجد العديد منها تتمركز في الأوراس والجنوب الغربي من تيفست، وقد عثر المؤرخون الفرنسيون على احدى أكبر البازيليكات الدوناتية في منطقة "قصر الكلب" وهي منطقة تقع حاليا بين ولايات خنشلة وتبسة وأم البواقي [4].

(1) Robert Joly, Saint Augustin et l'intolérance religieuse, Revue belge de philologie et d'histoire, T 33, 1955, p, 271.

(2) حفناوي بعلي، القديس أوغسطين والمدينة الفاضلة، فيلسوف افريقيا والعالمية، وزارة الثقافة السورية، مجلة المعرفة، ع 551، السنة 48، أوت 2009، 25.

(3) Yves Modéran , op cit,p,p,63,64.

(4) Pierre Cayre, Une basilique donatiste de Numidie, Mélanges d'archéologie et d'histoire, T 51, 1934. P,114.

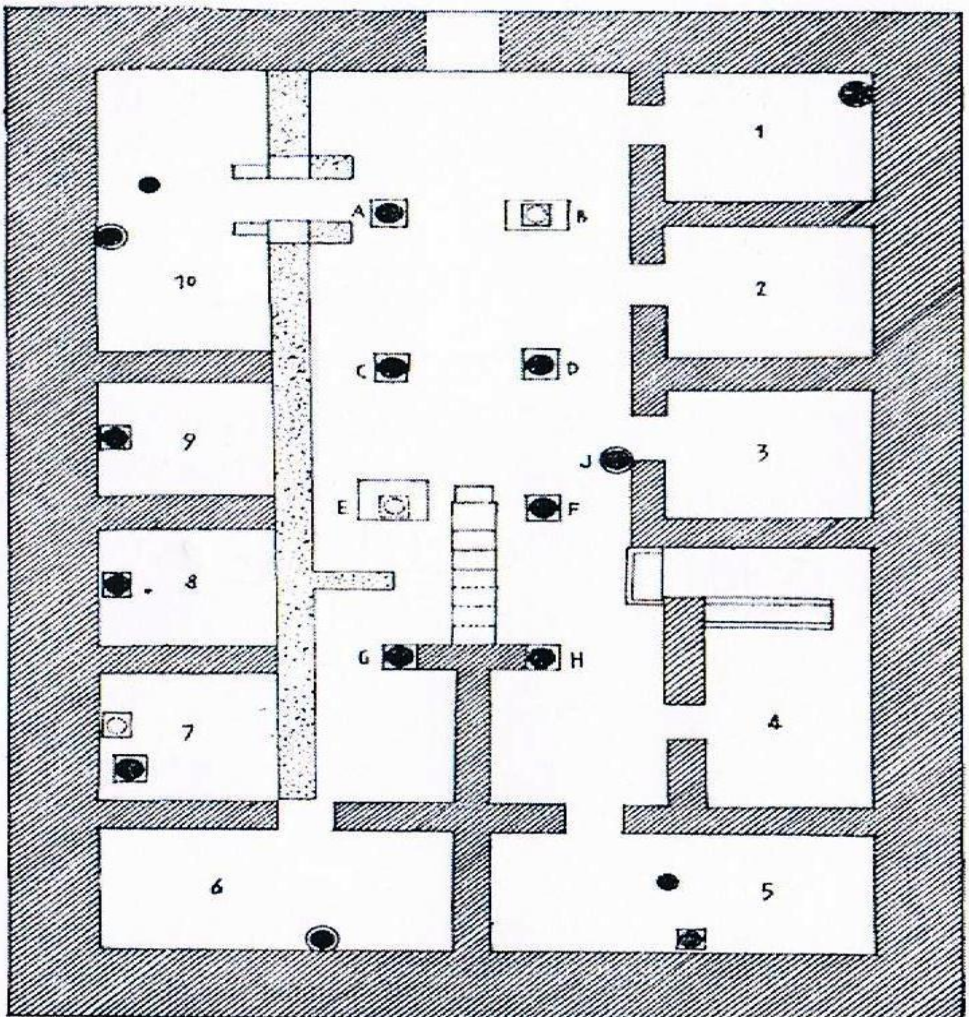

الشكل رقم 58: مخطط الكنيسة الدوناتية بمنطقة " قصر الكلب"

المصدر: Courcelle Pierre, Une seconde campagne de fouilles à Ksar-el-Kelb

Mélanges d'histoire et d'archéologie, T 53, 1936, p, 167.

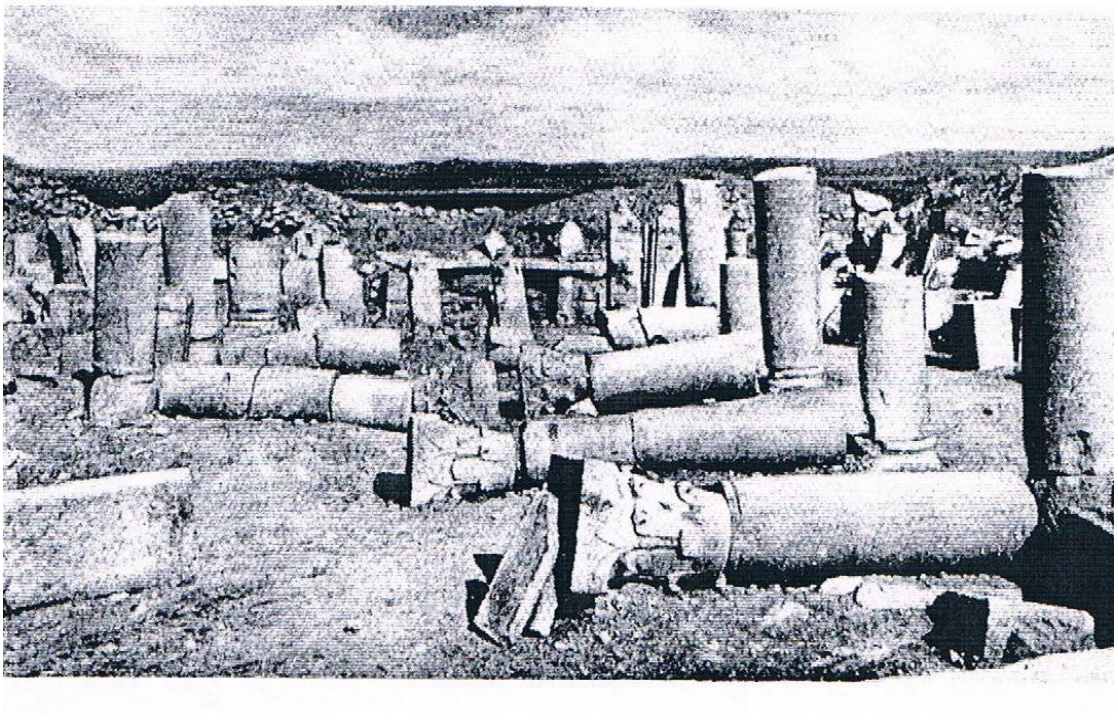

الشكل رقم 59: منظر عام لكنيسة " قصر الكلب " الدوناتية

المصدر:.Courcelle Pierre, op cit, p, 169

الشكل رقم60: القاعة الكبيرة بالكنيسة الدوناتية لقصر الكلب

المصدر: .Courcelle Pierre,loc cit

ويمكن للباحث الأثري الذي يسير في تيفاست أن يرى بسهولة مدى انتشار البازيليكات والنقوش المتعلقة بالحركة الدوناتية وقد أشار إلى ذلك ستيفان غزال في الأطلس الأركيولوجي إلى هنشير بوسعيد وهنشير العقلة وهنشير العثروس.[1]

ورغم محاولات الإمبراطورية الرومانية القضاء على الحركة الدوناتية، حيث يبدو أن مفعولها انتهى مع مجيء الوندال في القرن الخامس الميلادي، إلا أن النقوش التي عثر عليها وبالخصوص في منطقة نوميديا تشير إلى امتدادها إلى عشية الفتح الاسلامي[2].

(1) Pierre Cayre ,op cit ,p,115.
(2) J .Mesnage,op cit,p,41.

الفصل الرابع:

موقف الكنيسة الكاثوليكية والإمبراطورية الرومانية من الحركة الدوناتية

1/الحركة الدوناتية بين الهرطقة والانشقاق

2/الحركة الدوناتية بين التمرد والثورة

3/الصراع الاجتماعي بين الكاثوليك والدوناتيين

تعرضت الكنيسة الكاثوليكية والإمبراطورية الرومانية لاضطرابات كثيرة منذ بداية القرن الرابع الميلادي وهي اضطرابات سياسية وعسكرية واجتماعية ودينية، وكانت الحركة الدوناتية من أبرز الحركات إفريقيا مما كلفها رد قوي من طرف السلطتين الدينية والسياسية في الإمبراطورية الرومانية وهذا نابع من احساس الإمبراطورية الرومانية بانفلات الأوضاع منها ولم تتمكن من التحكم في أقاليمها كما كان سائدا خلال عصر الأباطرة الأوائل[1].

1/الحركة الدوناتية بين الهرطقة والانشقاق

أول اشكالية يمكن طرحها لتحديد العلاقة بين الكنيسة الكاثولكية الرسمية والكنيسة الدوناتية هو موقف الكنيسة الكاثوليكية من هذه الأخيرة باعتبار أنها خرجت منها باعتبار أن الكنيسة الإفريقية جزء من الكنيسة الكاثوليكية التي تمثلها روما وهذه الأخيرة تعتبر نفسها المرجعية الأولى للديانة المسيحية [2]، ولمحاولة الوصول إلى نتيجة بين من يرى أن خروج الحركة الدوناتية كان هرطقة ومن يرى أن خروجها كان مجرد انشقاق يجب علينا تحديد هذين المفهومين واسقاطهما على الحركة الدوناتية.

1-1-مفهوم الهرطقة (Hérésie)

إن كلمة (hairesis) اليونانية تعني من الناحية اللغوية الاختيار، التفضيل، الرأي المنفصل وقد تعني البدعة أيضا، فهي مصطلحات تستخدم في نواحي عديدة ومنها انطلقت للاستخدام الديني لتشمل كل رأي أو فكر جديد يناقض ما هو متفق عليه[3]، وقد استخدمها اليونان لأول مرة في المجال الفلسفي ثم استخدمت خلال القرنين الثاني والثالث الميلاديين في المجالات الطبية والقانونية.[4]

فالتعريف الكاثوليكي لكلمة الهرطقة هو كالتالي: "رأي ديني مدان كنسيا على أنه مناقض للإيمان الكاثوليكي أو أيضا خطأ اداري ومتشبث به متعارض مع مبدأ ايمان موحى به وتعلمه الكنيسة بصفته

(1) Jacques Zeiller,op cit ,p,65.

(2) محمد المبكر، المرجع السابق، ص، 26.

(3) ج.ويلتر، الهرطقة في المسيحية، تر، جمال سالم، بيروت، دار التنوير، 2007،ص، 20.

(4) Christime Prieto , op cit ,p,01.

هذه"[1]، ورغم أن الديانة المسيحية لم تستخدم كلمة "تكفير" لكن استخدمت في محلها كلمة "هرطقة" فهما يؤديان نفس المعنى باعتبار أن صاحب الهرطقة يتبع مذهب منحرف خارج عن الطريق الصحيح .[2]

ولا تطلق كلمة "هرطقة" في الديانة المسيحية إلا على الانحراف الذي يحصل في العقائد وهو بمثابة بدعة [*]عقدية، ولا تكون الهرطقة إلا في حالة الانحراف الذي يحصل في العقائد عكس الانحرافات التي تحصل في الطقوس أو النظام الكنيستين فلا يعتبر هرطقة وبالتالي الهرطقة هي أعلى درجات الانحراف في مستوى الكنيسة[3].

هذا الانحراف يكون داخل الكنيسة، بينما خارج الديانة المسيحية فإن الارتداد هو أشد من الهرطقة فهو خروج نهائي من الديانة المسيحية عكس الهرطقة التي تكون مخالفة أحد المبادئ العقدية للديانة المسيحية.[4]

وهكذا فإن القانون المسيحي يميز ثلاث أنواع من الكفر: كفر سلبي يوصف به الوثنيون ممن لم يروا المسيح فهم غير مذنبين بسبب جهلهم، وكفر سالب وهو يوصف به الماديين الرافضين الاعتراف بالحقائق رغم وعييهم وادراكهم بها، والكفر الأخير وهو ايجابي يطلق على كل من ارتد عن الديانة المسيحية.[5]

ولم تعرف الديانتين الاغريقية والرومانية الوثنية مفهوم الهرطقة بسبب أنها لم تكن وحي إلهي وبالتالي الديانة الوثنية كانت تجهل مفهوم "المبدأ الايماني" حيث كانت تتميز بالطابع العرفي في عقائدها[6].

---

[1] ج.ويلتر، المرجع السابق، ص، 18.

[2] سعيد محمد حسين معلوي، جذور التكفير في الأديان الكتابية، دراسة عقدية وتاريخية، مؤتمر ظاهرة التكفير، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، 1423هـ، ص، 16.

[*] البدعة Secte تطلق على مجموعة من الأشخاص الذين يعتنقون المذهب ذاته ويتم تطبيقه على المدارس الفلسفية في الزمن القديم لكن في المستوى الديني تطلق على كل مجموعة تلتحق برأي تعتبره خاطئا سلطة كهنوتية أو غالبية أعضاء كنيسة معينة فهنا أصبحت البدعة انحرافا أنظر ج.ويلتر، المرجع السابق، ص، 15.

[3] نفسه، ص، 15.

[4] نفسه، ص، 19.

[5] نفسه، ص،23.

[6] نفسه، ص، 16.

فمصطلحات الهرطقة والتجديف والانشقاق ما هي إلا مصطلحات استحدثت في المجامع المسكونية[1] المنبثقة عن الديانة المسيحية نتيجة لطابع العنف والحروب الدينية داخل النصرانية[2]. وقد عرفت الديانة الإسلامية أيضا الهرطقات[*] وذلك من خلال الصراعات المذهبية والسياسية التي حدثت بعد انتشار الإسلام خصوصا في الخلافتين الأموية والعباسية .[3]

ويمكن القول أن لفظ الهرطقة في المسيحية يقابله لفظ "الخروج" في الإسلام أو المروق من الدين لذلك فإن مصطلح الخروج في الإسلام يطلق على أولئك الذين أحدثوا بدعا في المجال العقدي الاسلامي ويقابله نفس المفهوم في الديانة المسيحية.[4]

وقد ارتبط مفهوم الهرطقة في بداية الأمر بالأباطرة فقد أطلقوا هذا المصطلح على كل حركة تقوم ضد الكنيسة الرسمية التي تتبع للدولة ومن ثمة يمكن القول أنها اجراءات كانت للتضييق على الحرية الدينية والعقدية وحرية الرأي، وهو يرجع في الأساس إلى رؤية السلطة بخطورة الهرطقة على وجودها فالاستمرار فيها يؤدي بدوره إلى الانشقاقات السياسية ولا يبقى محصورا في المجال الديني[5]، لكن ذلك لا يعني أن هذا المصطلح سياسي، فبعض الكنائس تطلق على أخرى هراطقة وهي بنظر كنائس أخرى أيضا هراطقة فالروم الأرثوذكس يعتبرون اللاتين هراطقة وللكنيسة البروتستانتية هراطقتها ويبدو أن هذا اللفظ كان شائعا للتعبير عن الخلافات العقائدية بين الكنائس.[6]

---

[1] المجامع المسكونية أو المجامع التي تضم مندوبي المسكونة (العالم المسيحي) هي تجمعات استثنائية عرفتها الديانة المسيحية تنعقد في حالة وجود انشقاقات في الديانة المسيحية أو بطلب الإمبراطور ويحضرها غالبية أساقفة الكنيسة من مختلف أنحاء العالم، أنظر كيرلس الأنطوني، عصر المجامع، مكتبة المحبة، ط1، 2002، ص،24.

[2] سعيد محمد حسين معلوي، المرجع السابق، ص، 17.

[*] يمكن مقارنة مصطلح الهرطقة بمصطلح شائع عندنا في الإسلام وهو " الزندقة" والتي تعني اظهار الإسلام وإبطان الكفر أو عدم التدين بدين في تعريف أخر، والزندقة مصطلح أعجمي شاع استخدامه في المصطلحات الدينية بسبب دخول الكثير من الأعاجم الإسلام أنظر،سعد الدين مسعد هلالي، موقف الإسلام من الردة، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، المؤتمر الثاني والعشرين"مقاصد الشريعة الإسلامية وقضايا العصر"، 22-25فيفري، 2010،ص،6.

[3] Pierre de Meuse , Histoire des hérésies, Trajectoire Editions,2010,p,10.

[4] ناصر بن سليمان، الخوارج والحقيقة الضائعة،د.م، ط1، 1999، ص، 141.

[5] Christime Prieto , op cit ,p,02.

[6] ج.ويلتر، المرجع السابق، ص، 17.

وإذا اعتبرنا أن استخدام مصطلح الهرطقة في المسيحية نابع من الخلافات الدينية فإن ذلك لا ينفي استخدامه لأسباب سياسية نتيجة للتحالف بين السلطة والدين فالمصالح المشتركة بينهما واضحة كما يتبين لنا من خلال التعمق في الموضوع. [1]

غير أن الكنيسة الرسمية والإمبراطورية سعت بكل الوسائل لمحاربة هذه الحركات الجديدة بدعوى أنها تشكل خطرا على المسيحية ووحدتها، ففسح المجال لها يؤدى إلى ظهور طوائف كثيرة . ونظرا للفهم الواسع من طرف الكنيسة الرسمية والإمبراطورية الرومانية بخطورة الهرطقة فإن عقوبتها في الديانة المسيحية كانت الحرمان الكلي من أسرار الكنيسة المقدسة ومن الصلوات داخل الكنيسة وحتى من الدفن في أرض مسيحية [2].

ولا يقتصر مجال تأديب الهراطقة على العقوبات الكنسية فقط بل يمتد ذلك إلى عقوبات أخرى يقررها القانون الطبيعي.[3] تصل أعلى هذه العقوبات إلى الإعدام[4] وقد دفع دوناتوس الأول حياته ثمنا " لهرطقته" بعد أوامر الإمبراطور قسطنطين الكبير القاضية بإعدامه سنة 316م ويبدو أن الإعدام كان يطبق على كبار أتباع الحركة الدوناتية بهدف القضاء على الحركة من خلال استئصال مفكريها[5] رغم أن هناك من الآباء المسيحيين الكاثوليك رفضوا فرض عقوبة الإعدام على الهرطقة على رأسهم القديس أوغسطين لعدم فاعليتها في الاصلاح الحقيقي وعدم تماشيها مع عقيدة الكنيسة الحقيقية ومن هنا يتبين أن عقوبة الإعدام كانت من تدابير الأباطرة.[6]

وتشمل عقوبة الهرطقة كل مشتبه بها أو مدافع عنها أو من ينشر عقائدها وأفكارها وقراؤها، كما زاد توسيع العقوبات لينتقل إلى الشق المدني مثل قرار نفي أريوس الذي أمر به قسطنطين بعد أن حكم عليه مجمع نيقية بالهرطقة، ونجد أيضا أن قوانين تيودسيوس تضم عقوبات مدنية أخرى كالغرامات وفقدان حق الملكية والتجريد من الوظائف العامة فضلا عن العقوبات الجسدية كالتعذيب والجلد ونلاحظ أن القانون الروماني كان

---

[1] ج.ويلتر، المرجع السابق، ص، 18.

[2] نفسه، ص، 28.

[3] Robert Joly, op cit, p, 286.

[4] بارعة القدسي، عقوبة الإعدام في القوانين الوضعية والشرائع السماوية، مجلة جامعة دمشق م19، ع2، 2003، ص،16.

[5] E .D Sainte –Marie, op cit,p,44.

[6] ج.ويلتر، المرجع السابق، ص،30.

متشدد مع الهراطقة في العقوبات فمختلف العقوبات التي أصدرت ضد الجرائم الأخرى عقوبات الهرطقة ضمت أغلبها.[1]

إسم الهرطقة	القرن	أهم مناطق انتشارها
الغنوصية (gnosticime)	الثاني الميلادي	روما – انطاكيا- الإسكندرية
الماريونية (marcionisme)	الثاني الميلادي	أسيا الصغرى- روما
الأونكرتية (encratisme)	الثاني الميلادي	سوريا
المانوية (monatanisme)	الثاني والثالث الميلاديين	أسيا الصغرى
(docétisme)	الثاني والثالث الميلاديين	أنطاكيا- الإسكندرية
الأريوسية (arianisme)	الرابع الميلادي	الإسكندرية – مناطق القبائل الجرمانية
البلاجية (pélagianisme)	الرابع والخامس الميلاديين	روما وإفريقيا

الشكل رقم 61: جدول يبين أهم الهرطقات في الديانة المسيحية خلال العصور القديمة

من إعداد الباحث حسب المعلومات الواردة في البحث

[1] ج.ويلتر، المرجع السابق، ص، 28.

1-2-مفهوم الانشقاق(Schisme)

يفرق الكثير من الباحثين المتخصصين في تاريخ الكنيسة بين لفظ الهرطقة (Hérésie) ولفظ الانشقاق (Schisme) رغم أننا أحيانا كثيرة نجد اللفظين يستخدمان في حالة واحدة [1] ذلك أن لفظ الانشقاق أقل خطورة في المعنى من لفظ الهرطقة لأن هذه الأخيرة تعني الخروج من الديانة المسيحية بعد أن مست بأحد جواهرها في مجال العقيدة بينما الانشقاق لا يمس جوهر الدين وهكذا فإن المنشق يبقى مسيحيا فالفرق بين اللفظين كبيرا من حيث أن أحدهما يبقي الشخص في دائرة "المسيحية" رغم ارتكابه الخطأ بينما اللفظ الثاني يجعل من مرتكب الخطأ خارج دائرة " المسيحية[2].

وكلمة الانشقاق استخدمت قبل ظهور الديانة المسيحية فلها جذور في اللغات القديمة كاليونانية حيث استخدمت بمعنى التقسيم كما استخدمت في الآداب البيزنطية للدلالة على انشقاق الكنائس وأيضا بصفة عامة للإشارة إلى أي تقسيم يحصل داخل مجموعة ما وتجدر الإشارة إلى أن الفلسفة اليونانية معروفة بتعدد مذاهبها وقد ينشأ مذهب جديد من مذهب آخر قديم.[3]

والانشقاق في الكنيسة هو ذلك الاختلاف في الرأي الذي لا يمس وحدة الايمان أو وحدة العقيدة فهو يشكل اساءة لوحدة الكنيسة وليس لوحدة العقيدة كما أشرنا في السابق وهكذا فإن أصحاب البدع ليس بالضرورة أن يصبحوا هراطقة إلا إذا مسوا بوحدة العقيدة في الديانة المسيحية وقد يبدأ أصحاب البدع بأخطاء صغيرة لا تدخل في مفهوم الهرطقة لكن مع تطور أفكارهم فقد يمسون بقضايا الايمان لتتحول بدعهم من الانشقاق إلى الهرطقة ومن هذا المنطلق لم تتسامح الكنيسة مع الانشقاق فضلا عن الهرطقة وفضلت الاحتفاظ برأي واحد في المسائل الإيمانية[4].

---

[1] يبدو أن الكتب المسيحية الأولى لم تفرق بين لفظتي الهرطقة والإنشقاق حيث نجدهما مترادفتين، أنظر Carlos Buenacasa Pérez, La presécution du Donatisme et l'imposition de l'orthodoxie en Afrique du Nord (IV-V siècles,Metz centre régional universitaire Lorrain d'histoire,2007,p,226.

[2] محمد المبكر، المرجع السابق، ص، 26.

[3] Marie-Hélène Blanchet, Frédéric Gabriel, Réduire le schisme ? Ecclésiologies et politiques de l'Union entre Orient et Occident, *Paris,* Achcbyz,2013,p,2

[4] ج.ويلتر، المرجع السابق، ص، 18.

وعصيان سلطة الكنسية الشرعية لا يعتبر هرطقة فهو انشقاق لأن العصيان هذا يتعلق بسلطة أشخاص وليس بسلطة عقيدة.[1] وفي تاريخ الديانة المسيحية كانت تلك البدع التي تسمى "هرطقات" سببا في حدوث انشقاقات وحدة الكنيسة، فحدوث الهرطقات يؤدي إلى عقد المجامع الكنسية التي تنظر فيها وما إن تعقد تلك المجامع إلا وتبدو خلافات جديدة بين رجال الدين، فمن الناحية التاريخية يعتبر مجمع خلقيدونية[*] أول بداية في ظهور الانشقاق في الكنيسة المسيحية[2].

ويبدو أن من أهم أسباب الانشقاق في الديانة المسيحية انقسام الإمبراطورية الرومانية نفسها إلى قسمين شرقي وغربي، وساهمت الفروق الحضارية واختلاف اللغة بين القسمين وسقوط القسم الغربي بأيدي البرابرة الجرمان وتعصب كنيسة روما في فرض آرائها على الكنائس الأخرى معتبرة نفسها الوريث الوحيد لفكر القديس بطرس كلها من العوامل التي ساهمت في انشقاق الكنائس.[3]

1-3- هل الدوناتيون هراطقة أو منشقين؟

بقي التمييز بين الهراطقة والمنشقين خلال القرون الأولى غامضا، لكن ظهور حركات جديدة في .لديانة المسيحية خصوصا الحركة الدوناتية أجبرت الكنيسة الرسمية على توضيح الأمور[4]، عادة ما يطرح هذا السؤال من وجهة نظر الكنيسة الكاثوليكية الرسمية التي تعرضت منذ القرن الرابع الميلادي إلى ظهور حركات جديدة في الديانة المسيحية وهو ما أدى بالكنيسة الرسمية المتحالفة مع الإمبراطورية الرومانية منذ 313م إلى عقد ما يسمى بالمجامع الكنسية المختلفة للنظر في وضعية هذه الحركات الجديدة في الدين المسيحي[5]، ونذكر هنا أن

---

(1) Christime Prieto , loc cit .

(*) مجمع خلقيدونية عقد في سنة 451م للنظر في طبيعة المسيح حيث تم رفض أن للمسيح طبيعة واحدة وتقرر أنه له طبيعتين ومشيئتين وهو ما فهمه بعض الكنائس على مخالفته لمبدأ الإيمان القويم وهكذا انشقت الكنيسة إلى شطرين، الشطر الأول يضم كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية وهما القائلتين بأن للمسيح طبيعتين ومشيئتين والشطر الثاني يضم كنيسة الإسكندرية ومن اتبعها مثل السريان والأرمن وهذه الكنائس بقيت محافظة على القول بالطبيعة الواحدة للمسيح ، أنظر زكريا بطرس، موجز تاريخ انشقاق الكنائس،انجلترا، كنيسة السيدة العذراء، ط2000،1 ،25.

(2) نفسه، ص، 26.

(3) مجموعة الحياة الكنسية، تاريخ الكنيسة، دار الجيل، 2001، ص،53.

(4) ج.ويلتر، المرجع السابق، ص،18.

(5) محمد المبكر، المرجع السابق، ص، 42.

مجمع هيبون المنعقد سنة 393 م ذكر الهراطقة (Heretiques) والمنشقين (Schismatiques) كل على حدة وهو ما يؤكد أن الكنيسة الإفريقية وضعت معايير لتصنيف الهراطقة والمنشقين.[1]

ولم تكن هذه الحركات التي أقلقت الكنيسة الرسمية تخص بلاد المغرب القديم بل ظهرت حركات معارضة أخرى للكنيسة الرسمية في بلدان مختلفة مثل الغنوصية والأريوسية (L'arianisme) في مصر والمانوية(Le montanisme) في أثيوبيا والدوسيتية(Le docétisme) في سوريا[2]، لكن هذه الحركات ظل انتشارها في بلاد المغرب القديم ضعيفا جدا مقارنة بالحركة الدوناتية وهكذا فإن الدوناتية كانت الشغل الشاغل لكنيسة قرطاج المتحالفة مع الإمبراطورية الرومانية حيث اهتمت بتوفير كل الوسائل لمجابهة هذه الحركة الجديدة.[3]

وإذا قارنا بداية ظهور المشاكل بين الحركة الدوناتية والكنيسة الكاثوليكية يبدو أنها لم تكن مشاكل تتعلق بوحدة الإيمان أو بالعقيدة المسيحية فهي كما يذهب محمد البشير شنيتي لم تكن سوى محاولة مجمع كيرتا (305م) ابطال قرارات كنيسة قرطاج التي سايرت أوامر الإمبراطور فيما يخص التضييق على المسيحيين، فهذا الخلاف لا يشير إلى خلاف ديني جوهري بل هو خلاف سياسي في كيفية مواجهة قرارات الإمبراطور ففي الوقت الذي يرى فيه بعض أساقفة قرطاج أنه ينبغي حقن دماء المسيحيين بعد موجة الاضطهادات التي أدت إلى استشهاد وتعذيب الكثير منهم وأدت إلى ارتداد الكثير عن دينه [4]، في نفس الوقت رفض دونات ومن سار على نهجه هذه التنازلات التي قد تؤدي إلى القضاء على الديانة المسيحية وبالتالي خيانة دماء الشهداء، وأنه لا بد من مواصلة الصمود[5].

حتى بقية القضايا الأخرى التي كانت محل جدل دائر بين الدوناتيون والكاثوليك لم تمس جوهر العقيدة المسيحية سواء ما تعلق باحتجاج النوميديون على تهميش أساقفتهم في الاجتماعات التي كانت تقام بكنيسة قرطاج باعتبارها الكنيسة الأم في بلاد المغرب القديم، وأن من حقهم أن يمثلوا مقاطعة نوميديا وهي من المقاطعات الهامة والكبيرة، بل من حقهم أن يكون لهم نصيب من القرار داخل الكنيسة.[6]

(1) Charles Joseph Hefele , op cit, p, 87.

(2) Christime Prieto , op cit ,p,p,4-12 .

(3) محمد المبكر، المرجع السابق، ص، 42.

(4) محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص، 344.

(5) فينفريد إلليغر، المرجع السابق، ص، 216

(6) Carlos Garcia Macgaw ,p,110 .

في هذا الصدد يبدو أن ربط الحركة الدوناتية بالهرطقة ينطلق من اشكالية طهارة الكنيسة وطاهرة رجالها من حيث أن بعض ممن تخاذلوا ضد الديانة المسيحية في فترة الاضطهادات مدنسين بالكفر ووجب اعادة تعميدهم للدخول من جديد في الديانة المسيحية [1]. فمن وجهة نظر الدوناتيون أن كل من تحالف وتخاذل وتراجع عن دينه خلال فترة الاضطهادات يعتبر غير طاهر ومدنسا بالكفر بسبب ارتكاب ذنب خيانة الديانة المسيحية وبالتالي عودته إلى الكنيسة دون اعادة تعميد بإمكانه أن يؤثر على حياة المؤمنين من حيث أن امكانيته لا تؤهله للحث على الخير وتعليم الناس بعد أن فقد أخلاقه، بينما الكنيسة تحتاج إلى أشخاص مخلصين صامدين في وجه أي خطر يحدق بها [2].

ورغم محاولات الكاثوليك الدفاع عن موقفهم وتبرير ما وقع من تخاذل من خلال القول أن المتخاذلين لا يتحملون مسؤولية أخطاء من اضطهادهم فهم لم يتراجعوا عن دينهم عمد بل تم ذلك بواسطة الضغط، ثم أن القديس كبريانوس أشهر الأساقفة في قرطاج ومن كبار منظريها وفلاسفتها كان قد تسامح ورحب بعودة المتخاذلين إلى الكنيسة دون إعادة تعميدهم.[3]

لكن حتى لو فرضنا أن منشأ ربط الحركة الدوناتية بالهرطقة ينطلق من هذه النقطة الأخيرة فهذا يتناقض مع الإجراءات التي قامت بها الكنيسة الرسمية لإثبات ذلك والتي انطلقت من المؤسسة الإمبراطورية وليس من الكنيسة فالأوامر التي صدرت بحق الدوناتيون من حل تجمعاتهم ومصادرة ممتلكاتهم وتهديم كنائسهم وسجن أساقفتهم كانت صادرة من طرف الإمبراطور قسطنطين، وهو يعتبر إشارة واضحة لاستنجاد الكنيسة الرسمية بالمؤسسة الإمبراطورية لتقرير شؤون المسيحيين بدل أن يكون ذلك في إطار قانون كنسي [4] ، فهذا الدعم الذي وافقت عليه الكنيسة الرسمية في محاولة منها لأن تستخدم قوة وخبرة الإدارة الرومانية في القضاء على المعارضين يبدو أن ذلك كان على حساب صلاحياتها وسلطتها لأنها دفعت بذلك نفسها للخضوع إلى أهواء ورغبات الأباطرة.[5]

---

[1] خديجة منصوري، المرجع السابق، ص، 36.

[2] نفسه، ص،38.

[3] نفسه، ص، 40.

[4] Christime Prieto , op cit ,p ,15 .

[5] شارل جنيبير المسيحية نشأتها وتطورها، تر عبد الحليم محمود،بيروت، المكتبة العصرية، ص،174.

وتمثل حادثة اعدام دوناتوس الأول سنة 316م دليل أخر على تدخل السلطة الزمنية في فرض قراراتها خارج اطار الكنيسة الرسمية، لأن اعدامه كان بأوامر من الإمبراطور قسطنطين ولذلك قد يكون من وراء القرار أهداف سياسية [1].

وفي سنة 373م فالنتيان الأول(Valentinien Ier) أبطل طقس اعادة المعمودية وهو من الطقوس الأساسية في الكنيسة الدوناتية، ثلاث سنوات بعد ذلك جدد غراتيان (Gratien) ابطال كل الطقوس الدوناتية، وانتهى هذا الحظر للحركة الدوناتية ولجميع المذاهب والديانات الأخرى في عهد الإمبراطور تيودسيوس الذي أعلن في مرسوم سالونيك (édit de Thessalonique)28 فيفري 380م الديانة الكاثوليكية كديانة رسمية وفقدت المذاهب والديانات الأخرى أي وجود قانوني لها وأصبح نشاطها يمثل جريمة عمومية[2].

وهذه التسلسلات في اصدار المراسيم ضد الحركة الدوناتية وغيرها يشكك في آراء كل من يربط الحركة الدوناتية بالهرطقة، وذلك لأن الهرطقة كمفهوم يرتبط بوحدة الإيمان بحيث أن معالجته يتم داخل الكنيسة وأن منح اصدار القرارات المتعلقة بالحركة الدوناتية إلى القانون الروماني المدني يمثل نوعا من التداخل بين صلاحيات المؤسسة الدينية المسيحية وصلاحيات المؤسسة الزمنية المتمثلة في الإمبراطورية الرومانية[3].

ومن المفروض أن المبدأ الإيماني يتطلب تدخل صريح وواضح من الكنيسة تحدد فيه بدقة موقفها من نقطة معينة بالاعتماد على أدلتها من منطلق الوحي الإلهي أو الكتاب المقدس وليس من منطلقات قانونية مدنية[4]، إذا أن هذه الملاحظة الأخيرة تطرح منذ عهد الإمبراطور قسطنطين الذي اعترف بالديانة المسيحية وجعل نفسه الحامي الأعلى لها[5]فهو يتصرف كرئيس القساوسة للدولة الرومانية وهو بمثابة لقب البابا ولم يكن الإمبراطور كمشرف فقط في الاجتماعات الكنسية بل تدخل لاتخاذ القرارات في أمور العقيدة معتبرا ذلك شأنا من شؤون الدولة وكان على الأساقفة الانصياع لأوامره، ففي مجمع نيقية 325م تصرف الإمبراطور بمثابة الآمر والناهي لكل شيء يخص المجمع، وانطلاقا من هذا المجمع الأخير عام 325م يمكن القول أن الكنيسة

---

(1) محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص، 347.

(2) Christime Prieto , op cit,p,15.

(3) ج.ويلتر، المرجع السابق، ص، 19.

(4) نفسه، ص، 16.

(5) Anne-Marie-Hazard-Tourillon,op cit ,p,6.

أصبحت مؤسسة من مؤسسات الدولة، فقد استطاع قسطنطين أن يحتويها في ظل سكوت مطلق لرجال الكنيسة .[1]

ويعتبر هذا الخلط بين قرارات الإمبراطور وقرارات الكنيسة وضعا خطيرا في الديانة المسيحية على الأقل في بدايتها حينما بدأت تتشكل القواعد الايمانية الأولى ذلك لأن الجدل مازال قائما في تنصر الإمبراطور قسطنطين حيث أنه من الخطير ما إذا ثبت أن قسطنطين لم يكن مسيحيا ولم يفك ارتباطه بالعبادات الوثنية، وتصرفاته الأخلاقية أيضا لا تدل على وجود إيمان واضح بالديانة المسيحية فقد اقترف سلسلة من الجرائم بداية من سنة 326 م أي بعد عام من انعقاد مجمع نيقية وبعد ثلاثة عشرة سنة من اعطاء حرية للديانة المسيحية، فقد قتل حماه ماكسيميان وزوج أخته باسيانوس وأبناؤه لوسيانوس وكريسبوس وزوجته فاوستا [2].

أيضا تبقى مسألة تصوير الإمبراطور قسطنطين على أساس أنه رجل سلام، ورجل سمح بحرية الأديان وحرية الرأي، تبقى مسألة ينبغي إعادة النظر فيها فهو الذي أصدر قرارات قاسية ضد كل من خالف رأي الدولة الرومانية فيما يخص المسيح ويأتي على رأس هذه القرارات تشريد أريوس واعدام دوناتوس.[3]

ويبدو أن مصدر بعض العقائد والعادات في الديانة المسيحية كان مصدرها أولئك الأشخاص الذين حتى لو اعتنقوا الديانة المسيحية إلا أن الأفكار الوثنية ظلت تراودهم، ومن بين تلك العادات منشأ الرموز في المسيحية الذي قد يكون وثنيا ولهذا أشرنا إلى خطورة تولي الإمبراطور قسطنطين رعاية شؤون الديانة المسيحية في حين أنه لم يتخلص من الفكر الوثني،[4] فقد ظل الإمبراطورية الرومانية في عهد الإمبراطور قسطنطين تستخدم عملات نقدية تحمل شعارات وثنية إلى جانب الشعارات المسيحية مثل الاحتفاظ برموز إله الشمس، كما أن قوس قسطنطين في روما القائم إلى حد الآن عليه نقوش لإله الشمس لذلك يمكن القول أن أعلى هرم في الإمبراطورية الرومانية كان يمكنه بفضل سلطاته الواسعة أن يصدر مجموعة إضافية من القوانين التي تقطع علاقة الدولة كلية بالديانة الوثنية.[5]

---

[1] حسين المنصوري، مجمع نيقية، المجمع المسكوني الأول ، اصدارات أنصار المهدي ع117، ط1 ،2011، ص، ص،11،10.

[2] نفسه، ص،14.

[3] نفسه، ص،17.

[4] Anne-Marie-Hazard-Tourillon,op cit ,p,16.

[5] حسين المنصوري، المرجع السابق، ص، 17.

الشكل رقم62 : قوس قسطنطين بروما بقي شامخا رغم وجود رموز وثنية به

مصدر الصورة: https://commons.wikimedia.org/wiki/File:RomeConstantine%27sArch03.jpg

هـذه الاعتبـارات أدت بـالمؤرخ وول ديورانـت صـاحب كتـاب قصـة الحضـارة إلى القـول "أن الديانـة المسـيحية لم تقضـي علـى الوثنيـة بـل تبنتهـا...في صـورة جديـدة ممثلـة في لاهـوت الكنيسـة وطقوسـها"[1] فالأمبراطور قسطنطين كان قد تدخل بأوامره لعقد مجمع نيقيا وأمر فيه القضاء على الحركة الأريوسية[*] هذه الحركة التي رفضت عقيدة تأليه المسيح، بينما خضعت الكنيسة الرسمية لهذه الأوامر رغم انحرافها ومن ثمة أصبح مبدأ التثليث عقيدة للمسيحيين منذ إصداره كأمر إمبراطوري من طرف الإمبراطور قسطنطين سنة 325م .[2]

وفي هذا الصدد تطرح اشكالية نوعية العلاقة التي تجمع بين الدين والسياسة ومن جهة أخرى لماذا لم يكن البابوات هم الحامون للديانة المسيحية بسبب أنهم هم أهل الاختصاص وهم العارفين بشؤونها، فالكثير من أساقفة الكنيسة طرحوا علامات استفهام حول وضع الإمبراطور في الكنيسة فمن وجهة نظرهم أن الإمبراطور شخص مثل غيره من الأشخاص يجب أن يخضع للقوانين الأخلاقية التي جاءت بها الديانة المسيحية.[3]

وهكذا يبدو أن تدخل الدولة الرومانية في شؤون الكنيسة لم يكن محايدا فهي حاولت تغليب طرف على أخر واتخاذ كل السبل لمحاربة الدوناتيون وتشويه صورتهم وبالخصوص أن الدولة الرومانية تمتلك الدعاية والأموال والقوة وبفعل هذه العناصر قد تميل الكفة إلى من يمتلكها حتى لو كان الطرف الآخر على حق[4]. وانطلاقا من خطورة الهرطقة في الديانة المسيحية فيبدو أن هناك تذبذب في المواقف حول اعتبار الحركة الدوناتية هرطقة أو انشقاق حسب الزاوية التي ينظر منها كل طرف.[5] فالوقائع العامة تبين أن الحركة الدوناتية تعرضت للأحكام المسبقة حتى قبل محاكمتها فجميع القوانين أدانتها بالهرطقة منذ قانون 405م[6].

---

[1] وول ديورانت، قصة الحضارة، نقلا عن أبكر عبد البنات آدم، مآلات الإنحراف في العقيدة النصرانية، مجلة جامعة بحري للآداب والعلوم الإنسانية، ع6، ديسمبر، 2014 ،143.

[*] الحركة الأريوسية حركة تنسب إلى مؤسسها أريوس من أصل ليبي عاش في الإسكندرية (القرن الرابع الميلادي)، وهي حركة "هرطقة" في مفهوم الكنيسة الكاثوليكية رغم أنها نادت بمبدأ التوحيد، أنظر، أ. بكر عبد البنات آدم، النصرانية بين التوحيد والتثليث، بغداد، مجلة كلية الآداب، ع05، 2012م، ص،78.

[2] أ بكر عبد البنات آدم، المرجع السابق، ص،78.

[3] Anne-Marie-Hazard-Tourillon, Iop cit ,p,6.

[4] عمران عبد المجيد، الحركة الدوناتية بين الانشقاق والتحرر، المرجع السابق، ص، 86.

[5] ج.ويلتر، المرجع السابق، ص، 18.

[6] محمد المبكر، ملاحظات اعلامية حول أسماء الأساقفة الكاثوليك والدوناتيين في مناظرة قرطاج 411م، التاريخ القديم: قضايا وأبحاث، الدار البيضاء، منشورات كلية الآداب،2005،ص،185.

ويرى كارلوس بونكاسا بيراز(Carles Buenacasa Pérez) أن رجال الدين الكاثوليك حاولوا ايصال فكرة للإمبراطورية الرومانية بأن خروج الدوناتيين هو مجرد انشقاق وليس هرطقة وذلك لأن كتاباتهم وطقوسهم الكنسية لا تختلف كثيرا عن الطقوس الكاثوليكية.[1]

أما موقف القديس أوغسطين الذي كانت تمثل الحركة الدوناتية بالنسبة إليه المحور الأساسي في طريقه لتثبيت الكنيسة الكاثوليكية في بلاد المغرب القديم يبدو أنه اعتبرهم في بداية الأمر منشقين وليسوا هراطقة [2] وهو الأمر الذي توصل إليه المؤرخ كارلوس بونكاسا بيراز من خلال دراسته لرسائل أوغسطين من أنه ظل يستخدم لفظة (Schisme) والتي تعني الإنشقاق ولفظة(erreur) والتي تعني الخطأ في وصفه للدوناتيون [3]، ففي رسالة مثلا وجهها إلى أسقف هيبون الدوناتي (Proculéien) سنة 396 م دعاه إلى مؤتمر لإنهاء الانقسام ولم ترد أية لفظة في الرسالة تشعر خصمه الدوناتي بالهرطقة، ونفس الأسلوب خاطب به أسقف قالمة الدوناتي كريسبينوس(Crispinus) في رسالة موجهة له سنة 399 م وهو ما يمثل جزء من السياسة التي انتهجها أوغسطين ضد خصومه الدوناتيين .[4]

وقد أشار أوغسطين في هذا الصدد إلى الدوناتيون وتأسف لمحاولاتهم في القضاء على وحدة الكنيسة وهذا دون أن يعتبر ما قاموا به هرطقة، مستعملا أسلوب الحوار والجدال وتأليف الكتب لاقناعهم بالتراجع عن أفكارهم [5]، ويبدو أنه في أغلب الأحيان يرجع تجنب تصنيف الحركة الدوناتية مع الهراطقة يرجع إلى كونها أنها لم تهاجم العقيدة المسيحية، فهجومها ضد الإمبراطورية الرومانية وضد المجتمع يجعل منها حركة انشقاق محلية.[6]

(1) Carles Buenacasa Pérez,Les lettre antidonatistes d'Augstin, le vocabulaire employé pour dénoncer les crimes des Donatistes, collection des travaux et recherche,p,395.

(2) بعلي حفناوي، المرجع السابق، ص، 66.

(3) Carles Buenacasa Pérez, Les lettre antidonatistes… , op cit,p,397.

(4) LETTRE XXXIII , 1, LETTRE LXVI,1.

(5) Carles Buenacasa Péres , La presécution du Donatisme et l'imposition del'orthodoxie,op cit ,p,229.

(6) Redueil des notices et méemoires de la société Archéologique,V7,Constantine, L. Arnolet,1875,p,234 .

" أخي " بارمينيانوس إنك ترى الآن على من تقع مسؤولية كل الإجراءات الكريهة التي اتخذت في سبيل(اقرار الوحدة – تقولون أننا – معشر الكاثوليك– طلبنا تدخل الجيش– فلماذا إذن لم ير جندي واحد في إقليم " البروقنصلية؟ لقد أتي بولس Paulus ومكاريوس Macarius لعد الفقراء وحثهم على الوحدة وعندما اقتربا من مدينة Bagai، أراد دوناتوس الثاني أسقف المدينة إقامة العراقيل للوحدة وإثارة المشاكل للوافدين على المدينة لذا بعث المنادين إلى الأماكن القريبة وإلى كل الأسواق ليستنفر الدوارون المناضلين ويطلب منهم التجمع في مكان عينه لهم"

" ...لقد قاومتم بكل الأشكال ولكن بدون جدوى، فأنتم الذين تصرفتم، وأنتم الذين لم تقبلوا عن طيب خاطر السلام الذي طلبه الله منكم . أنتم الذين أعطيتم لتركة الانشقاق ثمنا أكبر من قيمة تعاليم المنقذ. وتعترضون قائلين بأنكم صانعو الوحدة . ناهضوا الوحدة ما استطعتم إلى ذلك سبيلا فلا أعتقد بوسعكم أن تنكروا أن الوحدة هي أغلى المكاسب. ماذا يعفينا من قيمة الفاعل إذا كانت صحة النتيجة مضمونة. فالعمال الذين يدوسون العنب ويعصرونه مذنبون لكن العصير كما هو يقدم قربانا إلى الله . إن الذين يصنعون الزيت أشخاص وسخون، وأحيانا ذو تصرفات شائنة وغلظة كبيرة وع ذلك فإن الزيت يستخدم للطهي والإنارة بل كزيت مقدس ايضا".

الشكل رقم 63: جزء من رسالة أوغسطين موجهة إلى الدوناتيين

المصدر:محمد المبكر، المرجع السابق،ص،ص، 273، 274.

كذلك لم يتردد بعض رجال الدين الكاثوليك في وصف الجدال بينهم وبين الدوناتيين بأنه مجرد خلاف مستخدمين اللفظ اللاتيني (diuisio) أو (dissensio) وهو من الألفاظ المهذبة التي عادة يستخدمها الخصوم.[1]

ويبدو انه بعد سنوات عديدة غير رجال الدين الكاثوليك المعتدلين في نظرتهم للكنيسة الدوناتية فأصبحوا ينظرون إليها وكأنها هرطقة وعلى رأسهم أوغسطين وقد يكون هذا التغير كرد فعل لنجاح الدوناتيين الكبير في أوساط الأفارقة.[2]وفي نفس الوقت أيد أوغسطين محاربة الحركة الدوناتية وكل من سار على نهجها، وليس الحركة الدوناتية فقط بل يجب في نظره إجبار كل الناس للانضمام إلى الكنيسة الكاثوليكية وليس فقط مجرد دعوتهم وهو ما قد يعتبر تغير وتعصب لأوغسطين في وجه خصومه الدوناتيين وغيرهم،[3] كما أيد أوغسطين استخدام القوة لاجبارهم على العودة عن أفكارهم مبررا بأن البشر يمكن أن تكون توجهاتهم خاطئة، وتركهم على الخطأ يشكل تهديد للكنيسة وللدولة.[4]

وهذا التغير في سياسة أوغسطين يبدو أنه جاء نتيجة لفشل سياسة الحوار والجدل مع الدوناتيين، بل أعطتهم مزيد من الوقت لانتشارهم وبث دعايتهم فقرر أوغسطين تغيير أسلوبه والدعوة إلى استخدام العنف لإرجاعهم للكنيسة الكاثوليكية.[5]

ويبدو أن هذه الدعوة التي تحمل في طابعها نوعا من إكراه الدوناتيين للعودة إلى الكنيسة الكاثوليكية كانت بمثابة ضوء أخضر للسلطة الرومانية لإصدار القوانين القمعية ضد الدوناتيين فالسلطة الرومانية تظهر بمظهر المحافظة على وحدة الكنيسة.[6]

(1) Carles Buenacasa Péres , Les lettre antidonatistes d'Augstin ,op cit ,p, 397.

(2) Ibid,p,398.

(3) Norbert Campagna, Le pape, l'islam et la violence,religion,forum 260,october 2006 ,p,81.

(4) جون لوريمر، المرجع السابق، ص، 197.

(5) نفسه، ص، 196.

(6) Christime Prieto , op cit ,p ,16.

ولكن يبدو حسب تصفح بعض الكتب التاريخية وبعض الكتب المحسوبة على الكنيسة أن هناك من داخل الكنيسة من يبدي موقفا صارما تجاه الحركة الدوناتية وذلك باعتبارها هرطقة، رغم أن الموضوع الذي على صنفت على أساسه هذه الهرطقة هو موضوع وحدة الكنيسة وهو ما يتناقض مع تعريفنا للهرطقة، هذه الأخيرة لا تتعلق إلا حينما يتم المساس بوحدة الإيمان المسيحي.[1]، ومن بين أولئك الذين اعتبروا الحركة الدوناتية هرطقة الأسقف أوبطا الميلي (Optat de Milève)[*] فهو على العكس من أوغسطين استخدم في كتاباته لفظة الهرطقة إلى جانب لفظة الانشقاق في الإشارة إلى الحركة الدوناتية،[2] فمن وجهة نظر أوبطا الميلي أن العقيدة تفسد حينما يتعلق الأمر بالمساس بشخص المسيح ويرى أن الدوناتيون أمسوا بشخصه وبالتالي فإن صفة الهرطقة قد تلازمهم من هذه الناحية ففي العصور الأولى من ظهور المذاهب في المسيحية كان المسيح محل جدل عقائدي كبير.[3]

لكن في خضم هذا الجدل بين اعتبار الدوناتيون هراطقة أو منشقين يمكن أن نعطي ملاحظة تلخص كل هذه الاعتبارات وهي نفس الملاحظة التي يذهب إليها ج.ويلتر بأن الدوناتية تم اعتبارها في بداية الأمر انشقاقا ، لكن في الأخير أدينت بالهرطقة وعلى أساس هذه الإدانة الأخيرة تم التعامل معها،[4] كما يبدو أن ذلك يرجع في الأساس إلى الفكر السائد في الكنيسة بأن الانشقاق ينمو ويكبر حتى يصل إلى درجة الهرطقة وهو المبدأ الذي أدين به الدوناتيون.[5]

وبين تلك الآراء التي كرست في كتاباتها التاريخية صفة الهرطقة أو الانشقاق بالنسبة للحركة الدوناتية، نجد رأي آخر يتكلم بإيجابية عن الأفكار الدوناتية فمن منطلق أن نوميديا كانت مركز للأفكار الفلسفية والوجودية ومهد للمناقشة والحوار وتعدد الآراء وهو ما أثبته الجدال الدوناتي الكاثوليكي والذي أفرز العديد

---

[1] جورج حبيب بباوي، المرجع السابق،ص، 45.

[*] أوبطا الميلي أسقف مدينة ميلاف (ميلة حاليا) في أواخر القرن الرابع الميلادي، ألف كتب كثيرة دفاعا عن الكنيسة الكاثوليكية ومهاجما الدوناتيون أنظر O.Vannier, Les circoncellions et leurs rapports avec l'Église donatiste d'après le texte d'Optat , Revue Africaine,V67, 1926,p,13.

[2] Carles Buenacasa Péres , Les lettre antidonatistes d'Augstin ,op cit ,p,397.

[3] João Eleutério, La crise donatiste et le tournant de la théologie catholique, Optat Milève et le baptême centré sur le Christ, didaskalia, xxxviii ,2008,p,200.

[4] ج.ويلتر، المرجع السابق، ص،102.

[5] جون لوريمر، المرجع السابق، ص، 194.

من الفلاسفة كان لهم دور بارز في الديانة المسيحية ففي كتبهم وحواراتهم نجد أن هناك امتزاجا بين الإيمان والعقل [1]

2/الحركة الدوناتية بين التمرد والثورة

ونحن بصدد دراسة مسار الحركة الدوناتية من الناحية التاريخية نصادف وجهات نظر مختلفة حول اعتبار الحركة الدوناتية كحركة متمردة عن النظام الإمبراطوري الروماني المسيطر على الدولة وبين اعتبارها حركة ثورية ولكل موقف مجموعة من التبريرات يمكن معالجتها كالتالي:

2-1-تعريف التمرد (La rébellion)

التمرد في العلوم السياسية هو مفهوم يشمل كل مواجهة مسلحة عسكرية أو مدنية ضد النظام القائم تهدف إلى حمل هذا النظام للاستجابة لمطالب أو أفكار فئة معينة تحت تأثير القوة والضغط ويتم هذا خارج إطار القانون.[2]

وفي القاموس الفرنسي فإن حالة التمرد تستخدم في حالة عدم تطبيق أوامر العدالة مما يفهم أنه في حالة عدم وجود " حالة عدم تطبيق أوامر العدالة " فإن ذلك الحراك الفردي أو الشعبي يعتبر ثورة أو انتفاضة [3].

ومن هنا فإن التمرد من الناحية السياسية والقانونية هو عمل غير شرعي لأنه يستخدم أساليب غير أخلاقية في الوصول إلى أهدافه مثل القتل و زرع الفوضى في نطاق جغرافي قد يكون واسع ويؤدي ذلك إلى خسائر مادية وبشرية قد تكون معتبرة وهكذا فإن القانون يوفر للفرد أساليب أخلاقية يمكنه من خلالها الوصول إلى أهدافه.[4]

يمكن ربط موضوع التمرد بموضوعنا حيث ذكرنا أن التمرد يرتبط بظاهرة العنف وهذا العنف قد يكون بين أتباع دين واحد من حيث انقسامه إلى مذاهب شتى وكل واحد منها يعتقد أن مذهبه هو الأصلح وهو

(1) UNESCO , Diversité et interculturalitéen Algérie, Rabat, Bureau de l'UNESCO pour le Maghreb,2009,p,14.

(2) قبي آدم، رؤية نظرية حول العنف السياسي في الجزائر، مجلة الباحث، جامعة ورقلة، ع1، 2002، ص،106

(3) Dictionnaire de L'Académie francaise, éditions eBooksFrance 5ème Edition, 1798,p,2691.

(4) قبي آدم ، المرجع السابق،ص،ص،107،106.

الذي يحافظ على الدين الصحيح من وجهة نظره ويتهم أصحاب المذاهب الأخرى بأنهم أصحاب بدع وأهواء[1].

2-2-تعريف الثورة (la Révolution)

تعرف الثورة على أنها مجموعة من التغيرات التي تطرأ على الواقع السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو الفكري للشعوب[2] وتحمل معها معطيات جديدة وعميقة تدوم لسنوات طويلة وتكون نتائجها لها أثر واضح على الشعوب .[3]، وعادة ما تقوم الثورات على أساس الشعور بعدم العدل والمساواة بالنسبة للأفراد وأن تلك الدولة التي كانت لهم معرفة مسبقة بوعود تطبيق مبادئ العدالة تكون قد تنصلت من وعودها[4]، ورغم أن بعض من التعريفات للثورة حديثة إلا أن بعض منها يمكن اسقاطه على العصور القديمة، فالشعور النفسي الذي يتولد عند الثوار بضرورة التحرك لتغيير الأوضاع هو شعور واحد الدافع الأساسي منه هو تحقيق مطالبهم المتعلقة بالحرية والمساواة والعيش الكريم.[5]

وقد عبر أرسطو عن رأيه في الثورة من خلال كتاب "السياسة" بالقول أن جميع الأنظمة يمكن أن تتعرض للثورات بما فيها النظام الديمقراطي مركزا على فكرة أن المساواة هي الهدف الأسمى الذي تقوم من أجله الثورة وأن اختلالها يؤدي إلى الغضب والتحرك بأي وسيلة للوصول إليها[6]. وبالرغم من هذه الشعارات العادلة التي تقوم من أجلها الثورات إلا أن أرسطو لا يتفاءل بعدالتها دائما فقد تكون مزاعم الذين قاموا بالثورة في رأيه ظالمة، لأنها قد تكون بغرض الطمع في الثروات أو في المناصب.[7]

2-3-هل الدوناتيون متمردين أو ثوار؟

بعد أن تعرفنا على مفهومي التمرد والثورة يمكننا أن ندرس السياق التاريخي الذي وضعت فيه الحركة الدوناتية، فرغم أن الحركة الدوناتية قامت في بداية الأمر داخل الكنيسة وطالبت بإصلاحها، إلا أن توسيع

---

(1) قبي آدم، المرجع السابق، ص ، ص،108.

(2) Dictionnaire de L'Académie francaise ,op cit,p,2848 .

(3) كعسيس خليدة، الربيع العربي بين الثورة والفوضى، المستقبل العربي، ص، 224.

(4) عزمي بشارة، في الثورة والقابلية للثورة،الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،2011،ص،3

(5) M.Gaume ,La Révolution recherches historiques,Révolution Francaise,Lille ,1877 ,p,p,19,20.

(6) أرسطو طاليس، السياسة، بيروت، منشورات الجمل، ط1، 2009، ص، ص،406،405

(7) نفسه، ص، 409.

نشاطها خارج الكنيسة وضد خصومها سواء الإدارة الرومانية أو كل من تحالف مع الكنيسة الكاثوليكية هو ما جعل البعض يربطها بحالة التمرد وحالة العنف التي سادت افريقيا خلال نشاط هذه الحركة ويطرح جدل حول تحول اهتماماتها خارج الاهتمامات الدينية [1]

ويظهر من خلال بعض الدراسات وضع الحركة الدوناتية في إطار تعطيل السلام الديني الذي أقره الإمبراطور قسطنطين، فما إن عم السلام الديني في ربوع الإمبراطورية الرومانية بفضل القرارات الهامة التي أعلنها الإمبراطور قسطنطين على رأسها وقف الاضطهادات ضد المسيحيين، ما إن تم ذلك حتى نجد أن الدوناتية خرقته وعاد العنف مجددا إلى إفريقيا[2]، ولهذا فإن قانون الدولة المدني اعتبرهم خارجين عن القانون وبالتالي حركتهم غير شرعية لا داخل الكنيسة ولا خارجها وينجر عن ذلك تجريم أفعالهم واعطاء سلطة للدولة لإصدار أي أوامر تجبرهم على الخضوع للقانون الروماني، وتدخل الدولة في هذه الحالة نابع من صلاحياتها في فرض النظام حتى لو استلزم ذلك بالقوة[3].

وقد ظل رجال الدين الكاثوليك إلى جانب الإدارة الرومانية يستخدمون مصطلحات قاسية ضد الدوناتيون بإلصاق صفة "الإرهاب" بهم، وهي تهمة خطيرة تدفع بنا إلى الاعتقاد بمحاولات الإمبراطورية الرومانية اعتبار الدوناتيون متمردون وبالتالي شرعنة محاربتهم والقضاء عليهم[4]، وحتى بعض رجال الدين الأفارقة وعلى رأسهم القديس أوغسطين وأبطا الميلي انساقوا وراء وجهة النظر الرسمية التي تدخل حركة الدوناتيون في خانة التمرد، من خلال وصفهم بأطماعهم في السيطرة على قرطاج وانهاء الوجود الروماني بها، مع عدم احترامهم للإمبراطور حيث جعل دوناتوس مكانته مباشرة بعد مكانة الله، وهذا رغم المكانة التي حظي بها الدوناتيون في الولايات الإفريقية من حيث أن لهم قاعدة شعبية معتبرة[5] .

ويبدو أن هناك من الباحثين من ذهب إلى تقسيم الحركة الدوناتية إلى قسمين: قسم استغل الدين وظروف الانشقاق لمحاولة تحقيق مصالحه الشخصية والمادية وهم مجموعة من قطاع الطرق الذين مارسوا العنف بكل أنواعه والنهب للممتلكات وقسم آخر بقي محافظا على مبادئه وأخلاقه المسيحية ومن هنا اعتراف

(1) Norbert Campagna, op cit,p,41.

(2) Saint Augustin , Traités anti-donatistes, Oeuvres. Texte: traduction, introd. et notes , par B. Roland,V1,Desclée de brouwer,S4,1963,p,37.

(3) عمران عبد المجيد، الديانة المسيحية في المغرب القديم، المرجع السابق، ص، 205

(4) L'ecole pratique d'étude Bibliques, revue Bibloque, Paris, Victor Lecoffre,douzieme Annee, 1915,p,14.

(5) محمد البشير شنيتي، المرجع السابق،ص،353.

بوجود بعض الشوائب التي شابت الحركة الدوناتية من حيث أن البعض ركب موجة الأحداث وحاول أن يستغل ذلك بطريقة فوضوية لكننا نجد أن الدوناتيين دائما يرتبط اسمهم بالحماسة والعنف والتطرف ونادرا ما نجد الأبحاث تذكرهم بالاعتدال [1].

إثارة الدوناتيين للفوضى نجد لها إشارات عند توفيق أحمد المدني في كتابه "قرطاجنة في أربعة عصور" فهو يشير إلى أن الدوناتيون أغلبهم كانوا من العبيد الذين كانوا لا يملكون في حياتهم سوى أجسادهم في إشارة منه إلى اندفاعهم نحو إثارة القلاقل من خلال التقتيل والنهب وعدم الاعتراف بأية سلطة، وأن النزعة الدينية عندهم لم تكن إلا غطاء لتبرير تصرفاتهم العنيفة[2].

بول مونصو أيضا يركز على تلك العصابات التي رافقت الحركة الدوناتية والتي عرفت بأسلوبها الخشن في التعامل مع الكاثوليك كحمل العصي والأسلحة ضدهم وضرب رجال الدين الكاثوليك والسطو على أراضيهم وسرقة المسافرين بطريقة عشوائية .[3]

الشكل رقم 64: العصي التي يحملها الدواورن ووجود دوناتوس كشعار لهم (كنيسة فغلسيلا بالقرب من أم البواقي)

المصدر: Bruno Pottier, Les circoncellions. Un mouvement ascétique itinérant dans l'Afrique du Nord des IVe et Ve siècles, Antiquités africaines, V 44, N 1, 2008, p, 82

[1] جميل الحمداوي، المقاومة الأمازيغية....، المرجع السابق، ص،ص،130،129.

[2] أحمد توفيق المدني، قرطاجنة في أربعة عصور، من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986، ص،114.

[3] Paul Monceaux, Histoire litéraire de l'Afrique Chéritienne , op cit,p,27.

لكن من الضروري الإشارة إلا أن ذلك العنف الذي خرج من الكنيسة إلى المجتمع قد يكون تدخل السلطة الرومانية في شؤون الكنيسة هو الدافع، هذه السلطة التي أصدرت مراسيم وقرارات تحمل أحكام قاسية ضد الدوناتيون مثل مصادرة أراضيهم ونفيهم واضطهادهم أدى بالسكان المتضامنين مع الحركة الدوناتية إلى رد فعل مقابل تلك الإجراءات، وكان من الطبيعي أن يكون الصراع عنيف خاصة وأن للدوناتيون شعبية كبيرة في إفريقيا [1].

كذلك من الطبيعي أن يكون المتضامنين مع الحركة الدوناتية ناقمين على السلطة الرومانية التي لم تكن محايدة في هذا الصراع فقد دعمت الكنيسة الكاثوليكية وأساقفتها من الوهلة الأولى لبداية الصراع. [2]، كما يبدو أن ربط الحركة الدوناتية بالتمرد كان نتيجة تحالفها مع إحدى الحركات الاجتماعية المناوئة للإمبراطورية الرومانية وهي حركة الدوارون (Circoncellions) وهي حركة ذات بعد اجتماعي قامت ضد استغلال الرومان لأراضي وممتلكات السكان الأصليين، وقد استخدمت هذه الحركة أسلوب الهجوم على أراضي الاقطاعيين الرومان والسيطرة عليها بالقوة واعادتها إلى ملاكها الأصليين مشكلة مجموعات تطبق هذا الأسلوب بعيدا عن القانون والسلطة الرومانيتين رغم خضوع مناطقهم من الناحية الإدارية للسلطة الرومانية.[3]

ونظرا لأن الحركات الإجتماعية عادة ما تحتاج إلى دعم ديني فقد وجدت في الحركة الدوناتية ما ترغب فيه خصوصا وأن عدوهما كان واحد وهو الممارسات التعسفية للاحتلال الروماني في بلاد المغرب القديم، ويبدو أن هذا التحالف بين الحركتين هو الذي أدى إلى ربط الحركة الدوناتية كحركة دينية بالتمرد لأن تحالفها مع حركة الدوارون المتمردة عن القوانين الرومانية يؤدي بالضرورة إلى عدم التفريق بينهما ووضعهما في خانة التمرد، وقد يكون الرومان ورجال الدين الكاثوليك استغلوا هذا التحالف بين الحركتين لتشويه سمعة الحركة الدوناتية والقضاء عليها بداعي التمرد رغم أنها في الأصل نشأت كحركة دينية [4] .

ويبين محمد المبكر بعض خبايا هذا التحالف بين الدوناتيون والدوارون بأنه لم يكن سوى ظرفيا مع تخوف الدوناتيين منه ويذهب إلى أن جناح متطرف فكريا داخل الحركة الدوناتية هو الذي دفع إلى هذا التحالف بينما الجناح المعتدل كان لا يرى بضرورة التحالف مع الدوارون نظرا لخطورة وفوضوية تصرفاتهم وبأن

---

[1] عمران عبد المجيد، الحركة الدوناتية...، المرجع السابق، ص، 86.

[2] Robin Daniel ,op cit,p180.

[3] عثمان سعدي، الأب دونا...، المرجع السابق، ص،ص، 222،223.

[4] نفسه، ص، 223.

أسلوبهم لا يتوافق مع الديانة المسيحية، ويبدو أن الجناح المتطرف دفع الحركة الدوناتية إلى طريق محرج، ودفع بدوره رجال الدين الكاثوليك في عهد أوغسطين إلى تعميم حركة التمرد والفوضى على كامل الدوناتيون وهو أمر يصب في مصلحة السلطة الرومانية التي وجدت سببا مكشوفا لشرعنة اصدار القوانين واضطهاد أتباع الحركة الدوناتية[1] .

ومن المواقف المحرجة التي وقعت فيها الحركة الدوناتية نتيجة تحالفها مع حركة الدواورن أنها لم تتمكن من إدانة أفعال الدواورن فقد أصبحوا يمثلون سلطة قوية داخلها وانتشرت حركتهم في نفس المناطق التي انتشرت فيها الحركة الدوناتية، وفي نفس الوقت لم تتمكن الدوناتية من الرد على الكاثوليك والسلطة الرومانية في توضيح موقفها من أفعال الدواورن، وهو أمر يؤدي إلى تسليط الضوء على الحركة الدوناتية وتحميلها مسؤولية تهديد الأمن في البلاد.[2]

ولكن الدوناتيين وهم بصدد الدفاع عن حركة " الدوارين" رفضوا أن ينعتوهم بهذا الاسم فقد كانوا يسمونهم " المناضلين" Agonistici، وهو على ما يبدو لقب ديني منحه الأساقفة الدوناتيين تشريفا لهم واعترافا بدورهم في مقاومة الجيش الروماني، ومن ثمة أيضا فإن رفض الكنيسة الكاثوليكية ورفض أوغسطين ذكر اسم المناضلين في كتبهم هو أيضا رفض منهم لتشريف تلك الفرق التابعة للحركة الدوناتية، خصوصا أن المجادلين الكاثوليك والدوناتيين انتبهوا لأهمية المصطلحات في حواراتهم وبالتالي من غير المنطقي أن يستخدم طرف مصطلحات الطرف الأخر والتي يبرر من خلالهما شرعية أو عدم شرعية الآخر.[3]

ويبدو أن الكثير من المؤرخين وضع أعمال الدواورن وتصرفاتهم في اطار التمرد وقانون الغابة بحيث أنه حل الأفراد محل الدولة في تطبيق القانون والعدالة داخل المجتمع من بينهم المؤرخ فانيي (O.Vannier) الذي وصفهم بالمتشردين (vagabonds) نسبة لأعمالهم التي تعتمد على التمركز في الأسواق والطرق ونهب ممتلكات الناس من خلالها.[4] وبول مونصو الذي وصفهم بالعصابات (bandes) من السكان الأصليين الذين مارسوا أسلوب الارهاب في تحقيق مطامحهم. [5] وديرو دولامال (Dureau de la Malle) الذي حاول توضيح فكرة

---

[1] محمد المبكر ، المرجع السابق، ص، 254.

[2] نفسه، ص، 255.

[3] نفسه، ص، 148.

[4] Vannier .O,Les circoncellions et leur rapports avec l'église donatiste d'après le texte d'optat,revue africaine ,V 67,Alger,publications universitaires,1926,p,16.

[5] Paul Monceux, Histoire litéraire de l'Afrique Chéritienne, op cit,p, 31.

أن الدواورن كان شغلهم الشاغل الوقوف في وجه القوانين الرومانية، بل ومقاطعة روما في الجوانب الأخرى مثل الجوانب الثقافية حيث استخدموا لغة بونيقية في تواصلهم ،[1] وكل هذه التعبيرات السيئة التي وصف بها المؤرخون المعاصرون حركة الدوارين ما هي إلا نقل حرفي للأوصاف التي أطلقها المجادلين الكاثوليك ووثائق السلطة بقرطاجة وهي أطراف ليست محايدة في نظرنا لأنها كانت جزء من الصراع، وفي نفس الوقت تجاهلوا النعوت التي كان يطلقها الدواورن على أنفسهم مثل المناضلين (agonisticii) أو جنود المسيح (milites christi). [2]

وفي ظل هذه المواقف التي قابلتها الحركة الدوناتية ضد الإمبراطورية الرومانية ورجال الدين الكاثوليك فرض عليها أمرا واقعا وهو دخول الدواورن إلى جانبها في الصراع فأصبحت المعادلة تضم أربع أطراف، ولكن الجديد في هذا الصراع هو تحويل الدوناتيون من رجال دين يدافعون عن المبادئ الأصيلة للديانة المسيحية إلى رجال عصابات ومتمردين تركوا القانون جانبا وراحوا يستخدمون أسلوب العصابات القائم على السرقة والنهب.[3] ومن هنا يطرح محمد المبكر تساؤل عما إذا كانت السلطة الرومانية ترى في حركة الدوارين وكل من تحالف معها خطرا على الكاثوليك أو خطر على الأمن العام، بمعنى أخر هل هدف السلطة من التدخل في هذا الصراع هو تقوية الجانب الكاثوليكي أو الحفاظ على النظام العام باعتباره من مهام الدولة.[4]

ويظهر أن كلا الهدفين تسعى إليهما السلطة الرومانية فتقوية المذهب الكاثوليكي مفيد للدولة نظرا لتعاملها بواقعية معها وقبولها بالقوانين الرومانية، والحفاظ على النظام العام كان من أولويات الإمبراطورية الرومانية خصوصا في هذه الفترة التي تفاقمت فيها المشاكل الداخلية.[5]

غير أن اصدار الأحكام الجزافية والمبالغ فيها أحيانا ضد الدوناتيون بوضعهم في خانة التمرد انطلاقا من تحالفهم مع حركة الدواورن هي آراء بحاجة إلى إعادة النظر لأن الضغوطات التي مارستها الدولة الرومانية واستخدام كل أشكال السيطرة بالاعتماد على القوة والتفوق قد يكون إلى ظهور هذه الأساليب في التعامل مع السلطة الرومانية فحركة الدواورن رغم أن أغلب المؤرخين ينتقدون أسلوبها إلا أن أغلبهم يتفقون على أنها

(1) Dureau de la Malle,Algérie, Histoire des gueres des Romains, des Byzantins et des Vandeles,Paris, Librairie de firmin didot frères, 1852,X X X I .

(2) محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص، 373 .

(3) محمد المبكر، شمال افريقيا القديم، حركة الدوارين وعلاقتها بالدوناتية، المرجع السابق، ص، 255.

(4) نفسه، ص، 140.

(5) نفسه .

حركة انطلقت من وضع اجتماعي خاص فهي بحسب فرانسوا دوكري كانت وليدة الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي تميزت بالحرمان مما أدى بها إلى الجمع بين المطلب الاجتماعي والاقتصادي من جهة والمطلب الديني من جهة أخرى.[1]

ويذهب عمران عبد الحميد إلى أن تفسير هذه التهم الموجهة ضد الدوناتيون انطلاقا من تحالفهم مع حركة الدوارون هو أنه محاولة من الطرف الروماني والكاثوليكي لصرف النظر عن استغلال هؤلاء (الرومان والكاثوليك) لبلاد المغرب القديم من جميع النواحي ويبدو أنهم استعملوا مثل هذه الخطابات الجاهزة فوجدوا فيها حلا لمواجهة الدوناتيون.[2]

كما يرى برينو بوتيي (Bruno Potier) أن حركة الدوارون هي حركة نشأت انطلاقا من الظروف اجتماعية رغم ارتباطها بالحركة الدوناتية ولهذا دائما تطرح اشكالية هل هؤلاء الدوارون لصوص أم ثوار اجتماعين، مع أنه توجد تفسيرات كثيرة على أن الظروف الاجتماعية وانشقاق الحركة الدوناتية كان له الأثر البارز في ظهور مثل هذا النوع من الثورات.[3]

ويرى محمد الحبيب بشاري أن حركة الدوارون كانت عبارة عن ثورة شعبية قامت من أجل تغيير الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المتفاقمة في الإمبراطورية الرومانية خلال القرن الرابع الميلادي وبالأخص تحكم الطبقة الأرستقراطية في هذه الأوضاع وهذا ما يدفعنا إلى القول أن وضع الحركتين الدوناتية والدوارون في خانة التمرد ما هو إلا محاولة من طرف الإدارة الرومانية لإخفاء فشلها في إدارة شؤون المغرب القديم.[4]

ويبدو من خلال دراسة فترة القرن الرابع الميلادي أن الإمبراطورية الرومانية لم تكن تعاني من ثورات الدوناتيين والدواريين بل كانت ثورات شاملة عجز جيشها أن يسيطر عليه، وهذه الملاحظة تنفي أي اتهام بالتمرد الموجه ضد الدوناتيون والدوارون، بل يجب تسليط الضوء على أوضاع شمال افريقيا السياسية والاقتصادية والاجتماعية بدل من صب اهتمام البحث عن مدى مسؤولية الدوناتيين والدواريين في تفاقم تلك

(1) François Decret , L'Afrique chrétienne, de la « grande persécution » à l'invasion vandale, Copyright Clio 2016, Février 2002,p,3.

(2) عبد المجيد عمران، الحركة الدوناتية...، المرجع السابق، ص،139.

(3) Bruno Pottier, Les circoncelions, Formation d'une élite rurale monastique autonome dans l'Afrique du Nord des IV' et V' siècle, Pariser Historische Studien,2007,p,p,19,20.

(4) أوضاع الإمبراطورية الرومانية في النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي، ثورة جيلدون 397-398، مجلة الإتحاد العام للأثاريين العرب، ع13، ص،247.

الأوضاع، [1] وهو رأي يشير إليه ف. مرتريور (F.Martroye) في دراسته للثورة الاجتماعية في إفريقيا المنبثقة عن الحركتين الدوناتية والدواورن مؤكدا أن شعور سكان المقاطعات الإفريقية بالسخط العام من سوء أوضاع الإمبراطورية الرومانية خلال القرن الرابع الميلادي هو الذي ولد النزعات الثورية وأصبحت كل منطقة تستغل الفرصة لثورة ضد الوجود الروماني، وأكيد أن اندلاع الثورات خلال هذا القرن لم يأتي بشكل فجائي وإنما هي ترسبات لحوادث سابقة لهذا القرن،[2] وفي هذا الصدد يمكن الإشارة إلى ثورة فيرموس والتي ارتبطت هي الأخرى بالحركة الدوناتية، لم تكن ثورته إلا تعبيرا عن الأوضاع القاسية والفقر المنتشر بين القبائل المورية وشعورهم بظلم الإمبراطورية الرومانية .[3]

" كان أحد كهنتكم في ناحية " هيبو ريجيوس" ويدعى " رستتوس" Restitutus قد هزته دراسة الحقيقة فدخل إلى الوحدة الكاثوليكية عن طيب خاطر قبل صدور أوامر القوانين الامبراطورية. انتزعه كهنتكم ودواروكم من بيته ثم قادوه إلى القرية المجاورة علانية وفي وضح النهار وتحت أنظار الجمهور الذي لم يجرؤ فيه أحد على معارضتهم، اشبعوه ضربا بالهروات ودحرجوه في بركة ضحلة وألبسوه حصيرة من الأعشاب استهزاءا به وعندما تألم لهذا المنظر من تألم وضحك له من ضحك ذهبوا به إلى مكان أخر حيث لم يجرؤ أحد من ذوينا الاقتراب منه ولم يطلقوا سراحه إلا بعد أحدى عشر يوما".

الشكل رقم 65 : رسالة أوغسطين إلى الدوناتيين يذكرهم فيها بأفعال الدواورن الاجرامية

المصدر: محمد المبكر، المرجع السابق، ص، ص، 324، 325.

[1] محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص، 247.

[2] نفسه، ص، 247.

[3] F.Martroye,Une tentative de révolution sociale en Afrique, revue des questions historique,V,LXXVII ,1905,p,p,253,254.

[4] عبد المجيد عمران، الحركة الدوناتية...، المرجع السابق، ص، ص،153،152.

" ويمكن القول أن الظالمين يجوز أن يعانوا من الاضطهاد، لكنه يمكن القول أيضا أن العادلين يجوز لهم أن يمارسوه وإذا اعتبرت أنه لا ينبغي وصف الاضطهاد العادل بأنه اضطهاد، فلن تستطيع أن تثبت أنكم عانيتم اضطهاد على يدنا، ولا ذووكم على يد ذوينا، بل نحن اللذين سوف نثبت لكم عندئذ أننا نعاني من اضطهاد كهنتكم ودواريكم، تلك المخلوقات الفظة والمخبولة التي لا تفهم ولا تحتمل ما ننصحها به لخلاصها والتي تمارس ضدنا أعمال عنف مسعور لا تكفي كلماتي لتعدادها والتذكير بها وعرضها عرضا مناسبا.

" ...لذا نظرا لقسوتكم وأعمال العنف الجريئة التي يقترفها دواروكم التابعون لكهنتكم، فإنه كان من اللازم كبح جماحكم بالقوانين الصادرة ضدكم وكان من اللازم توثيق جنونكم نوعا ما".

الشكل رقم 66: رسالة لأوغسطين موجهة ضد الدوناتيين يبين فيها علاقتهم مع الدوارون

المصدر: محمد المبكر، المرجع السابق، ص، 327.

3/الصراع الاجتماعي بين الكاثوليك والدوناتيين

من الطبيعي أن ينتقل الصراع الديني بين الكاثوليك والدوناتيين في إفريقيا إلى المجتمع بالنظر إلى علاقة هذا الأخير بالدين وهو ما انعكس على الحياة اليومية من خلال تغير المعاملات السائدة قبل ظهور الحركة الدوناتية.[1] ومن أولى المعاملات التي تغيرت وتعكس قوة الصراع الاجتماعي بين الكاثوليك والدوناتيين تحريم الزواج المتبادل بين الطرفين وهذا يبين مستوى حاد من الصراع وصل إلى مستوى تحديد الانتماء المذهبي كشرط لعقد علاقات الزواج[2]، وهذه القضية يبدو أنها طرحت في العديد من المجامع الكنسية وصيغت حولها العديد من القوانين الكنسية فالمجمع المنعقد في هيبون سنة 393 م حرم على أبناء الأساقفة ورجال الدين الكاثوليك بشكل عام الزواج من الوثنيين والهراطقة والمنشقين، وإذا كان هذا التحريم اقتصر في نص القانون الصادر عن المجمع على أبناء الأساقفة ورجال الدين بشكل عام نعتقد أن ذلك يسري على جميع المؤمنين بالمذهب الكاثوليكي باعتبار أن رجال الدين هم قدوة لغيرهم من المسيحيين .[3]

وقد يكون أساس هذا التحريم نتيجة للخلافات بين الطرفين في مسألة التعميد وهي قضية لاهوتية هامة في الفكر المسيحي.[4]

ولم يكن تحريم الزواج بين الطرفين الأسلوب الوحيد للمقاطعة الاجتماعية، بل تعدى ذلك إلى قضايا الميراث الذي لا ينتقل من شخص إلى آخر إلا إذا كان هذا الوريث كاثوليكي وهي من القرارات التي أصدرها مجمع هيبون 393 م فالكنيسة الكاثوليكية كانت تعمل كل ما في وسعها لعزل الكاثوليك عن الدوناتيين ومنعهم من الالتحاق بمذهبهم، وهذا لا ينفي أن الدوناتيين قابلوا الكاثوليك بنفس المعاملة ونفس الإجراءات فالمقاطعة كانت من الطرفين. [5]

(1) خديجة منصوري، المرجع السابق، ص، 41.

(2) F.Martroye, op cit, V, LXXVII, p, 364.

(3) Charles Joseph Hefele , op cit, p, 87.

(4) João Eleutério, La crise donatiste et le tournant de la théologie catholique: Optat de Milève et le baptême centré sur le Christ, didaskalia XXXVIII (2008)2, p, 203.

(5) Charles Joseph Hefele , loc cit.

ومن مظاهر المقاطعة الاجتماعية منع تبادل الحديث والتحية والجلوس مع بعض فكل طائفة لها مجامع وأحاديث خاصة بها وهذا يبين مدى الحقد والاحتقان الذي بلغ ذروته في المجتمع نتيجة للخلافات الدينية.[1]

واقتصر الحديث بين الدوناتيون والكاثوليك على تبادل الاتهامات فقد كانت الاهانات تتكرر في الشوارع مثل وصف المارين الكاثوليك ب" الخونة"[2]، واختفت عبارات "الأخ" و "الأخت" التي كانت سائدة بين المسيحيين قبل ظهور الصراع الكاثوليكي الدوناتي وهي عبارات تدل على التضامن الاجتماعي واختفاءها يدل على وجود مشكلة اجتماعية وتخلي عن مبادئ التعايش .[3]

كما طالب بعض الأساقفة من مناصريهم مقاطعة خصومهم حتى فيما يتعلق بالمبادلات التجارية من خلال منع عمليات الشراء والبيع إلا لأنصار الطائفة الواحدة فيذكر أوغسطين أن فوستينوس (Faustinus) أسقف مدينة عنابة الدوناتي طلب من الخبازين التابعين لأسقفيته منع تقديم الخبز للكاثوليك، [4] وتضامن الدوناتيين مع أسقف كالاما (قالمة) كريسبينوس الدوناتي الذي أعاد تعميد ثمانين من عماله الكاثوليك بضمهم إلى الدوناتيين وكانوا ممن يخدمون في أراضيه ورغم أن كريسبينوس كان من كبار الملاكين .[5]

ومن ناحية أخرى منع الدوناتيين دخول الكاثوليك لمقابر قديسي الكنيسة الدوناتية باعتبارهم مدنسين بالكفر، كما وضعوا حراس على مداخل الكنائس لمنع المتطفلين من دخولها ولمنع أي طائفة أخرى من غير الدوناتيين من دفن موتاهم بها [6]

أما بالنسبة للكنائس التي استولى عليها الدوناتيين فإنهم يعملون على تطهيرها قبل استغلالها لصالحهم مع تحطيم الأثاث الموجود بها وبيعه وغسل كل جدران الكنيسة بالماء المالح لتنقيتها من شوائب الكفر حسب زعمهم[7] و هذه التصرفات جعلت الكاثوليك يعتبرونها إهانة لهم وهو ما ساهم في خلق فجوة واحتقان كبير بين الطائفتين.[8]

---

(1) خديجة منصوري، المرجع السابق، ص، 41.

(2) Fernand Mourret, Histoire générale de l'églIse, Paris , Bloud et Gay, 1928, T 2, VIp , 288.

(3) خديجة منصوري، المرجع السابق، ص، 43.

(4) نفسه.

(5) روبين دانيال، المرجع السابق، ص، 236.

(6) خديجة منصوري، المرجع السابق ، ص، 42.

(7) نفسه.

(8) روبين دانيال، المرجع السابق، ص، 240.

الفصل الخامس:

طبيعة ومراحل الصراع بين الكنيسة الإفريقية والحركة الدوناتية

1/وضع الكنيسة الافريقية خلال فترة ظهور الدوناتية

2/علاقة الحركة الدوناتية بالثورات

3/علاقة الحركة الدوناتية بثورتي فيرموس وجيلدون

4/البعد القومي في الصراع بين الكنيسة الإفريقية والحركة الدوناتية

1/وضع الكنيسة الافريقية خلال فترة ظهور الدوناتية

1-1-علاقة الكنيسة الإفريقية بالسلطة

قد أشرنا في السابق إلى تحديد مصطلح الكنيسة الإفريقية ونشأتها وعلى العموم للتذكير فإنه يقصد بالكنيسة الإفريقية تلك المناطق الواقعة في إطار هذا المصطلح والتي تضم على العموم مقاطعات (البروقنصلية-نوميديا-البيزنسان-موريتانيا القيصرية-موريتانيا السطائفية-طرابلس) وهي المناطق الممتدة حاليا في: الجزائر، المغرب،ليبيا وتونس وانطلاقا من مشاركة وفود أساقفة هذه المقاطعات في اجتماعات كنيسة قرطاج باعتبارها الكنيسة الأم في افريقيا فإن مكانة كنيسة قرطاج في أفريقيا كانت لا تنازع.[1]

ويمكن أن ترجع علاقة الكنيسة الإفريقية بالسلطة الرومانية [*] في بداياتها إلى عهد الإمبراطور قسطنطين، حيث منذ أن اعترفت السلطة بالديانة المسيحية بواسطة مرسوم ميلان لم تسمح بخروج المؤسسات الكنسية عن دائرتها، وأصبحت الدولة تشعر بحقها في إدارة الكنائس.[2]

كما حاولت الإمبراطورية الرومانية أن تحصل على مقابل من خلال هذا الاعتراف وهو ربط كل الكنائس في المناطق الخاضعة لها بكنيسة روما ومن ثمة ربطها بالإدارة الرومانية المركزية حيث يمكن السيطرة والتحكم فيها، فقد كان الإمبراطور قسطنطين يدعو كنيسة روما لعقد المجامع الكنسية كلما لاحظ أعمال في الكنائس الأخرى يمكن أن تؤدي إلى الانشقاق في سياسة استباقية منه لإبقائها تحت رقابة الدولة، وكمثال على ذلك نجد في رسالة وجهها إلى أساقفة روما بضرورة عقد مجمع كنسي للنظر في بعض الأعمال التي يقوم بها أساقفة قرطاج على رأسهم سيسليانوس حيث لاحظ أن تلك الأعمال قد تؤدي إلى انفصال كنيسة قرطاج عن كنيسة روما وهذا يشكل خطر على وحدة الإمبراطورية الرومانية.[3]

---

(1) Anaclet Dupar Lalhé, op cit, p, 14.

(2) محمد البشير شنيتي، ص،338.

(3) يوسابيوس القيصري، المصدر السابق، ص،500.

ومن هنا يبدو أن الإمبراطور قسطنطين هو الذي جعل من كنيسة روما هي الكنيسة الرسمية في العالم الروماني،[1] ويعتبر العمل الذي قام به قسطنطين هو بداية لما سمي عند بعض المؤرخين ب "تسييس المسيحية" (politisation du christianisme) ولاشك أن القرن الرابع الميلادي قرن معروف بتغير اللاهوتية السياسية[2] وسعي من الإمبراطورية الرومانية لوضع الديانة المسيحية في إطار مركزية الدولة.[3]

غير أنه في الواقع نرى أن تدخلات الإمبراطور في الشؤون الكنسية هي التي خلقت الصراعات والانشقاقات الحادة في الديانة المسيحية، فإصداره للكثير من الأوامر المتعلقة بالديانة المسيحية وبالكنائس وأساقفتها كان يتم دون إطار مؤسسي كنسي، وبالتالي دون العودة إلى رجال الدين أو استشارتهم وهو ما يخلق نوع من الاشمئزاز لهذا السلوك في نفوس القائمين بشؤون الديانة المسيحية، فهو كمن اتخذ قرار في شأن ليس من اختصاصه وهذا ما يطرح مدى مصداقية القرارات التي تصدر من المؤسسة الإمبريالية.[4]

كما نلاحظ أن الإمبراطورية الرومانية كانت ترمي من وراء هذه التدخلات في شؤون الكنيسة الإفريقية والكنائس الأخرى إلى إضعاف رجال الدين وبث الفرقة بينهم في إطار سياسة "فرق تسد" التي تخدم مصالحها لأن بقاء رجال الدين موحدين وبعيدا عن أعين السلطة يشكل خطرا على الإمبراطورية وبالخصوص أن الإمبراطورية كانت تعاني من اضطرابات وتمردات شاملة لكل مقاطعاتها .[5]

وإضافة إلى محاولة الإمبراطورية فرض سيطرتها على الكنيسة فيبدو أنه أيضا استخدمت الديانة المسيحية لأسباب سياسية، فمنذ القرن الرابع الميلادي أصبحت الانتصارات العسكرية تقترن برمز الصليب وزينت القصور به وارتدى الأباطرة ألبسة تحمل المونوغرام المسيحي هذه التغيرات ظهرت مباشرة بعد تنصر الأباطرة والدولة أي في عهد الإمبراطور قسطنطين وأتباعه، ويظهر من خلال استخدام رموز الصليب أن السلطة

(1) Jean- Pierre Martin, Pouvoir et religions de l'avénement de septime sévère au concile de Nicée 193-325ap.j.c,Sedes,1998,p, 40.

(2) اللاهوت السياسي مصطلح يطلق على دراسة العلاقة التي تجمع الدين بالسياسة، أنظر حبيب هرمز، المرجع السابق،ص،9.

(3) Bernard Bourdin La théologie politique chrétienne : de la monarchie impériale à la démocratie libérale, Laval théologique et philosophique, V. 63, N° 2, 2007, p.313.

(4) Tiphaine Moreau, op cit, p, 275.

(5) يوسف عيبش، المرجع السابق، ص،126.

الإمبريالية اظهرت نفسها على أنها تحارب من أجل الصليب وبالتالي من أجل الديانة المسيحية،[1] وحتى الكنيسة الإفريقية استخدمت كل طاقاتها في تجنيد المسيحيين الأفارقة لصالح الإمبراطورية الرومانية بما فيها أعمال الحروب التي تقوم بها.[2]

ولتحقيق مطامح السلطة الرومانية في تبعية الكنيسة لإدارتها وجعلها كمؤسسة من مؤسسات الدولة استخدمت كل الوسائل الممكنة لديها كمنح الهدايا والأموال لرجال الدين حتى تضمن موالاتهم لها، وتشير احدى المصادر أن الإمبراطور قسطنطين أمر بتخصيص هبات على شكل أموال وأراضي لرجال الدين بمقاطعات إفريقيا ونوميديا وموريتانيا،[3]وهو ما يقرأ من خلال إحدى رسائل قسطنطين إلى أسقف قرطاج : "أنا قسطنطين أغسطس، إلى أسقف قرطاج قررنا: أن نخصص في كل ولايات إفريقيا ونوميديا وموريتانيا منحا يستفيد منها خدام الكنيسة وأمرت مأمور الحسابات في إفريقيا أن يدفع إلى فطنتكم ثلاثة آلاف فلس ...ولك أن تطلب من وكيل أملاكنا بلا تردد ما أنت في حاجة إليه، لقد أمرت شخصه أن يقدم دون تأخير أي مبلغ يطلب جنابكم"[4].

ويبدو أن اهتمام الأباطرة بتدعيم الكنيسة الكاثوليكية ومن بينها الكنيسة الإفريقية انعكس على مستوى ثراء هذه الأخيرة وهو ما يدل على اتساع عقاراتها خلال القرن الخامس الميلادي [5] وفي إحدى الدراسات حول الوضعية الاقتصادية للكنيسة الإفريقية والتي قام بها الباحث أناكلي ديبارلالي (Anaclet Dupar Lalhé) توصل إلى أن الهدايا الإمبريالية كانت من أبرز موارد الكنيسة الإفريقية ونعتقد أن تلك الهدايا كان الهدف منها التقرب من رجال الدين بالنظر إلى مكانتهم الاجتماعية وحتى يضمنوا ولائهم للسلطة الرومانية[6]، وهو الأمر نفسه الذي حصل مع الكنيسة الإفريقية من خلال تتبع قرارات الإمبراطور قسطنطين السريعة بحق الكنائس الإفريقية حيث أمر حكام المقاطعات الإفريقية بتوفير كل أنواع الدعم لها وتكريم أساقفتها ويبدو أن هذا أدى إلى تقوية وتوطيد الكنيسة الكاثوليكية في إفريقيا مع إبقاء علاقتها الجيدة مع الكنيسة المركزية في روما.[7]

(1) Tiphaine Moreau,op cit,p,139.

(2) يوسف عيبش، المرجع السابق،ص،123

(3)يوسابيوس القيصري، المصدر السابق،ص،503.

(4)عبد الحميد عمران، الحركة الدوناتية...، المرجع السابق،ص،71.

(5)يوسف عيبش، المرجع السابق، ص،119.

(6) Anaclet Dupar, Lalhé,op cit,p,52.

(7) Souvenirs de l'ancienne église d'Afrique,op cit, p,104.

ومن وسائل السلطة الرومانية استخدام كل أنواع القوة المتوفرة للقضاء على أية حركة لا تتماشى مع الخط الذي رسمته الكنيسة الرسمية[1]، وهو ما حدث مع الحركة الدوناتية على سبيل المثال لا الحصر حيث تم التعامل معهم بقسوة وعادت حركة الاضطهاد ضدهم، [2] وذلك بعد أن أعلنت السلطة الرومانية بوضوح وقوفها في صف "كاسيليانوس" أسقف قرطاج ضد خصومه من الدوناتيين وأقرت السلطة بعدم شرعية كل من يخرج عن هذا التوجه، وهو ما يبين أن الدولة الرومانية كانت تراقب خلافات الكنائس في إفريقيا وتصدر القرارات بما يتماشى مع مصالحها.[3]

أيضا التوجهات القانونية لم تخلو من انحيازها لكنيسة الرسمية التي تخدم وجهة السلطة الرومانية، وقد أشرنا في السابق إلى مرسوم تسالونيك الذي أصدر في عهد الإمبراطور تيودسيوس الكبير معتبرا أن الكنيسة الكاثوليكية ومركزها روما هي الكنيسة الرسمية وأن أي كنيسة تخالفها تعتبر خارجة عن القانون وبالتالي وجب القضاء عليها،[4] ويبدو أن سياسة تحكم السلطة في الدين هي سياسة ليست جديدة في الإمبراطورية الرومانية فقد اعتادت على ذلك قبل ظهور الديانة المسيحية فحتى في الديانة الوثنية يعتبر الإمبراطور بمثابة الكاهن الأكبر وكان معبودا أحيانا أخرى وقد كانت تعطيه هذه المكانة الدينية مكانة أخرى في الجانب السياسي والاجتماعي وليس من السهل أن يفرط الإمبراطور في احكام قبضته على الدين بناء على تلك الامتيازات.[5]

ومن جهة أخرى لم يجد رجال الكنيسة الإفريقية أمام كل هذ الوسائل سوى إعلان ولائهم للأباطرة الرومان وحكام المقاطعات الإفريقية[6] ، وتنفيذ أوامرهم حتى تلك التي تتعلق بالمواضيع الدينية التي تتطلب اختصاصا في المجال وهو ما يخلق نوع من تدخل السياسة في الدين والذي قد يفقد مصداقة المؤسسة الكنسية،[7] لكن من المعروف أن الديانة المسيحية منذ نشأتها لم تطرح إشكالية التشكيك في السلطة الإمبريالية أو في حكوماتها، فحتى في عصر الاضطهادات تجنبت الحديث عن شرعية الأباطرة والحكام الذين مارسوا كل أنواع الظلم ضد المسيحيين فهي تركت مسؤوليتهم في ذلك أمام القوانين الإلهية، ولأنه في الأصل

---

[1] عبد الحميد عمران، الحركة الدوناتية...، المرجع السابق،ص،136.

[2] ج.ويلتر، المرجع السابق،ص،104.

[3] عبد الحميد عمران، الحركة الدوناتية...، المرجع السابق، ص،78.

[4] Dragos Boicu,op cit,p,213.

[5] Jean- Pierre Martin, op cit,p,23.

[6] يوسف عيبش، المرجع السابق،ص،119

[7] حسين المنصوري، المرجع السابق،ص،10.

السلطة السياسية منحت للبشر من خلال وجود الدولة وذلك من خلال الاستخدام الجيد لهذه السلطة لكن في حالة انحرافها فإن مسؤولية ذلك يكون أمام الله.[1]

والدولة جهاز ضروري في فكر الديانة المسيحية وفي فكر الكنيسة الإفريقية وعلى رأسهما أفكار القديس أوغسطين الذي يرى أنه يجب الحفاظ على الدولة من أجل الحفاظ على النظام العام لكن هذه الدولة يجب أن تستمد قوانينها من الديانة المسيحية[2].

1-2- تطور الكنيسة الافريقية مع مجيء القديس أوغسطين

1-2-أ حياة وشخصية القديس أوغسطين: ولد أوغسطين في نوفمبر 354م بمدينة تاغاست (Thagaste) حاليا سوق أهراس على الحدود الجزائرية التونسية، في منطقة من الناحية التاريخية تابعة لمقاطعة نوميديا[3]، وقد كانت أم أوغسطين تدعى مونيكا وهي مسيحية على عكس أبوه الذي كان وثنيا[4].

تعلم أوغسطين في مسقط رأسه القراءة والكتابة، وبعد بلوغه الثانية عشر من عمره تنقل إلى مدينة مادور(Madaure) وهي مدينة موجود حاليا باسم "مداوروش" وتابعة لمدينة سوق أهراس[5]، ويبدو أن أوغسطين خلال مرحلة تعليمه الابتدائية هذه كان قريبا من أسرته ولم تكن تنقلاته إلى مداوروش متعبة على أساس أن هذه المدينة لا تبعد عن مسقط رأسه سوى ب ثلاثين كلم باتجاه الجنوب،[6] لكنه يشير في نفس الوقت إلى تحمل والديه عناء مصاريف الدراسة رغم أنهما لم يكونا من الطبقات الثرية فقد أدى ذلك إلى التوقف عن الدراسة في سن السادس عشر لعدم تحمل والديه لإكمالها.[7] لكن متاعب أوغسطين في تنقلاته العلمية بدأت تظهر مع بلوغه سن السابعة عشرة من عمره حيث سافر إلى مدينة قرطاج المدينة الأكثر تنوعا

(1) Charles Munier , Les doctrines politiques de l'Église ancienne, Revue desSciences Religieuses, T 62,1988,p,p,43,44.

(2) Ibid,p,44.

(3) Serge Lancel, Saint Augustin, Copyright clio,2002,p,1.

(4) جوناثان هيل، تاريخ الفكر المسيحي، تر اسكندر سليم، دار الكلمة، 2012، ص،84

(5) حفناوي بعلي، القديس أوغسطين والمدينة الفاضلة، فيلسوف افريقيا والانسانية، مجلة المعرفة، ع551، السنة 48، أوت 2009،ص،62.

(6) Serge Lancel, op cit,p,1.

(7) القديس أوغسطين، اعترافات، تر، الحوري يوحنا الحلو، بيروت، دار المشرق، ط4، 1991، ص، ص، 31، 32

وازدهار في مجال الفكر والعلوم بشمال افريقيا والمدينة ذات الشهرة الواسعة في العالم القديم سواء قبل الاحتلال الروماني أو بعده وهذا ما يتعبر تحديا كبيرا لأوغسطين.[1]

مع أننا في نفس الوقت يجب الإشارة إلى أن مدينتي تاغاست ومادور كانتا مدينتان معروفتان بمستواهما المعتبر في مجال الفكر والعلوم[2]، فمدينة مادور قبل أن يتعلم فيها أوغسطين أنجبت الكثير من المفكرين على غرار الأديب والفيلسوف أبوليوس صاحب رواية "الحمار الذهبي" وصاحب الكتيبات المعروفة في العالم القديم والتي تركزت دراساتها حول الفلسفة الأفلاطونية[3]،أما مدينة تاغاست فهي أيضا مدينة معروفة في العهد السيفيري باهتمام السلطة الرومانية فقد كان جميع سكانها أحرار ويتمتعون بالمواطنة الرومانية ويبدو أن الديانة المسيحية كانت متجذرة بها رغم أن أول أسقف وصل اسمه كان يحمل اسم فيرموس (Firmus) ولم تظهر المصادر وصول المسيحية إلى المنطقة بالضبط.

لقد كانت بالفعل تاغاست والمدن المجاورة لها على اطلاع واسع لما يدور في فلك العالم القديم من فكر وعلوم، بل وساهموا مساهمة فعالة في ذلك.[4]

وفي مدينة قرطاج تعلم أوغسطين اللغة اللاتينية والرياضيات والفلسفة والموسيقى والأدب اليوناني والروماني، فأنكب مثلا على دراسة مؤلفات المفكر الروماني شيشرون ومؤلفات الفلاسفة المانويين ومؤلفات أفلاطون لذلك اعتنق الكثير من أراءهم [5]، ويبدو من خلال تصفحه لهذه الكتابات الفلسفية التي تبحث كثيرا في الوجود انعكس ذلك على شخصية أوغسطين فأصبحت غايته البحث عن الحكمة ودراسة المسائل اللاهوتية خصوصا أن الفكر المسيحي كان بحاجة إلى ذلك في وقت تعددت فيه الأفكار والمذاهب .[6]

---

(1) حفناوي بعلي، المرجع السابق، ص، 62

(2) Mounir Bouchenaki,Augustin et l'africanité a partir des œuvres historique et de l'étude des sites de Thagaste , diHippone et de Carthage ,Le philosophie Algerien Saint Augustin,Africanité et universalité,actes du premier colloque international, Annaba T1,haut conseil Islamique,2004,p,149.

(3) هنري تشادويك،المرجع السابق، ص، 14.

(4) Mounir Bouchenaki , op cit, p, 151.

(5) حفناوي بعلي، المرجع السابق، ص،62

(6) فينفريد أللبغر، المرجع السابق،ص،218.

وظهر منذ البداية أن دراسة أوغسطين كانت ناجحة فخلال العشرين من عمره أصبح بارعا في الخطابة وفاز مرات عديدة بمسابقاتها في قرطاج وكرم في احدى المرات من قبل الوالي هاليفيوس فانديكانيوس (Helvius Vindicianus).[1]

والظاهر أن النجاح الذي حققه أوغسطين في قرطاج زاد من طموحاته فقرر الرحيل إلى روما سنة 383م سعيا منه لتحسين مستواه وأملا في أن يكون الطلاب في روما أفضل سلوكا من نظرائهم في قرطاج التي عاني منها من سوء معاملتهم، لكن خاب أمله في وضع طلاب روما الذي لم يكن يختلف كثيرا عن طلاب قرطاج،[2] وفي سنة 384م وصل أوغسطين مدينة ميلانو ليتسلم منصب أستاذ للبلاغة ويبدو أنهم أعجبوا بقدراته لأنه ليس من السهل على أي شخص أن يحصل على هذا المنصب في مدينة أصبحت مقرا جديدا للإمبراطورية الرومانية .[3]

وفي مدينة ميلانو كان أوغسطين قريب من كبار الأساقفة هناك كالأسقف أمبروسيوس صاحب التعليم العالي في علم اللاهوت وكذلك سيمبليسيان المختص في فلسفة أفلوطين وكان لمفكري ميلان دور كبير في ثقافة أوغسطين، لكن رغم مخالطة أوغسطين للعلمانيين في قرطاج وميلان إلا أنه قرر سنة 386م أن يخوض تجربة التعميد ويستقيل من مهنة التدريس بمدينة ميلان ويعتبر هذا بداية لتحول أخلاقي وفكري [4]، ويعود الفضل في اعتناق أوغسطين إلى أمه مونيكا التي مهدت منذ الصغر ابنها لتبني الديانة المسيحية من خلال النصائح التي وجهتها له في أخلاق هذه الديانة وأهميتها فقد لحقته إلى ميلانو بعد أن أحتال عليها قبل ذهابه من قرطاج [5]، ونظرا لدور أم أوغسطين في توجيه ابنها نحو الديانة المسيحية فإنه بعد وفاتها صارت لها مكانة عالية في الكنيسة الكاثوليكية واعتبرت من بين كبار القديسات ووضعها البعض في رتبة ثانية من بينهن بعد " العذراء مريم".[6] وبعد هذه التجربة الفريدة بالنسبة لأوغسطين والتي قادته إلى اعتناق الديانة المسيحية والتعلم بكبرى الحواضر العالمية قرر العودة إلى مسقط رأسه تاغاست سنة 388م ليخوض تجربة جديدة في الرهبانية مع العديد من أصدقاءه .

(1) Serge Lancel , op cit ,p,2.

(2) جوناثان هيل، المرجع السابق،ص،86.

(3) هنري تشادويك، المرجع السابق، ص، 24.

(4) نفسه،ص،25.

(5) القديس أوغسطين، المصدر السابق، ص، 97.

(6) حفناوي بعلي،ا المرجع السابق،ص،65.

الشكل رقم67: صورة للقديس أوغسطين رسمت في القرن 15م

المصدر: موقع الكنيسة القبطية الأرثوذكسية

https://st-takla.org/Full-Free-Coptic-Books/FreeCopticBooks-020-Father-Tadros-Yaacoub-Malaty/005-Al-3eza-3ala-Al-Gabal/Sermon-on-the-Mount-012-Augustine-Death.html

وخلال فترة الرهبنة التزم الأصدقاء بانتظام أداء الصلوات اليومية ومناقشة أفكار شيشرون وأفلاطون وكان أوغسطين مسيرا لهذه الجلسات العلمية باعتباره الأكثر اطلاعا على أراء الفلاسفة وقد جمعت هذه المسائل في كتاب عنوانه "حول 83 مسألة مختلفة" ويمكن اعتبار هذا المجمع الرهباني أول مجتمع رهباني في افريقيا ،[1] وتعتبر حلقات الحوار والنقاش التي عقدت في المجالس الرهبانية ذات أهمية كبيرة في تطور الفكر المسيحي وبالخصوص أن أوغسطين كان يملك خبرة كبيرة في هذا المجال ولأن هذه الحلقات كانت تغذي العقل من حيث تنوع الآراء وتبادل

[1] هنري تشادويك، المرجع السابق، ص،55.

الأفكار ويمكن القول أنها أسست لما يعرف ب "الفلسفة المسيحية" هذه الفلسفة التي كان هدفها معرفة الله من خلال دراسة المسيح ونلاحظ ذلك كثيرا في مؤلفات سانت أوغسطين.[1]

وقد زادت مكانة أوغسطين سنة 391م بعد أن عينه أسقف مدينة هيبون (عنابة) فاليريوس (Valerius) كمساعد له في أسقفية هذه المدينة الهامة ويبدو أنه لاحظ تفوقه فعمل على تحضيره حتى يكون خليفة له، وهو ما حدث فعليا بعد وفاة الأسقف فاليريوس أصبح أوغسطين أسقفا عاما لمدينة هيبون ليصبح في مركز كنسي هام لأكبر الكنائس في أكبر المدن بالشمال الإفريقي،[2] بل إن وجود أوغسطين على رأس كنيسة هيبون هو الذي جعلها تتصدر عشرات الكنائس الموجودة في الشمال الإفريقي خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين.[3] وبقي أوغسطين ملازما لكنيسة هيبون ونشيطا فيها حتى وفاته سنة 430، وبقيت كنيسته موجودة في المدينة رغم احراق الوندال لمدينة هيبون.[4]

(1) Marie-Amour Saint-Paul, Philosopher en Chrétien : La question dusens de la philosophie chez Saint Augustin, Camenulae 11, octobre 2014,p,p,5,7.

(2) Serge Lancel , op cit ,p, 3.

(3) Serge Lancel, Études sur la Numidie d'Hippone au temps de saint Augustin, [Recherches de topographie ecclésiastique],Mélanges de l'Ecole française de Rome. Antiquité, T 96, N°2, 1984, p,1085.

(4) حفناوي بعلي، المرجع السابق، ص، 66.

الشكل رقم 68: مظهر خارجي لكنيسة القديس اوغسطين بهيبون بنيت بجانب الكنيسة القديمة

مصدر الصورة: تصوير شخصي خلال زيارتنا للكنيسة يوم 26 جانفي 2017 م

المدينة أو القرية	أهم الاكتشافات	أبرز الأساقفة
تاورة (Tbagora) 24 كلم كلم جنوب تاغاست	-اكتشاف بقايا كنيسة وضعيتها سيئة -اكتشاف مقبرة مسيحية (القرن الرابع الميلادي)	Sanctippus(401-411) Primat de Numidienne (411-418) Tagarensis 484
مداوروش (Madauros) 20 كلم جنوب تاغاست	نقوش مسيحية وثلاث كنائس من القرن 4 و 5 م	Placentinus IVe Donatus IVe Pudentius IVe
تيفاشت(Tipasa) 30 كلم جنوب تاغاست	//	Rusticus 484 Firmus 525
خميسة(Tbubursicu) 5 كلم من الشمال الغربي لتفاست	-كنيسة ترجع للعهد البيزنطي -مبنى صغير يبدو أنه مخصص للعبادة المسيحية	Maurentius 407 Frumentius 484 Fortunius IVe Ianuarius 411
قصر الصبيحي أم البواقي (Gadiaufala)	-جدار لكنيسة -نقوش تحمل أسماء موتى مسيحيين	Salvianus 256 Augentius 484
عين الرقدة (قالمة) (Aïn Reggada)	بقايا آثار ترجح على أنها لكنيسة بنيت بهذه القرية	//
سدراتة 45 كلم جنوب سوق أهراس	مباني وأعمدة تدل على العبادة المسيحية	//

الشكل رقم 69: جدول يبين بعض اكتشافات آثار المسيحية في هيبون وضواحيها (منطقة نشاط القديس أوغسطين) **المصدر** Nacéra Benseddik, op cit, p,p, 1109,1113.

1-2-ب-أبرز مؤلفات أوغسطين: من الضروري الإشارة إلى مؤلفات أوغسطين الكثيرة والتي كان لها دور كبير في تطور الكنيسة الافريقية فأصبحت مصدرا هاما وموسوعة معرفية لكنيسة روما والكنائس الكاثوليكية الأخرى، فقد ألف أوغسطين حوالي مائة كتاب وأكثر من خمسمئة موعظة ومئة وثلاثة عشر بحثا اضافة إلى مئات الرسائل، وكل هذه المؤلفات تعتبر إلى يومنا هذا سند قوي للكنيسة الكاثوليكية ومنقذ لها من التيارات والمذاهب الأخرى التي يبدو أنها كانت تشكل خطر كبير على الفكر المسيحي.[1]

1.كتاب الاعترافات: من أبرز المؤلفات التي ألفت في الأدب القديم بمجال أدب السيرة الذاتية، كتب بين سنتي 397و398 فمن خلال هذا الكتاب نجد أوغسطين يتكلم عن ذاته بشكل موضوعي ولم يخفي حتى عيوبه وأخطائه التي وقع فيها خلال مسيرة حياته[2]، فيتكلم مثلا عن المغريات التي جذبته في بداية حياته وندم على أنه وقع فيها وارتكب الكثير من الأخطاء من بينها الزنى الذي سار في نهجه دون اعتبار لما يفعل وسرده لهذه الأحداث يبدو أن الغرض منها هو الاستفادة من تجاربه وكيفية وصوله إلى سبيل النجاة [3].

وقد نطلق على هذا النوع من الاعترافات "الاعترافات الدينية" لأنها تغطي جانب مهم من السيرة الذاتية في الجانب الديني للمعني وتعتبر تجربة أوغسطين رائدة وجديدة وبداية لرواج هذا النوع من الاعترافات في العصور اللاحقة[4]، رغم أنه يبدو أن أوغسطين اعتمد في كتابة الاعترافات على أفكار الفلاسفة الذين سبقوه وبالخصوص الفلاسفة الافلاطونيين [5].

ومن حيث كون المدرسة الأفلاطونية مدرسة ركزت على الأخلاق لارتباطها بالنفس الانسانية وارتباطها بالسياسة وكذلك بالجانب الإلهي وهي الدوافع التي يمكن أنها دفعت أوغسطين لكتابة الاعترافات.[6]وهنا لا بد من الإشارة إلى الدوافع النفسية للكتابة باعتبار أن مهمة علم النفس الأساسية تكريم الإنسان واحترام

---

[1] حفناوي بعلي، المرجع السابق، ص، 67.

[2] نفسه، ص، 67.

[3] القديس أوغسطين، المصدر السابق، ص، ص، 30،31.

[4]عبد المجيد البغدادي، فن السيرة الذاتية وأنواعها في الأدب العربي، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب لاهور- باكستان، ع 23، 2016، ص، 202.

[5] Anne-Laure Issartel , V_erit_e et vanit_e chez saint Augustin. Ressemblance etdissemblance a Dieu , http://dumas.ccsd.cnrs.fr/dumas-00736271,p,6.

[6]حسين حمزة شهيد، الأخلاق في فكر أفلاطون الفلسفي، مجلة كلية الآداب، جامعة الكوفة، ع 10، 2008م، ص 259.

شخصيته ولا يخفى على الباحثين في علم النفس أن العمل الذي قام به أوغسطين في كتابه " الاعترافات" يعد بحثا مهما لمعرفة السلوكيات الانسانية وتحولاتها التاريخية[1].

2.كتاب مدينة الله: ألف أوغسطين هذا الكتاب بين سنة 413 م و 426 م وعالج فيه موضوع الدفاع عن الديانة المسيحية بعد تحميلها المسؤولية في ضعف الإمبراطورية الرومانية وفسح المجال لهجوم القبائل الوندالية[2]، ويبدو أن هذه الهجومات التي شنت ضد الديانة المسيحية كانت من قبل خصومهم الوثنيين في مواصلة للصراع الجدلي الذي انطلق منذ القرن الأول الميلادي ورغم توقف الاضطهادات ضد المسيحيين واعتراف الدولة بهم إلا أن الصراع ظل متواصلا مع احتدام الجدل بعد دخول الوندال لروما سنة ، مما أدى بالوثنيين إلى ربط سقوطها بالديانة المسيحية فلم يسبق أن تعرضت الإمبراطورية الرومانية لمثل هذه الهجومات في تاريخها إلا بعد مجيء الديانة المسيحية وفي ظل هذه الاتهامات شرع أوغسطين في كتابه " مدينة الله" للرد عليها.[3]

ويحتوي كتاب مدينة الله وهو كتاب ضخم على 22 فصلا، عالجت هذه الفصول مسائل عديدة مثل اشكالية الشرك عند الوثنيين وعبادتهم لآلهة تافهة لا يمكن لها أن تحمي مصالح روما القديمة، وانتقد الأفلاطونيين الجدد الذين جعلوا بفلسفتهم الآلهة تلعب دور الوسيط بين البشر وعالم المثل العليا، وأشار أيضا إلى دور الكنيسة في الاهتمام بالفقراء عكس النظام الروماني السابق الذي كان فيه الفقراء يتوددون للأغنياء للحصول على لقمة عيشهم، كما أجاب الكتاب الوثنيين الذين ظلوا يربطون بين هلاك الإمبراطورية الرومانية ومجيء الديانة المسيحية لأن كل الإمبراطوريات تقوم وتضمحل .[4] ولا يمكن اعتبار العناية الإلهية هي المسؤولة عن سقوط روما مدام أن الأمر يتعلق بكل الإمبراطوريات.[5]

(1) P. Spoljar, La construction de la personne dans les Confessions de Saint-Augustin. Perspectives historique et épistémologique, pratique Psychopathologie, université de Picardie Jules-Verne,N 19 2013, p, 222.

(2) حفناوي بعلي ، المرجع السابق، ص، 69.

(3) هنري تشادويك، المرجع السايق، ص، ص، 113-115.

(4) نفسه، ص، ص، 115-119.

(5) Robin Daniel , op cit , p , 228 .

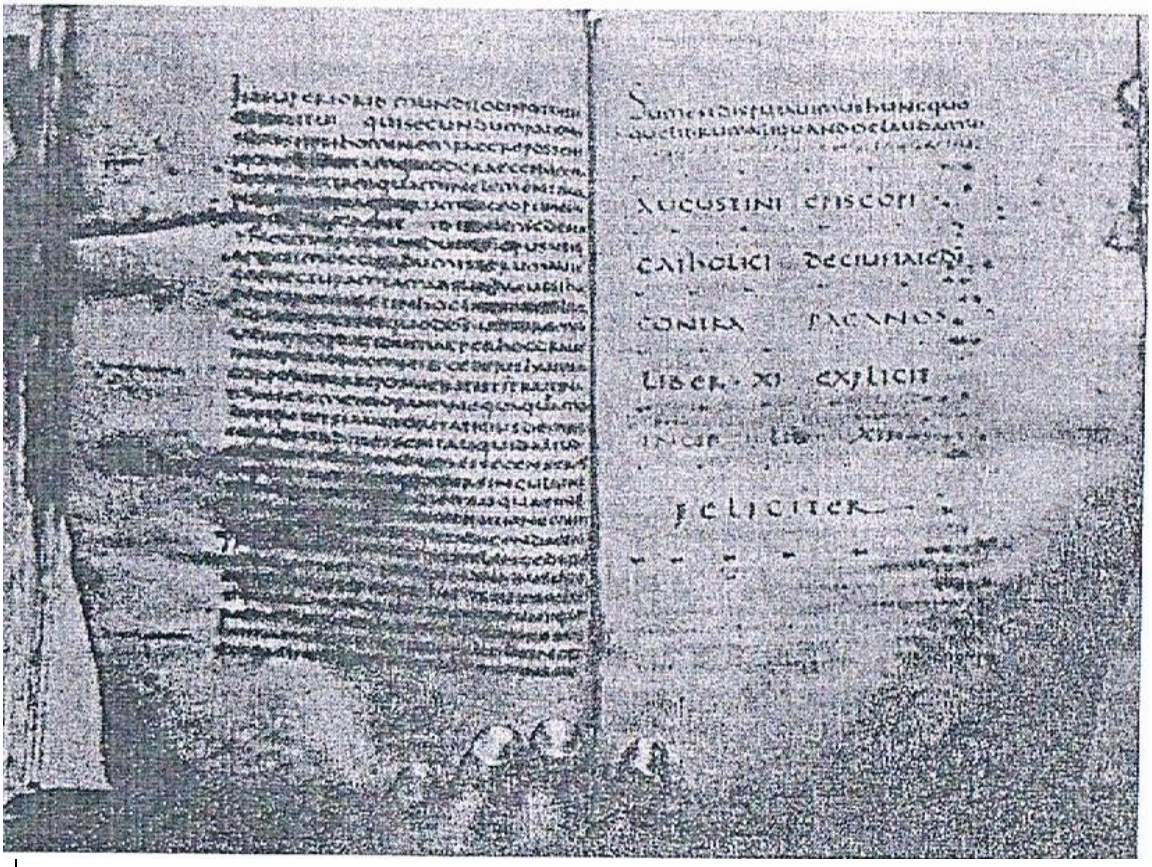

الشكل رقم70: جزء من أقدم مخطوطة ل" مدينة الله" ترجع للقرن الخامس الميلادي بمدينة فيرونا

المصدر: هنري تشادويك، المرجع السابق، ص، 116.

وهكذا فإن مدينة الله عند أوغسطين هي مدينة الخلاص الأبدي عكس المدينة الدنيوية التي تعتبر مدينة خطيئة وبالتالي فإن الفوز بمدينة الله يجب تحمل كل الآلام والعذاب التي يتعرض لها الإنسان.[1]

3. كتاب الثالوث: تمت كتابته ما بين سنوات 400 م و 416 م وجمع في حوالي خمسة عشر كتابا[2] تناولت مسائل التوحيد والجدل الذي دار بهذا الخصوص بين الكاثوليك والأريوسيون مع اثبات أغسطين العقيدة الكاثوليكية الثابتة بأن الرب واحدا وثلاثة في آن واحد[3]، ويبدو أن الاختلاف في العقيدة

[1] حفناوي بعلي، المرجع السابق، ص، 70.

[2] يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوروبية، بيروت، دار القلم، ص، 26.

[3] هنري تشادويك، المرجع السابق، ص، 107.

الذي حصل بين المذاهب المسيحية ساهم في دفع أوغسطين إلى الرد على معارضي فكر العقيدة الكاثوليكية وذلك بأسلوب فلسفي نظرا لطبيعة الموضوع واعتماد المفكرين المعارضين على مبادئ الفلسفة .[1]

1-2-ج-موقف أوغسطين من الحركة الدوناتية

الواضح أن تعيين أوغسطين على رأس الطائفة الكاثوليكية بمدينة عنابة أنه وضح أمام تحدي مواجهة الدوناتيين وبالخصوص أن هذه المدينة كان أغلب سكانها يناصرون المذهب الدوناتي وأصبحت طقوسهم اليومية على علاقة بهذا المذهب وهو فرض على أوغسطين أن يتأمل بشكل عميق في مجتمعه الجديد ويحاول أن يجد حلا لمشكلاته باستخدام أسلوبه الفلسفي [2].

ولم تكن مهمة أوغسطين بالسهلة في هذا المجتمع ذو الأغلبية الدوناتية سواء في الأرياف أو المدن فهو في نظرهم منشقا ومهرطقا إضافة إلى الاتهامات الأخرى التي تلاحقه مثل تعاونه مع السلطات الرومانية والانسياق وراء سياساتها المناهضة للسكان المحليين وقد تكون هذه الاتهامات من أقرب المقربين له فلقد كان إبن عم أوغسطين دوناتيا وهكذا يكون انشقاق العائلات وتقسيمهما أمرا شائعا جدا، وفي هذا الجو من انعدام الثقة نلاحظ التحدي الكبير بالنسبة لأوغسطين.[3]

وقد عبر أوغسطين صراحة بمعارضته لتوجه الحركة الدوناتية ففي نظره أن هذه الحركة قسمت الديانة المسيحية وخرقت وحدتها في حين أن طموحه كان وحدة المسيحية على أساس المذهب الكاثوليكي وعدم حصر مذهب معين في الزاوية الإفريقية كما أسس لذلك الدوناتيون، فنظرة أوغسطين كانت تشير بوضوح إلى مسايرته لكنيسة روما .[4]

ومن خلال تتبعنا للمواجهة التي خاضها أوغسطين ضد الدوناتيين يبدو أنه استخدم كل الطرق الممكنة لتحقيق الانتصار عليهم والتي يمكن أن نضعها على شكل نقاط حسب ما يبدو لنا:

---

[1] يوسف كرم ، المرجع السابق ، ص ، 26.

[2] هنري تشادويك، المرجع السابق، ص، 70.

[3] نفسه، ص، 92.

[4] Abbé Denis le Pivain, Le donatisme et saint Augustin ou la défense de l'Unité, revue-kephas,Octobre–Décembre, 2003,http://www.revue-kephas.org/03/4/LePivain21-36.html

1-تحريض السلطة الرومانية ضد الدوناتيين: لقد فهم أوغسطين طبيعة العلاقة السيئة التي تربط بين السلطة الرومانية والحركة الدوناتية فاستغل ذلك للقضاء على خصومه الدوناتيون وهو ما يمثل دعوة مباشرة للسلطة الرومانية للتدخل في الشؤون الكنسية باستخدام القوة وهذا ما تبينه كثرة الشكاوى التي وجهها أوغسطين إلى الدولة الرومانية، وهي سياسة عامة انتهجتها الكنيسة الكاثوليكية،[1] فهذا الخطاب دعى له أيضا أوبطا الميلي من خلال تحميل الدولة مسؤولية القضاء على الانشقاقات في الكنيسة ولو بطريقة صارمة،[2] ويبدو أن الدوناتية كانت تؤمن بحرية الاختيار بحيث أن الله هو الذي يعاقب المنحرفين والمنشقين وليس من حق الدولة استخدام مشروعية اللجوء إلى السلطة الزمنية (bras séculier) وقد بينا في السابق رفض الدوناتيين لتدخل الأباطرة والحكام في الشؤون الدينية.[3]

ولقيت دعوة الكنيسة الكاثوليكية بإفريقيا الخاصة بضرورة تدخل الدولة ضد الحركات الانشقاقية استجابة من قبل أساقفتها فقد وصل بهم الأمر إلى تبليغ أسماء الأساقفة الدوناتيين للشرطة الرومانية وهذه الوشايات التي لحقت بأتباع الكنيسة الدوناتية أدت إلى وقوع أعمال وحشية مليئة بالتعذيب والقتل، فقد حدث في قرطاج مثلا أن الجنود الرومان هاجموا أتباع الحركة الدوناتية وهم مجتمعين في كنائسهم وهو أمر لم يحدث حتى قبل الاعتراف بالديانة المسيحية في الإمبراطورية الرومانية، كما فسح المجال هذه المرة إلى موجة جديدة من المآسي في الديانة المسيحية ولكن من قبل مسيحيين ضد مسيحيين، وما ميز هذه الموجة الجديدة وقوف السلطة الرومانية إلى جانب الكاثوليك وبتحريض من رجال المذهب الكاثوليكي.[4]

ونجحت رسائل أوغسطين الموجهة إلى السلطة الرومانية في تفعيل هذه الأخيرة لأجهزتها مقابل مواجهة الحركة الدوناتية، بداية من إصدار القوانين منها تلك التي تصادر ممتلكات الدوناتيين لصالح الكنيسة الكاثوليكية، ففي عهد الإمبراطور هونوريوس وبموجب مراسيم إمبراطورية أعطيت الأوامر للمصادرة، ويبدو أنه أسلوب سياسي يهدف إلى تضييق توسع الحركة الدوناتية.[5]

---

(1) عثمان سعدي، الأب دونا...، المرجع السابق، ص، 227.

(2) Robert Joly, op cit, p, 272.

(3) محمد المبكر، شمال إفريقيا القديم...، المرجع السابق، ص، 141.

(4) فينفريد إلليغر، المرجع السابق، ص، 217.

(5) Paul Monceaux, Histoire litéraire de l'Afrique Chéritienne, op cit ,p,250.

ومن المصادرة إلى الترحيل والنفي فمضمون بعض القوانين الموجهة ضد الدوناتيين ترحيلهم ونفيهم إلى بلدان أخرى وذلك لتشتيتهم، ونجد بين السنوات 392-404م الكثير من الأوامر التي تدل على ذلك، فعلى سبيل المثال أمر الإمبراطور تيودسيوس بترحيل كل شخص يزعج الكنيسة الكاثوليكية ويفسر هذا على توجه واضح للسلطات الرومانية نحو أحادية المذهب في الإمبراطورية الرومانية، فالدولة أصبحت مسيحية ولن تسمح بتعدد المذاهب الذي يشكل خطرا على مركزية حكمها.[1]

والإجراءات التي اتخذتها السلطة الرومانية استجابة لرجال الكنيسة الكاثوليكية وفي هذا الخصوص نذكر دائما بالرسائل الكثيرة لأغسطين الموجهة للإمبراطور عن طريق القنصل زادت التضييق عن خصومهم فلم يعد يسمح لهم عقد اجتماعاتهم ولا التنسيق بينهم[2] ، ناهيك عن الغرامات المالية التي تنهك جيوب الدوناتيين والحركات المعارضة والتي بلغت عشر ليرات ذهبية بموجب مرسوم يعود للإمبراطور تيودسيوس .[3]

ورغم الدماء التي سقطت في أوساط أتباع الحركة الدوناتية بإفريقيا وبأوامر أوغسطين وكل من سار على نهجه، إلا أن هؤلاء برروا هذا العنف على سبيل المثال تأييد أوغسطين لاستخدام القوة ضد المعارضين لفرض عودتهم إلى الكنيسة وانقاذهم من الضلال.[4]

ويظهر من خلال استخدام ورقة السلطة ضد الدوناتيين من قبل أغسطين وغيره من رجالات الكنيسة الكاثوليكية كان مؤثرا، ويبدو أن الدوناتيون فهموا ذلك بحيث أنهم سنة 406 م تقدموا لأول مرة بطلب للسلطات الرومانية يطالبون فيه بعقد الاجتماع بالكاثوليك، وقد يفسر هذا استنتاج توصل إليه الدوناتيون بمدى تأثير السلطة الرومانية في الديانة المسيحية وكأنهم أمام الأمر الواقع.[5]

لكن طلب عودة الدوناتيون إلى الحوار والاجتماع مع الكاثوليك فهم على أساس أنه انتصار للإمبراطورية وللكنيسة الرسمية وتردد هذا الانتصار على لسان الأساقفة الكاثوليك .[6]

---

(1) Paul Monceaux, Histoire litéraire de l'Afrique Chéritienne, op cit ,p,257.

(2) ibid

(3) خديجة منصوري، المرجع السابق، ص،47.

(4) عمران عبد الحميد، الحركة الدوناتية بين الانشقاق الديني والتحرر، المرجع السابق، ص، 112.

(5) خديجة منصوري، المرجع السابق، ص، 47.

(6) عمران عبد المجيد، الحركة الدوناتية بين الانشقاق الديني والتحرر، المرجع السابق، ص، 114.

2-المؤتمرات والجدال الكلامي: كان بوسع أوغسطين استخدام وسائل أخرى ضد خصومه الدوناتيين غير استخدام القوة وهذه المرة من منطلق فكري جدلي وذلك لما للجدال من أهمية في الاقناع [1]، ويبدو أن الكنيسة الإفريقية اختارت أغسطين لهذه المهمة لعلمه بأحوال افريقيا نتيجة لأسفاره الكثيرة فيها ومن جهة أخرى اهتمامه بالمسائل المتعلقة بالجدل والحوار ونجاحه فيها من خلال عمله الميداني داخل كنيسة هيبون.[2]

فهم أوغسطين قوة الحجج اللاهوتية ودورها في محاربة الحركة الدوناتية فعمل على إمداد الكنيسة الكاثوليكية على مجموعة من الحجج وحث أساقفتها على عقد سلسلة من المجامع الكنسية يستطيعون تشكيل جبهة واحدة وأسلوب سياسي موحد، وحتى رئيس أساقفة قرطاج عول كثيرا على أوغسطين رغم أن كنيسة قرطاج هي الكنيسة الأولى في افريقيا.[3]

ويكمن أسلوب أغسطين في الرد على الدوناتيين بالعودة إلى الحجج الفقهية ونصوص الكتاب المقدس واكمال العمل الذي قام به سلفه أوبطا الميلي لتعزيز حججه التاريخية .[4]

ولتحقيق الأهداف التي كان يتوخاها أوغسطين من خلال عقد المؤتمرات كان يدعو إليها ويشرف على تنظيمها ويكون طرفا فعالا خلال المناظرة بالتحضير الجيد لها وهذا حتى يظهر خصومه في موقف ضعف.[6] ،ومن الظاهر أن نجد أن المؤتمرات التي عقدت بإفريقيا في نهاية القرن الرابع الميلادي وبداية القرن الخامس الميلادي كثيرة خصوصا بمدينة قرطاج وهي الفترة التي عاش فيها أوغسطين ومن هنا يمكن القول أن هذا الأخير كان صاحب فكرة عقد مثل هذه المؤتمرات لمواصلة اثبات حججه ومواقفه مقابل الحركة الدوناتية والحركات الأخرى المعارضة للكنيسة الكاثوليكية[1] ومن أبرز المؤتمرات التي عقدت بين الكاثوليك والدوناتيين في افريقيا نجد مؤتمر قرطاج.

---

(1) جوناثان هيل، المرجع السابق، ص،89.

(2) محمد المبكر، شمال افريقيا القديم...المرجع السابق، ص، 42.

(3) هنري تشادويك، المرجع السابق، ص،94.

(4) محمد المبكر، شمال افريقيا القديم... المرجع السابق .

(5) نفسه .

(6) Auguste Audollent, op cit , p, 524.

3-مؤتمر قرطاج 411م: هو مؤتمر عقد بين 1-8 جوان 411 م بمدينة قرطاج بإشراف الإمبراطور هونوريوس الذي عين السيناتور ماركيلينوس (Marcellinus) لترأس الاجتماع المخصص لحل المشكل بين الكنيستين الكاثوليكية والدوناتية وفهم أسباب الخلاف بينهما ومحاولة توحيدهما[1]، وهنا يستغرب كيف أن الدوناتيون قبلوا بتعيين قاض خاص للإمبراطور رغم أنه من الكاثوليك ورغم أن السلطة الرومانية كانت تناصر المذهب الكاثوليكي بكل قوة وكيف أن الأساقفة الدوناتيون لم يحتجوا على ذلك فقد تكون نهاية المناظرة لصالح خصومهم الكاثوليك بعد أن يوجه الحوار على حسب مصالحهم.[2]

وبينما يذهب البعض إلى أن الحركة الدوناتية كان محكوم عليها مسبقا مهما قيل عن نزاهة المناظرة فالقوانين السابقة منذ سنة 405 م أدانت الحركة الدوناتية بصفتها هرطقة وهنا تطرح اشكالية المصداقية في الأحكام الصادرة عن هذه المناظرة بعد أن كان المشاركين فيها من الكنيسة الكاثوليكية يحملون حكما مسبقا عن هرطقة الدوناتيين.[4] وهنا يجب الإشارة إلى ان السلطة الرومانية أصدرت مرسوم في 12 فيفري 405 م أشارت فيه إلى الحركة الدوناتية كحركة خارجة عن القانون وتم اعتبارها هرطقة.[5]

ويبدو أنه قبل مؤتمر قرطاج 411 م كان الأساقفة الكاثوليك هم من يوجهون سياسة الإمبراطورية الرومانية بطلبها للتدخل ضد الدوناتيين وإصدار مزيد من الإجراءات ضدهم وكانت السلطة تستجيب لهم وهذا الموقف طبيعي إذا ما نظرنا إلى قوة التحالفات التي جمعت بينهما.[6] ومن دلائل هذا الموقف إصدار الإمبراطور قرار في 12 فيفري 408 م يدعو إلى الوحدة الدينية في كل المدن الإفريقية ولكن هذه الوحدة هي من وجهة نظر كاثوليكية مع ضرورة التعامل بكل صرامة مع المخالفين للقرار .[1]

---

(1) خديجة منصوري، المرجع السابق، ص، 47.

(2) عثمان سعدي، الأب دونا...المرجع السابق، ص، 228.

(3) محمد المبكر، المرجع السايق، ص،185.

(4) Paul Monceaux, Histoire litéraire de l'Afrique Chéritienne, op cit ,p,73.

(5) Ibid, p, 80.

(6) عمران عبد الحميد، الحركة الدوناتية...، المرجع السابق، ص، 118.

وهذا الجدول يبين أبرز القوانين والأحكام المسبقة ضد الدوناتيين قبل مؤتمر قرطاج

سنة إصدار القانون	مضمون القانون
23مارس 395 م	قانون هونوريوس موجه لإفريقيا يؤكد فيه الامتيازات الممنوحة للكنائس ويضمن للكهنة الحماية من أصحاب البدع أو الانشقاقات
13 مارس 398 م	قانون إمبراطوري لمتابعة المفترين (قد يدخل من ضمنهم أنصار جيلدون من الدوناتيين)
12 فيفري 405 م	مرسوم الوحدة بين الكنيستين وأربعة قوانين أخرى ضد الدوناتية أحداها يعتبرها هرطقة
8 ديسمبر 405 م	قانون موجه إلى بروقنصل افريقيا يدعوه إلى تطبيق القوانين ضد الدوناتيين
13 جانفي 409 م	قانون ضد الدوناتيين
بداية 410 م	مرسوم إمبراطوري للتسامح مع الدوناتيين في ربوع افريقيا
25 أوت 410 م	قانون جديد يلغي مرسوم التسامح
14 أكتوبر 410 م	قانون هنوريوس يأمر فيه " ماركلينوس " بتنظيم مناظرة بين الكنيسة الافريقية والكنيسة الدوناتية

الشكل رقم 71: القوانين والأحكام المسبقة تجاه الحركة الدوناتية قبل مؤتمر قرطاج

المصدر: محمد المبكر، شمال إفريقيا القديم ، ص، ص، 252،253.

ورغم هذه الملاحظات التي سبقت تنظيم هذا المؤتمر إلا أنه عقد في وقته المحدد ورفع له أوغسطين شعار " توحيد الكنيسة " ويظهر لنا من خلال الشعار هو السبب في قبول الدوناتيين للحوار ومناظرة الكاثوليك رغم علمهم بالقوانين المتحيزة ضدهم .[1]

أرسل الدوناتيون 279 أسقفا للحضور في مقابل حضور 286 أسقفا كاثوليكيا* وهي أعداد تدل على الحضور المتعادل والمتوازن تقريبا بين الطرفين[**]، رغم أنه في الواقع كل الأدلة تشير إلى تفوق الدوناتيين خلال هذه الفترة من خلال أعدادهم الهائلة في المدن والأرياف وأن مستوى الحضور لمؤتمر قرطاج قد لا يعطينا حقيقة شعبية الحركة الدوناتية ويجب هنا الإشارة إلى أن المؤتمر كان إفريقيا بالدرجة الأولى إذا ما استثنينا الإشراف الإمبراطوري وذلك استنادا إلى دراسة قام بها الباحث محمد المبكر حول أصول أسماء الأساقفة التي حضرت المؤتمر ليخلص في الأخير أن سوادهم الأعظم من أصل افريقي،[2] وأحيانا يكون الحضور لأساقفة كنيستين من مدينة واحدة أحدهما كاثوليكي والآخر دوناتي مثل مدينة تبرسيكي (Thubursicu) التي مثلها الأسقف مورنتيوس (Maurentius) من جانب الكاثوليك والأسقف يانورانيوس (Januarinus) من جانب الدوناتيين.[3]

وبما أن أوغسطين كان متحمسا لعقد المؤتمر فإنه كان ممثلا رسميا باسم القضية الكاثوليكية ومن الطبيعي أن يحاول فرض أفكاره في المؤتمر وتحقيق ما كان يخطط له[4] وكان من أكثر المتدخلين في المؤتمر، رغم قوة خصومه الدوناتيين[5] الذين فرضوا أنفسهم في المؤتمر متمسكين بحججهم على أن مسيحيتهم هي الحقة

---

(1) عثمان سعدي، الأب دونا...، المرجع السابق، ص، 228.

* يبدو أن بعض الأساقفة غابوا عن المؤتمر بسبب ظروفهم المختلفة مثل الأسقف الدوناتي لمدينة سيزي Cissi Qvodvvltdevs الدي غاب بسبب الوفاة أنظر Toulotte, L' Afrique chrétienne , Maurétanie, Notre- dame des prés, 1894, p, 74.

(**) حتى عند حساب عدد الغيابات في الطرفين بسبب الوفاة أو أسباب أخرى غير مذكورة في قائمة حضور المؤتمر نجد أن عدد المدعوين كان متوازنا، 313 كاثوليكي مدعو مقابل 316 دوناتي مدعو، أنظر، Duval Noël, L'évêque et la cathédrale en Afrique du Nord, op cit, p, 346.

(2) محمد المبكر، ملاحظات أعلامية...، المرجع السابق، ص، 198

(3) Recueil des Notices et Mémoires, de la Société archéologique du département (1) de Constantine, V 5 , Constantine , imprimerie D. Braham,1914, p, p, 142, 143.

(4) هنري تشادويك، المرجع السابق، ص، 96.

(5) فينفريد إلليغر، المرجع السابق، ص، 218.

وأنهم مناصرون للضعفاء في وجه الاستعمار الروماني، وهذا ما أدى إلى دعوة أوغسطين الوالي الإمبراطوري بقرطاج لا يقاف الحوار وارسال القوات العسكرية لاعتقال الدوناتيون.[1]

4-نتائج مؤتمر قرطاج 411 م: يكتسي هذا المؤتمر أهمية كبيرة بالنسبة للصراع الجدلي داخل الكنيسة الإفريقية لأنه أعطى فرصة لالتقاء المذاهب المعارضة وجها لوجه مع الإمبراطورية الرومانية، ووجها لوجه مع خصومهم الكاثوليك وذلك فيما يبدو بالشكل العام رضوخ السلطة الرومانية للحوار ولكن بإشرافها، فسياسة الحوار تدل على تنامي شعبية الحركة الدوناتية ولم تتمكن الأساليب الأخرى من حد نفوذها[2] .

ورغم فسح المجال في هذا المؤتمر لكل طرف من الأطراف بتقديم وجهة نظره في نقاط الخلاف بين الطرفين [3]، إلا أن سير الجلسات لم يكتمل في الأخير بسبب دعوة أغسطين للسلطات الرومانية للتدخل واعتقال الدوناتيين وهو ما يفسره عثمان سعدي سياسة لجأ إليها الكاثوليك بعد أن اقتنع عدد منهم بالحجج الدوناتية، فعادة من لا يلتزم بأدب الحوار يلجأ في حالة فشله عن مقارعة خصمه إلى أساليب السب والعنف ليعوض به النقص في تقديم مزيد من الحجج،[4] وكان الحكم النهائي للقاضي في 26 جوان في صالح أغسطين وهو تحريم المذهب الدوناتي في كامل أرجاء الإمبراطورية الرومانية مبررا ذلك بما خلصت إليه وقائع الجلسات المستمرة بين الطرفين المتخاصمين.[5]

وبتحريم المذهب الدوناتي يعني عودة الاضطهادات والقوانين القاسية ضد أتباعه فصودرت كنائسهم وممتلكاتهم لصالح المذهب الكاثوليكي[6]، وهو ما تبينه القوانين اللاحقة مثل قانون صادر في 30 أوت 414م الذي حث بروقنصل إفريقيا على إعادة تطبيق الإجراءات السابقة التي اتخذت ضد الدوناتيين.[7] وسار على هذا النهج في محاربة الحركة الدوناتية كل أباطرة القرن الخامس الميلادي وعليه يمكن القول أن مؤتمر قرطاج وضع حد لكل محاولات التقريب بين الكنيسة الدوناتية من جهة وخصومها الكنيسة الكاثوليكية

---

(1) عثمان سعدي، الأب دونا...المرجع السابق، ص، 228.

(2) Auguste Audollent , Carthage Romaine 146 avant jésus-christ -698 après jésus, thèse Doctorat, faculté. des lettres, université de Paris,1901,p,358

(3) محمد المبكر، ملاحظات أعلامية...، المرجع السابق، ص،185.

(4) الأب دونا...، المرجع السابق، ص، 228.

(5) محمد المبكر، ملاحظات أعلامية...المرجع السابق، ص، 186.

(6) عثمان سعدي، الأب دونا...، المرجع السابق، ص، 228.

(7) محمد المبكر، ملاحظات أعلامية... المرجع السابق، ص، 253.

والامبراطورية الرومانية من جهة أخرى [1] واستمر تطبيق هذه القوانين حتى بعد مجيء البيزنطيين لإفريقيا فنجد أن قانون الإمبراطور جوستنيان الصادر سنة 535 م حرمت جميع معتقدات الدوناتية وهو ما يدل على تصميم غير عادي للقضاء عليها،[2] وقد يرجع ذلك إلى تحالف الدوناتيون مع الوندال طمعا في تخليصهم من الضربات الكثيرة التي تلقوها على يدي الأباطرة الرومان.[3]

ويبدو أن هذه الضغوطات الجديدة أنهكت الحركة الدوناتية وأدى إلى تحول الكثير من أنصارها إلى المذهب الأرثوذكسي[4]، لكن ذلك لا يعني القضاء نهائيا على الحركة الدوناتية والدليل استمرار نشاطها واستمرار النقاش حول معتقداتها حتى القرن السادس الميلادي بما يعني حتى بداية الفتوحات الإسلامية.[5]

وبالنسبة لأوغسطين فخرج منتصرا من مؤتمر قرطاج لأنه حقق هدفه من خلال المؤتمر وهو اظهار الحركة الدوناتية كحركة مهرطقة وصدرت من خلال المؤتمر الأحكام النهائية عليها وترسيم كل القوانين الإمبراطورية الصادرة بحقها[6]، وواصل أغسطين تحريضه للسلطة الرومانية حتى بعد نهاية المؤتمر ولعل إصراره بمراسلة المكلف العسكري بمحاربة الدوناتية عام 417م خير دليل على ذلك فذكره في هذه المراسلة بضرورة تطبيق كل القوانين التي أدانت الدوناتيين وعدم التساهل معهم وهو ما يظهر إما وجود تماطل في تطبيق تلك القوانين أو راجع إلى محاولة أوغسطين الضغط على السلطة الرومانية لاتخاذ مزيد من الإجراءات حتى يتم القضاء نهائيا على خصومه.[7]

كما حققت الضغوط الحكومية الكثير من النجاح على مستوى اضعاف الحركة الدوناتية في إفريقيا ففي مدينة هيبون تحولت الأغلبية من دوناتية إلى كاثوليكية[8]، ويربط في هذا الصدد م . ترنقستوم (M.Tengstrom) بين سقوط الحركة الدوناتية ومخلفات مؤتمر قرطاج أنه بين السنوات 411م و420م

(1) Carles Buenacasa Pérez , L'étude, " Les lettres antidonatistes d'Augustin: le vocabulaire employé pour dénoncer les crimes des donatistes, Université Charles de Gaulle - Lille 3, 2011, p,410.

(2) Christine Prieto, op cit , p, 16.

(3) عثمان سعدي، الأب دونا، المرجع السابق، ص، 229.

(4) loc cit.

(5) Paul Monceaux, Histoire litéraire de l'Afrique Chéritienne, op cit ,p, 107.

(6) Abbé Denis le Pivain ,loc cit.

(7) Lepelley Claude, Iuvenes et circoncellions : les derniers sacrifices humains del'Afrique antique, Antiquités africaines, 15,1980, p,263.

(8) هنري تشادويك، المرجع السابق، ص،97

أصبحت إجراءات السلطة الرومانية وسياستها أكثر صرامة وأكثر وضوح ضد الحركة الدوناتية،[1] وهذا بغض النظر أن انضمام المسيحيين الأفارقة إلى الكنيسة الكاثوليكية لم يكن على اقتناع بل كان على ضرورة نتيجة لقوة القمع المسلط عليهم من قبل السلطة الرومانية، وهذه الأساليب القمعية اعتبرتها الكنيسة الكاثوليكية شرعية ومبررة لأن الهدف منها إعادة الهراطقة للأصالة المسيحية وهو الذي أدى إلى استمرارها.[2]

وتعد رحلات أغسطين إلى موريتانيا القيصرية بعد نهاية مؤتمر قرطاج والتي قام بها بين سنتي 418 م و419 م دليل آخر على استفادته من المؤتمر مما فسح له المجال للقيام بجولات عبر نوميديا وموريتانيا يظهر من خلال رسائله أنها موجهة لتثبيث الكنيسة الكاثوليكية ومجادلة الأساقفة الدوناتيين هناك،[3] من بينهم الأسقف الدوناتي لقيصرية (شرشال) إيمرتيوس (Emeritus) بحيث دار حوار معه بحضور مجموعة من أنصاره الدوناتيين،[4] وفي سنة 420م كتب رسالتين للاسقف الدوناتي لتيمقاد (Gaudentius) وهو ما يؤكد مواصلته سياسة مواجهة الحركة الدوناتية حتى بعد نهاية مؤتمر قرطاج.[5]

5- التأليف والردود الكتابية ضد الدوناتيين: إضافة إلى استخدام السلطة الرومانية كوسيلة لمحاربة الحركة الدوناتية ودعم ذلك بمجموعة من المؤتمرات والجدالات الكلامية، نجد أن أوغسطين يبدو أنه خصص جزء كبير من وقته لكتابة مؤلفات ورسائل وردود كتابية لما لها من دور كبير في الرد على الدوناتيين[6]، ومن أهم البحوث التي ناقش فيها أغسطين زملائه الدوناتيين:

1-المعمودية (De baptismo): بحث في علم اللاهوت يناقش فيه أغسطين مسألة التعميد في الديانة المسيحية ويدعو الدوناتيين إلى اعتماد نظريات الكنيسة الرسمية في هذا المجال محملهم مسؤولية الانقسام[7]، كتب هذا البحث بين سنتي 400 م و401 م.[8]

---

(1) Fevrier Paul-Albert, Toujours le donatisme. À quand l'Afrique ? (Remarques sur l'Afrique à la fin de l'Antiquité, à propos du livre de E. Tengström). In: La Méditerranée, Rome : École Française de Rome, 1996,p,704.

(2) عثمان سعدي، الأب دونا، المرجع السابق، ص، 229.

(3) Saint augustin et Maurétanie Césarienne: les années 418-419 à la lumiére des nouvelles lettres récemment publiées, Revue d'études augustiniennes, 30,1984,p,48.

(4) M. Poujoulat, op cit , p, 509.

(5) Ibid, p, 509.

(6) هنري تشادويك، المرجع السابق، ص، 97.

(7) Mireille Labrousse, Le baptême des hérétiques d'après Cyprien, Optât et Augustin influences et divergences, Revue des Études Augustiniennes, 42, 1996,p, 233.

(8) Carlos García MacGaw,op cit, p, 115.

ويضم هذا البحث سبعة كتب كاملة وهو يدل على اهتمام أغسطين بدحض آراء الدوناتيين والتشكيك في معتقداتهم، وحتى يظهر للمؤمنين بالديانة المسيحية أن تعميدهم من طرف الدوناتيين هو تعميد باطل.[1]

2-رسائل ضد الدوناتيين: ما بين 400-405م كتب أغسطين عشرات الرسائل ضد الحركة الدوناتية في المجال العقائدي والتاريخي ومجالات أخرى وهذه الرسائل وجهت إلى المؤتمرات الكنسية وإلى الأساقفة الكاثوليك والدوناتيين .[4] وهذا مخطط لبعض الرسائل التي وجهها أوغسطين للدوناتيين.

عنوان الرسالة	تاريخ الرسالة	ملخص مضمون الرسالة
ردا على رسالة بارمينيانوس الزعيم الدوناتي	400 م	محاولة أغسطين ربط بين الحركة الدوناتية وحركة الدواورن وضرورة تدخل السلطة ضدهم
ردا على رسالتي أسقف كرتا الدوناتي بتيليانوس	400-403م	توضيح أغسطين للدوناتيين أن انشقاقهم جلب المتاعب للديانة المسيحية والدليل عنف الدواورن
ردا على كريسكنيوس المثقف الدوناتي	406 م	اعتبار أن عنف الدوناتيين والدواورن أكثر من عنف السلطة الرومانية
رسالة إلى الوكيل العسكري بونيفاكيوس	417 م	حث الوكيل العسكري المكلف بتنفيذ الأحكام ضد الدوناتيين بأن يكون صارما في تطبيقها
الرد على كاودنتيوس الأسقف الدوناتي لتموقادي	حوالي420 م	ظاهرة الانتحار أو الاستشهاد في مفهوم الدوناتيين حسب أوغسطين هي في سبيل دوناتوس وليس في سبيل المسيح

الشكل رقم 72: جدول لبعض رسائل أوغسطين الموجهة للدوناتيين

المصدر: محمد المبكر، شمال إفريقيا القديم، المرجع السابق، ص، ص، 281-349.

(1) Marie-Nicolas-Silvestre Guillon, Bibliothèque choisie des Pères de l'Eglise grecque et latine,T 22,Paris,Méquignon –Havard, libraire,p,267.

(2) Carles Buenacasa Pérez , L'étude, " Les lettres antidonatiste…op cit , p, 397.

3-ملخص لمؤتمر قرطاج حول الدوناتية: بالنظر إلى طول جلسات مؤتمر قرطاج 411 م والذي أشرنا إليه في السابق فإن أغسطين يقول في مقدمة الكتاب أنه فكر في وضع هذا الملخص لتسهيل قراءة المحضر الطويل[1]، وكتب هذا الملخص في نفس السنة التي عقد بها المؤتمر ويبدو أن الهدف منه هو توجيه الرأي العام الإفريقي وكسب معركة إعلامية دعائية ضد الدوناتيين.[2]

1-3-الأسقف أوريلوس (Aurelius) ودوره في محاربة الحركة الدوناتية

بعد توضيح الدور الكبير والهام لأوغسطين في الحفاظ على مصالح الكنيسة الكاثوليكية وابقاءها في المقاطعات الافريقية بحيث كان وجودها مهددا لصالح الكنيسة الدوناتية، ننتقل الآن إلى دور اسقف قرطاج أوريلوس الذي يبقى هو الآخر دوره هاما بالنظر إلى مختلف أعماله لصالح كنيسة قرطاج الكاثوليكية.[3]

ويبدو أنه نظرا لمكانة أوريلوس في كنيسة قرطاج فقد تم تعينه سنة 391م وهي نفس السنة التي عين فيها أوغسطين على رأس أسقفية هيبون، وبقي أوريلوس على رأس الكنيسة في قرطاج حتى وفاته سنة 429م، وطول هذه المدة التي قاربت الأربعين عاما والفترة التي عاش فيها من أصعب الفترات في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية بافريقيا لاشتداد الصراع بينها وبين الحركة الدوناتية برز من خلالها النشاط الكبير لأوريلوس .[4] هذا النشاط تجسد في الكثير من الوعظ والكتب والرسائل التي كتبها ليس فقط ضد الدوناتيين بل حتى ضد الطوائف الأخرى المعارضة للكنيسة الكاثوليكية كالمانيين وأتباع بيلاغيوس (Pelagius) بمحاولة لإرجاعهم للطريق الصحيح ودفاعا عن مولاة كنيسة قرطاج للكنيسة الكاثوليكية.[5]

كما أعاد أوريلوس مبدأ العمل بعقد المؤتمرات الكنسية السنوية الذي توقف بعد وفاة كبريانوس، وذلك للتنسيق مع بقية الأساقفة في اصدار القرارات الجماعية التي تخص التنظيم الكنسي ومسائله الهامة والتي يأتي على رأسها مواجهة البدع والهرطقات[6]، وخلال فترة بقاء أوريلوس على رأس كنيسة قرطاج ترأس أكثر من

(1) Saint Augustin , Résumé d'une conférence avec les Donatistes, Oeuvres complètes de Saint Augustin traduites pour la première fois en français, sous la direction de M. Raulx, Bar-Le-Duc, L. Guérin & Cie, éditeurs, 1869.

(2) محمد المبكر، ملاحظات أعلامية...، المرجع السابق، ص،186.

(3) Auguste Audollent, op cit, p, 539.

(4) Ibid, p, 535.

(5) فينفريد إلليغر، المرجع السابق، ص، 217.

(6) نفسه.

عشرين مجمع كنسي [1]، كما تظهر أهمية رسائله مع بقية الأساقفة الأخرين بغرض تقوية الجانب الجدلي للكنيسة الكاثوليكية والتي أجراها مع رجال كنيسة مهمين خارج افريقيا مثل ديون خريسوستوموس(Dion Chrysostomos) و هيرونيموس (Hieronymus)[2]، وأيضا الرسائل المتبادلة بينه وبين أوغسطين والتي ساهمت في التنسيق وتبادل المعلومات، وأظهرت تلك الرسائل تفاهما في القضايا الدينية خصوصا الردود ضد الطوائف المعارضة للكنيسة الكاثوليكية[3] ويبدو أن أوغسطين تميز بعلاقة صداقة متميزة مع أوريلوس فقد كان يستشيره باستمرار ويطلب ردوده على المسائل اللاهوتية المختلفة وقد يكون ذلك من منطلق السلطة الروحية التي كانت تمارسها أسقفية قرطاج على الأسقفيات الأخرى في افريقيا.[4]

(1) Auguste Audollent, op cit, p, 536.

(2) فينفريد إلليغر، المرجع السابق، ص، 217.

(3) Athanse Sage, Le péché originel dans la pensée de saint Augustin, de 412 à 430 A.A, Rome, 1968, p, 105.

(4) Paul Monceaux, Histoire litéraire de l'Afrique Chéritienne, op cit ,p, 216.

2/علاقة الحركة الدوناتية بثورة الدوارون

يبدو أن الخلاف بين الكنيستين الافريقية والدوناتية لم يقتصر على المجال الديني فقط بل انتقل إلى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وذلك يمس ظاهرة الرومنة ككل من خلال مجموعة من الثورات التي قامت طيلة القرن الرابع الميلادي وساندتها الحركة الدوناتية في حين أن الكنيسة الافريقية بقيت وفية للوجود الروماني.[1]

2-1-تعريف الدوارون (Circoncellions): من الناحية اللغوية فإن الكلمة من أصل لاتيني مركبة من جزئين: circum وcella، يعني الجزء الأول (دائر) أما الجزء الثاني فيعني (مستودع المؤن) وبالتركيب بين الكلمتين نجد أن الدوارون تعني أولئك الأشخاص الذين يدورون حول مستودعات المؤن الواقعة في الأرياف بحثا عن قوتهم،[2] أو بتعبير أوضح هم الذين يترصدون المزارع خصوصا المعزولة منها بغرض نهبها.[3]

وهناك رأي ثان يذهب إلى أن الدوارون كانوا رهبان يتجولون بين الأديرة وبالتالي فإن المقصود بالجزء الثاني celle يعني (بيت الراهب)، وهكذا فإن الاختلاف قائم حول تحديد مفهوم دقيق لحركة الدوارين ويرجع ذلك إلى تعدد الآراء حول نشاط الحركة.[4] وإذا كان الخلاف قائم حول التعريف اللغوي للدوارون فإن الخلاف أكثر حول الرؤية في طبيعة نشاطهم فعادة ما نجد تفسيران متناقضان في ذلك ما بين الرأي الأول الذي ينظر إليهم على أساس أنهم قطاع طرق ومتمردون وما بين الرأي الثاني الذي يذهب إلى أنهم ثوار اجتماعيون سعوا إلى مقاومة الوجود الروماني،[5] ونبدأ في هذا الصدد برؤية رجال الدين المعاصرين لهذه الحركة ومنهم أوبطا الميلي الذي يرى أن الدوارون هم مجموعة من العصابات المتمردة تمارس عملية نهب مخازن الغلال الرومانية[6]، أما أوغسطين فسار على نفس نهج الكنيسة الكاثوليكية في وضع الدوارون ضمن دائرة الإجرام والوحشية [7] نظرا للهجمات الكثيرة التي قاموا بها ضد رجال الدين الكاثوليك وخاصة بعد صدور قانون

---

(1) عمران عبد الحميد، الديانة المسيحية في المغرب القديم...، المرجع السابق، ص، 239

(2) محمد المبكر، شمال افريقيا القديم، حركة الدوارين وعلاقتها بالدوناتية، المرجع السابق، ص، 85.

(3) Ernest Mercier , Histoire de Constantine, J. Marle et F. Biron, imprimeurs editeurs,1905,p,59.

(4) محمد المبكر، شمال افريقيا القديم، حركة الدوارين وعلاقتها بالدوناتية، المرجع السابق ،ص، 86

(5) Bruno Pottier, op cit , p , p , 19 , 20 .

(6) العود محمد الصالح، التحولات الحضارية في شمال افريقيا في الفترة الوندالية 429 م-534م، رسالة ماجستير جامعة منتوري قسنطينة،2010، ص، ص، 18، 19.

(7) Saint Augustin , Résumé d'une conférence avec les Donatistes, op cit, XIII, 580.

تجريم ومنع الدوناتية وسيأتي لاحقا تحديد العلاقة بين الدواورن والحركة الدوناتية، ويبدو أن رؤية أوغسطين إلى الدواورن هي التي جعلته يقوم بدعاية كبيرة ضدهم ويطالب بمتابعتهم ومحاكمتهم.[1] ووجهة النظر هذه هي نفسها التي اعتمدت عليها الكتابات الغربية الحديثة واصفة أسلوب الدواورن بأبشع الصفات مثل وصفهم بالمتشردين الذين يعتمدون على نهب ممتلكات الناس في الطرق والأسواق و اعتقادهم بتطبيق القانون بدلا من الدولة.[2]

كما وصفت أعمالهم بأنها أعمال عصابات ارهابية مارست هذا الأسلوب لتحقيق مطامحها التخريبية ونشر العنف في المجتمع[3] وهو ما يعتبر أيضا تمرد عن النظام الاجتماعي القائم وارتكاب الجرائم بدوافع انتقامية إنها وجهة نظر تسعى لا طلاق الأحكام الجزافية دون البحث العميق في أفعال الدواورن.[4]

أما وجهة الرأي الثانية فهي لا تتسرع في اطلاق أحكام التمرد والعصيان والارهاب على الدواورن انطلاقا من أنهم يفضلون قراءة عميقة لطبيعة أفعالهم ومنشأها فهل كانت الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية مستقرة خلال القرن الرابع الميلادي حتى لا يدعو هؤلاء الدواورن إلى ممارسة تلك الأفعال؟، وفي الواقع حسب الدراسات الاقتصادية والاجتماعية للإمبراطورية الرومانية فإنها كانت تعيش مرحلة سيئة ومزرية مع تحكم الطبقات الارستقراطية في النشاط الاقتصادي، فانطلاقا من هذا الوضع يمكن الربط بصعوبة العيش عند طبقة كبيرة من السكان المحليين ولجوء الدواورن إلى أعمال النهب والسرقة للممتلكات.[5] ويبدو هنا أن الدواورن كانوا أمام حالة ضغط شديدة على المستويين الاقتصادي والاجتماعي وصل الأمر ببعضهم إلى بيع أنفسهم كعبيد لأنهم لم يستطيعوا تسديد ديونهم، بل حتى هناك من باع أطفاله فالفقر المدقع وبؤس العيش يدفع إلى مثل هذه التصرفات.[6]

والباحث يمكن أن ينطلق من الظروف السيئة لهؤلاء السكان ووجود التمييز الواضح بين الرومان والفئات المترومنة وبين السكان الرافضين للرومنة، تمييز ظاهر في اعطاء الفئات الأولى أراضي خصبة وحصر الفئات الثانية في أراضي قاحلة مع جعل خط الليمس فاصل بينهما، تمييز في استغلال خيرات السكان

(1) Bruno Pottier, op cit, p,19,36.
(2) Vannier .O, op cit, p, 31.
(3) Paul Monceaux, Histoire litéraire de l'Afrique Chéritienne, op cit,p, 31.
(4) Marcel Neusch, La création comme habitat de l'homme, Saint Augustin et la société de son tempsitinéraires augustiniens,p,26.
(5) محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص، 247.
(6) Bruno Pottier, op cit, p,31.

الأصليين وتزويد روما وأوروبا بها مقابل انتشار الفقر في أوساط السكان الأصليين[1]، تمييز في وجود فوارق اجتماعية من خلال طبقة كبار ملاك الأراضي وطبقة معدمة، ألا يكفي الوضع هذا لمعرفة دوافع الدوارون في تشكيل أفواج هاجمت كبار ملاك الأراضي ولو بطريقة عنيفة.[2]

2-2-هل الدوارون مجرد حركة منشأها تردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية:

يمكن أن نخلص من خلال مناقشة مختلف آراء الذين كتبوا في الحركة الدوناتية إلى أن الدوارون حركة متذمرة من سوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وعلى أساس ذلك لجأت إلى استخدام العنف لإسماع مطالبها للسلطة الرومانية [3]، لكن مع دراسة عميقة يمكن أن يتبين لنا أن الدوارون حركة مقاومة للوجود الروماني في كل أشكاله ليس الاقتصادية والاجتماعية فقط بل امتدت إلى الجوانب الدينية والثقافية وهو اتجاه يفسره بعض الباحثين إلى وجود نوع من القومية وهذه القومية تمكن في محاولة فرض شخصية للأمازيغ تختلف عن الشخصية اللاتينية.[4]وانطلاقا من اعتبار أن لحركة الدوارون ميولا دينية وثقافية شعارها مواجهة سياسة الرومنة فمن الطبيعي ربط نشاطهم بنشاط الحركة الدوناتية نظرا لتطابق وجهات نظرهما بالنسبة للاحتلال الروماني وحمل لواء كليهما من قبل السكان الأصليين اضافة إلى أن الموقع الجغرافي نفسه يربط كليهما فما هي إذن طبيعة العلاقة بينهما.[5]

2-3-طبيعة العلاقة بين الحركة الدوناتية وحركة الدوارون

يرى محمد المبكر أن الواقع الاقتصادي المرتبط لحركة الدوارون سابق عن الواقع الديني مما يعني أن حركة الدوارون في بداية الأمر نشأت كظاهرة اقتصادية واجتماعية ثم تحولت إلى الواقع الديني من خلال التحالف مع الحركة الدوناتية ومهاجمة الكنائس والأساقفة الكاثوليك وهذا الواقع الاقتصادي سابق لظهور الديانة المسيحية بالنظر إلى الأوضاع المزرية لسكان بلاد المغرب القديم.[6]

---

[1] عمران عبد الحميد، الديانة المسيحية في المغرب القديم...، المرجع السابق، ص، ص، 240، 241.

[2] Bruno Pottier, op cit, p, 20.

[3] عمران عبد الحميد، الديانة المسيحية في المغرب القديم...، المرجع السابق، ص، 244

[4] Bruno Pottier, op cit, p, 19.

[5] S. Lancel , Circoncellions, Encyclopédie berbère, Chèvre – Columnatien, Aix-enProvence, N 13,1994,p,02.

[6] محمد المبكر، شمال افريقيا القديم، حركة الدوارين وعلاقتها بالدوناتية، المرجع السابق، ص، 117.

كما وجد الدوارون في الحركة الدوناتية جانب دعم من الناحية الروحية وهذا لتقوية موقفهم في مواجهة الإمبراطورية الرومانية ومن تحالف معها.[1]

ويبدو أن هذا الدعم الروحي الذي تلقاه الدوارون من الكنيسة الدوناتية هو الذي جعل البعض يعتبر حركة الدوارون كجناح عسكري للحركة الدوناتية، مما يعني أن هناك ارتباط مباشر بين الحركتين وعلى هذا الأساس يفهم أن الدوارون كانوا يتلقوا تعليماتهم من الأساقفة الدوناتيين.[2] وهم الذين أسسوا سلطة دينية هرمية على أساس المذهب الدوناتي في الأرياف هاجمت رجال الكنيسة الكاثوليك الذين كرسوا الظلم الاجتماعي وكذلك الدوناتيون الذين تحولوا إلى المذهب الكاثوليكي ومن هنا حسب رأي هؤلاء يفهم ببساطة قوة العلاقة بين الدوناتيون والدوارون خصوصا إذا فهمنا الصراع الشديد بين الكنيسة الدوناتية والكنيسة الكاثوليكية.[3]

ويربط البعض بتزايد هذا التحالف بين الدوناتيين والدوارون بعد صدور قانون منع وتجريم الدوناتية سنة 405م والملاحقات المستمرة للمذهب الدوناتي مما اضطر هذا الأخير إلى استخدام العنف بتحريض جناحه العسكري، وحسب ما يفهم من أقوال أوغسطين أن هذا التحريض كان بدافع انتقامي لأن هجمات الدوارون ضد رجال الدين الكاثوليك كانت نتيجة لفشل الحركة الدوناتية ومنعها من الناحية القانونية فلجأت إلى التعبير عن رفضها لتلك القوانين بطريقة غير شرعية،[4] ويتطابق هذا الكلام الأخير مع المصادر التاريخية إذا أن أوبطا الميلي لا يتكلم عن هجوم الدوارون على الكنائس والأساقفة الكاثوليكية بل يتكلم عنهم في اطار عام بمهاجمتهم لكبار الملاك والأسياد الدائنين بغض النظر عن انتماءاتهم المذهبية، على العكس من أوغسطين الذي يتحدث مباشرة عن انتماء الدوارون للمذهب الدوناتي ومهاجمتهم للكاثوليك على أساس ديني وكأن الصراع تحول من صراع اقتصادي إلى صراع مذهبي وهذا يشير إلى أن الدوارون في عهد أوغسطين كانوا يبحثون عن أساقفة الحركة الدوناتية لعقد تحالفات معهم بناء على الخطر المشترك الذي يلاحق كلا الطرفين.[5]

كما أن استخدام الدوارون للدين المسيحي كان واضحا سواء من حيث اطلاق على أنفسهم مصطلح " جنود المسيح" أو من خلال تسمية قادتهم من أمثال أكسيدو (Axido) و فازير (Fasir) بـ " قادة

(1) Bruno Pottier, op cit, p, 19.
(2) Marcel Neusch, op cit , p, 26.
(3) Bruno Pottier, op cit, p,p,35,36.
(4) ibid, p, 19.
(5) محمد المبكر، شمال افريقيا القديم، حركة الدوارين وعلاقتها بالدوناتية، المرجع السابق، ص، 122.

القديسين[1] أو مباشرة هجماتهم بعبارة " لله الحمد " (Dio Luades) وكذلك تسمية كنيستهم ب "كنيسة الشهداء[2] ولهذه " الشهادة " منطلق ديني إذ نظروا إليها على أساس أنها جزء من عمل الكنيسة ووسيلة لإرضاء الله.[3]

وهكذا فإن طبيعة العلاقة بين الحركة الدوناتية وحركة الدوارون هي علاقة متداخلة نظرا لتشابه الظروف والعقلية والموقع الجغرافي[4]، وأن انضمام الدوارون للكنيسة الدوناتية يرجع لاعتقادهم أنها كنيسة الفقراء والمظلومين في مواجهة الكنيسة الكاثوليكية والسلطة الرومانية المتحالفة والمساندة لها فأتباع الدوارون والدوناتيون أغلبهم ينحدرون من مناطق ريفية محرومة ففي وجهة نظر البعض أن هذا يعتبر نوع من المعارضة الذي يشمل حالة اقتصادية واجتماعية ودينية أيضا، فكبار الملاك كانوا كاثوليكيين وكانت تحركهم مصالحهم الشخصية في التحالف مع الإمبراطورية الرومانية، وكان من الشائع أن كبار الملاك يطالبون بتدخل الجيش الروماني لقمع المعارضين سواء الدوارون أو الدوناتيون ،[5] وهو نفس الرأي تقريبا يذهب إليه محمد البشير شنيتي بعنوان " التحالف الطبقي" فالمصالح المشتركة للأطراف المتنازعة كانت واضحة في الصراع بينهما وهو تحالف فيما يبدو عفويا ومن هنا يتبادر إلى الأذهان أن الصراع هو بين طبقة الأغنياء وطبقة الفقراء وهذا بشكل عام لأن هناك أغنياء هم من أتباع الحركة الدوناتية .[6]

2-4-انتشار حركة الدوارون في إفريقيا:

انطلاقا من العلاقة التي نشأت بين الحركة الدوناتية وحركة الدوارون فإن هذه الأخيرة كانت تنتشر بشكل كبير في نفس المناطق التي انتشرت فيها الحركة الدوناتية نظرا للدعم الكبير لأساقفتها لصالح حركة الدوارون، بل أن بعضهم دعاهم لمواجهة القوات الرومانية في افريقيا، مثلما حدث في بغاي سنة 347 م

(1) عيواج زهية، المرجع السابق، ص، 96.

(2) محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص، 373.

(3) Lepelley Claude,op cit p,270.

(4) S. Lancel , Circoncellions…, op cit , p, 02.

(5) بيار هادو وميشال مسلان، المرجع السابق، ص، ص، 459، 460.

(6) محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص، 372.

حينما تحالف الدوناتيين والدوارون في معركة كبيرة ضد البعثة الرومانية التي جاءت لحث الدوناتيين على استعادة الوحدة الدينية.[1]

ونظرا للأحداث الكثيرة التي عرفتها مدينة بغاي منذ نشأة الحركة الدوناتية وظهور حركة الدوارون خصوصا أنها تحولت معقل لهم من حيث تنظيم العديد من المؤتمرات أو الأحداث المتعلقة بمواجهة القوات الرومانية والكنيسة الكاثوليكية المتحالفة معا يجعل منها مركزا هاما لحركة الدوارون [2]، وغير بعيد عن مدينة بغاي وعلى سفوح الأوراس تظهر مدينة تيمقاد كمركز أخر لحركة الدوارون[3]، وهي المدينة التي دعمت ثورة جيلدون بشكل كبير بسبب تواجد الدوارون الذين تحالفوا مع الحركة الدوناتية وحملوا السلاح إلى جانب جيلدون.[4]

وبكون باغاي وتيمقاد مركز للدوارين في شمال افريقيا فيرجع ذلك إلى ارتباطهم بالحركة الدوناتية وهذا يجعل من مناطق أخرى تركزوا فيها بشكل كبير من بينها تيفاست ومادور وفيغسلا (Vegesela)[*] وتيغيسي (Tigisi)[**] ونقرين وتاغاست وهيبون وقالمة [5]، لامباز وخنشلة وعين البيضاء وهي مناطق معروفة بجني محصول الزيتون [6]وهو ما يفسر أن استعمال الدوارون لهراوات ذكرتها المصادر القديمة خلال القيام بهجوماتهم لم تكن سوى هراواتهم التي استخدموها خلال عمليات جني الزيتون وحتى عمليات الدوران التي قاموا بها كانت حول مخازن الزيت، [7] على أن الدوارين بعد أن تعاظمت قوتهم تطور استخدامهم لأسلحة أخرى مثل المقاليع والأسلحة الحديدية والسيوف والشواقير والحراب وتشكلت لديهم فرق مسلحة أشبه بالفياليق.[8]

---

(1) Paul Monceaux, Histoire litéraire de l'Afrique Chéritienne, op cit,p, 81.

(2) Vannier O, Les circoncellions et leurs rapports avec l'Église donatiste, Revue Africaine, Alger, A. Jourdan, Libraire, V 67, 1926, p, 19.

(3) عمران عبد الحميد، الديانة المسيحية في المغرب القديم...، المرجع السابق، 254.

(4) Albertini, Eugène, loc cit.

(*) فغسيلا موقع نوميدي بضواحي مدينة أم البواقي حاليا يبدو من خلال الاكتشافات الأثرية بأنه من معاقل الحركة الدوناتية بنوميديا أنظر Pierre Courcelle, op cit,p, 166.

(**) تغيسي (Taourga) تاورغة موقع نوميدي جنوب دلس بما يعرف منطقة القبائل الغربية أنظر O. Mac Carthy, Antiquités Algeriennes, Alger, Adolphe Jodrdan, 1885, p, 14.

(5) Paul Monceaux, Histoire litéraire de l'Afrique Chéritienne, op cit,p, 125.

(6) Paul-Albert.Fevrier, op cit, p, 701.

(7) محمد المبكر، حركة الدوارون وعلاقتها بالدوناتية، المرجع السابق، ص، 103.

(8) نفسه، ص، 139.

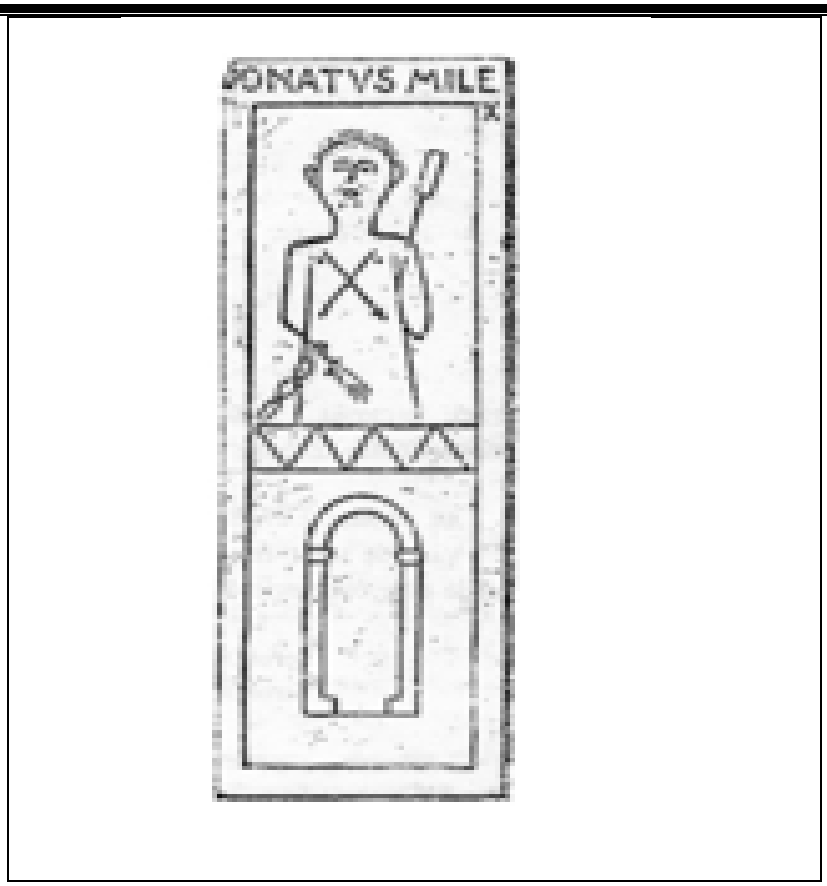

الشكل رقم 73: الهراوات التي يفترض أنها كانت الأداة الرئيسية عند الدوارون يستخدمونها لجني الزيتون أو للهجومات المختلفة (نوميديا)

المصدر:.Bruno Pottier, Les circoncellions, Un mouvement ascétique op cit, p, 82

وانتشار حركة الدوارون بهذه المناطق جعل البعض يصف امتدادهم الجغرافي في المناطق الداخلية بإفريقيا بما يوافق حاليا جبال الأطلس [3] ويربطهم الباحث محمد المبكر بالريف النوميدي وخصوصا أن الدوارون كان أغلبهم يعملون في ضيعات الإمبراطور أو الخواص وهم من فئات قليلة التأثر بالرومنة كما أنهم غير مستقرين على أساس انهم يبحثون عن قوتهم من ضيعة إلى أخرى وهي المعايير التي ترتبط بالإنسان الريفي[1]، وهذا الكلام لا يتوافق مع وصف أوغسطين لمناطق الدوارون وهو الكاتب المعاصر لهم حيث وصفهم بأنهم عملوا على تأجيج إفريقيا بكاملها إلا أذا كان أوغسطين قد بالغ في وصفه[2]، من منطلق تفكيره ضد الحركة الدوناتية التي حملها مسؤولية العنف الذي يقع في افريقيا[3]، كما كان كثير الشكاوى ضد الدوارون للسلطات الرومانية فقد اشتكى للبروقنصل من هجوماتهم في مدينة هيبون ومنها أنهم هاجموا كاهنين كاثوليكيين نصب لإحداهما كمين والآخر اختطف من منزله ونزعت عينه وقطعت أصبعه بحجر حاد، وحسب كلام أوغسطين

(1) M. Poujoulat , Histoire de Saint Augustin, Paris, Alfred Mame et Fils, T 1, 5 edi, 1844, p, 37.

(2) محمد المبكر، شمال افريقيا القديم، حركة الدوارين وعلاقتها بالدوناتية، المرجع السابق، ص، ص، 101، 102.

(3) Augustin, Contra Litteras Petiliani…op cit, 24-26,528.

(4) محمد المبكر، حركة الدوارون وعلاقتها بالدوناتية، المرجع السابق، ص، ص،286 .

فإن حركة الدواورن لم تشمل الأرياف فقط بل حتى المدن لم تكن آمنة بسبب العنف الذي ارتكبوه[1]، كما يظهر من خلال مساندة أساقفة قرطاج الدوناتيين لحركة الدواورن امتداد حركتهم هناك رغم أن صيتها لم يكن بالشكل الموجود في المقاطعات الأخرى.[2]

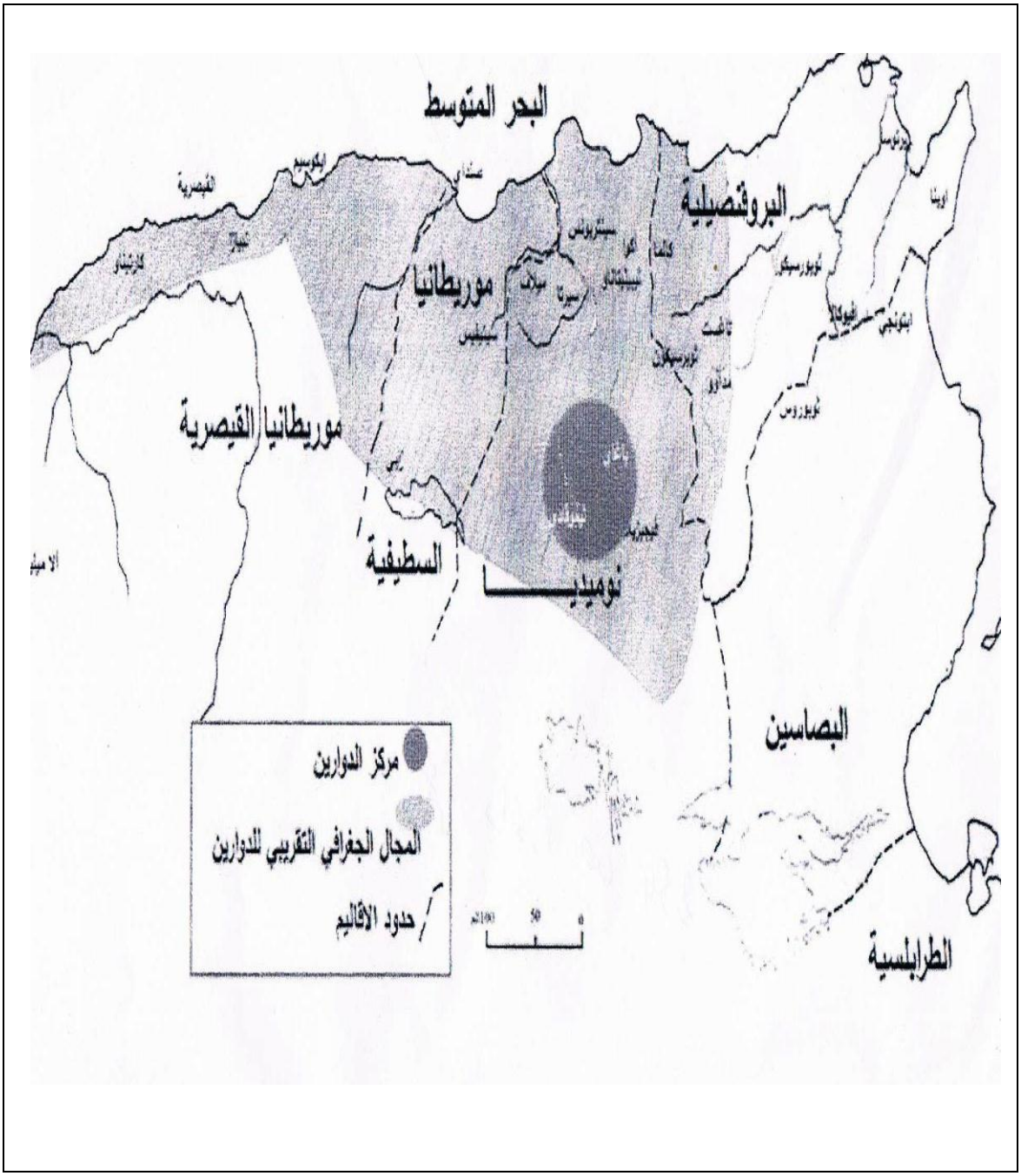

الشكل رقم73: خريطة تبين مناطق تواجد الدوراون بكثافة

المصدر: عمران عبد الحميد، المرجع السابق، ص، 254.

(1) M. Poujoulat, op cit , p,538.
(2) ibid, p,309.

2-5-تشويه الكنيسة الكاثوليكية للحركة الدوناتية بسبب تحالفها مع الدوارين:

لم تترك الكنيسة الكاثوليكية فرصة لتشويه الحركة الدوناتية إلا واستخدمتها، فيما يبدو تبرير لهرطقتها وافشال طموحاتها في النجاح بشمال افريقيا، وخصوصا أوغسطين الذي خاض معركة جدلية ودعائية كبيرة ضد الدوناتية[1] ويمكن أن نخلص إلى أن التحالف بين الدوناتيين والدوارون استخدمته الكنيسة الكاثوليكية كذريعة لتشويه خصومها من الدوناتيين بناء على عدة جوانب:

أ-الصاق تهمة العنف بالحركة الدوناتية: حاولت الكنيسة الكاثوليكية احراج الدوناتيين بتحميلهم مسؤولية العنف الذي مارسه الدوارون مدعين أن الدوناتيين هم الذين ينظمون حركتهم وهي حجة قوية استخدمها رجال الدين الكاثوليك على رأسهم أوبطا الميلي وأوغسطين،[2] ولعل وصفهم لأساليب الدوارون بأبشع الصفات يدخل في هذا الإطار، ففي رأيهم هم مجموعة من العصابات والأفراد الطائشين التي لا يحكمها قانون تتعدى على راحة الأبرياء بالنهب والضرب بالهراوات والحرائق ونشر الذعر على مستوى الطرقات بعد أن كانت آمنة وتحويل الأسياد إلى عبيد[3]، وقد ربط أوغسطين بطريقة مباشرة بين الحركة الدوناتية وعنف الدوارين محملا مسؤوليته للحركة الدوناتية متهكما منهم عندما اعتبروا أنفسهم أنهم قد عانوا من اضطهاد الأباطرة الكاثوليك وها هم يمارسون اضطهاد أكثر عنف منه وبلا قانون عكس الأباطرة الذين مارسوه بالقانون، وهذا حسب رأي أوغسطين.[4]

وهذا العنف حسب أوغسطين أدى إلى فرار الأساقفة الكاثوليك من مناطق كثيرة في الأرياف ففقدوا وظائفهم وهذا كله يعتبر تقويض لمبادئ السلام والوحدة بين المسيحيين، كما يبدو أن هذا الادعاء خطابا موجها إلى الدوناتيون بسبب تحالفهم مع حركة الدوارين،[5] هذا الخطاب يحمل في طياته كشف التناقض الذي يعيش فيه الدوناتيين فمن جهة يعتبرون أنفسهم أصحاب مبادئ وعدالة وقيم ومن جهة أخرى يتسامحون مع عنف الدوارين.[6]

(1) Bruno Pottier, op cit, p,36.

(2) Lepelley Claude,op cit, p, p, 261,262.

(3) بيار هادو وميشال مسلان، المرجع السابق، ص،458.

(4) محمد المبكر، شمال افريقيا القديم، حركة الدوارين وعلاقتها بالدوناتية، المرجع السابق، ص، 285.

(5) F.Martroye, op cit , p , p, 31,32.

(6) M. Poujoulat , op cit, p, 305.

كما أن إلصاق تهمة العنف بالحركة الدوناتية بسبب تحالفها مع الدوارين كان له صدى كبير لدى السلطة الرومانية التي نصبت نفسها حامية للكنيسة الكاثوليكية في مواجهة عصابات الدوارين فالمحاكمات لأتباع هذه العصابات والعقوبات ضدهم استمرت وهنا نعتبر أن جزء من تصفية الحسابات بين السلطة الرومانية والحركة الدوناتية كان حاضرا في تلك المحاكمات.[1]

ورفض أوغسطين كل ادعاءات الأساقفة الدوناتيين بعدم تورطهم مع زعماء عصابات الدوارين واصفا تلك الادعاءات بالوقاحة، ومعتبرا استخدام الدوارين لاسم دوناتوس في أعمالهم الدليل الكافي لوجود علاقة مع كنيستهم، ويبدو أن أوغسطين ألصق بهم كل أعمال العنف التي تقع في افريقيا، فما من عنف حدث فيها إلا ومصدره الحركة الدوناتية وهنا يبدو اصرار منه على توريط الدوناتيين مستغلا صراعه الجدلي معهم .[2] وهذا الخلط بين الحركتين (الدوناتية والدوارون) في أدبيات الكنيسة الافريقية وضعهما في كفة واحدة أي أنه لا فرق بين الحركة الدوناتية التي انطلقت من مفاهيم دينية وبين بعض الدوارون الذين استخدموا العنف ربما لضغوط اقتصادية واجتماعية، وهذا ما يستنتج من خلال بعض الكتابات الحديثة التي حاولت نقل تلك الصورة القديمة وتحليلها فيما يبدو انطلاقا من دوافع ايديولوجية،[3] فجون لوريمر ينسب الأعمال " الإرهابية" في افريقيا إلى الحركة الدوناتية دون ذكر اسم الدوارون أصلا.[4]

ومن السهل أيضا أن يحكم كريستين بريتو (Christine Prieto) على أن العنف الذي عرفته افريقيا منذ 340 م كان الدوناتيون مسؤولون عنه بالنظر إلى أنهم سلحوا مجموعة من المزارعين في شكل عصابات قامت بجرائم كثيرة،[5] وكذلك يبدو أنهم بالغوا كثيرا في تشويه الدوارين أو حتى في التعميم على حركتهم فهم عند أخرون مجرد متشردين دون بيوت ثابتة ولا يعيشون إلا من خلال السرقة وهذا حتى من دون البحث عن الأسباب التي أدت إلى تلك الأفعال،[6] للإشارة أن التعميم على الحركة الدوناتية الذي نتكلم عنه هو أن البعض حاول أن يقسم تاريخ الحركة الدوناتية إلى قسمين: الأول مسالم ومتمسك بالعقيدة المسيحية والمبادئ الأخلاقية، في حين أن القسم الأخر لجأ إلى العنف والقوة وهو برأيهم كان يتكون من العبيد الذين لا يملكون

(1) F.Martroye, op cit, p, 36.

(2) محمد المبكر، حركة الدوارون وعلاقتها بالدوناتية، المرجع السابق،ص، ص،286، 296

(3) Paul Monceaux, Histoire litéraire de l'Afrique Chéritienne, op cit,p,32.

(4) جون لوريمر، تاريخ الكنيسة، ج3، دار الثقافة، القاهرة، ص، 194

(5) Op cit , p, 15.

(6) F.Martroye, op cit , p, 397.

غير أجسادهم وهذا التقسيم قد يدفعنا إلى القول بأن هناك جناحين للحركة الدوناتية: معتدل ومتشدد واذا افترضنا بصحة آراءهم فنعتبر هنا أن حركة الدواورن هو الجناح المتشدد المقصود،[1] أما محمد الحبيب بشاري الذي درس الأوضاع الاقتصادية للامبراطورية الرومانية خلال القرن الرابع الميلادي فلا يعتبر أعمال الدواورن عنفا بقدر ما يعتبره ثورة شعبية ناقمة لسوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وهو رأي معقول لأنه لا يمكن الحكم على عنف الدواورن والدوناتيون بالتشدد والتطرف من دون معرفة ظروفهم أو معرفة عنف الإمبراطورية الرومانية في المقابل الذي يبدو أنهم هي من دفعتهم لتلك الأفعال،[2] فقد وصل الوضع إلى تخلي الفلاحين عن حريتهم لصالح ملاك الأراضي بعد أن دفعهم الفقر وتراكم الدين إلى ذلك [3]، وهذا الموقف يثبته ما كان يحدث في الكنائس الإفريقية خلال القرن الرابع الميلادي من توزيع الصدقات الإمبراطورية على الفقراء، وحثهم على العودة إلى وحدة الكنيسة وتجنب الانشقاق بما يعني قطع الطريق عن الحركة الدوناتية من استقطاب هؤلاء الفقراء لصالحها.[4]

ويبدو أن هؤلاء المؤرخون حاولوا وضع الأعمال التي قام بها الدواورن في كفة واحدة مع العنف الذي أحدثه البرابرة الوندال وقد يكون الهدف منه تحسين وجه الحضارة الرومانية وتصوير تلك الحركات المعارضة وكأنها في مواجهة الحضارة الرومانية.[5]

ب- ظاهرة " الانتحار" وتشويه صورة الحركة الدوناتية: بعد أن ربطت الكنيسة الكاثوليكية بين الحركة الدوناتية وحركة الدواورن بحكم أنهما جزء لا يتجزأ واستخدمت عنف الدواورن كوسيلة لتشويه سمعة الحركة الدوناتية، انتقلت إلى استخدام ظاهرة الموت الطوعي الذي عرف عند الدواورن والذي كان يعادل الشهادة عندهم، جعل من الكنيسة الكاثوليكية إلى استخدامه كحجة أخرى قوية لتشويه سمعة الحركة الدوناتية.[6]

تسمى هذه الظاهرة في مفهوم الدواورن ب" الشهادة" في إشارة إلى ارتباطها بالمعتقد الديني فقد كانوا يطلبونها بشكل طوعي ولو بقتل أنفسهم، وهي ظاهرة موجودة في النصوص الأغسطينية التي تورد بأنها كانت

(1) جميل الحمداوي، الديانة عند الأمازيغيين، شبكة الألوكة، د.م، د.ت، ص، ص، 13، 14

(2) محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص، 247.

(3) Pierre Gacic , op cit, p, 652.

(4) M. Poujoulat, op cit, p, 309.

(5) Paul Monceaux, Histoire litéraire de l'Afrique Chéritienne, op cit,p, 98.

(6) Lepelley Claude, op cit, p,262.

عادة يومية وعادية بأشكال عديدة كإلقاء النفس من أعلى الجبال أو حرقها حتى الموت أو اغراقها أو الاندفاع نحو المواجهات من أجل الموت الذي يحقق لهم الشهادة.[1]، غير أن هناك من يرى أن هذه الظاهرة قديمة تعود إلى مخلفات الوثنية القديمة في بلاد المغرب القديم المعروفة ب " ظاهرة التضحية البشرية" حيث كان تقديم القرابين البشرية للآلهة عادة منتشرة، وهذا التفسير يذهب إلى أن السكان الأصليين أدخلوا عاداتهم وتقاليدهم البونيقية إلى الديانة المسيحية وهو ما انعكس على حركة الدوارون التي تمثل تفكير السكان الأصليين للمغرب القديم،[2] وقد ظلت ظاهرة التضحية البشرية مستمرة في إفريقيا حتى في عصر ترتيليان.[3]

وكان "للشهيد" قدسية خاصة في الكنيسة بصفة عامة، فالكنائس الكاثوليكية كانت تعتمد أيام سنوية لإحياء ذكرى " الشهداء" ولكن من وجهة نظرها فإن " الشهادة" تتعلق بمن ماتوا اضطهادا أو تعذيبا من قبل الآخرين دفاعا عن الديانة المسيحية مثل " شهداء" فترة الاضطهادات المعروفة في الإمبراطورية الرومانية [*]، ومن هنا نعتقد أن ظاهرة " الشهادة بقتل النفس" لم تكن منتشرة في المذهب الكاثوليكي.[4]

أما بالنسبة إلى الدوناتيين فإن عقيدة " قتل النفس" ينظرون إليها على أساس أنها "شهادة" وهي جزء من عمل الكنيسة ووسيلة لإرضاء الله لأنها دفاع عن الحق في الوقت الذي لا تتوفر فيه وسيلة أخرى مقابل كل الوسائل التي كانت في يد خصومهم، ونعتقد أن هذه الوسيلة لا يصل إليها الفرد إلا حينما تغيب الوسائل الأخرى وحينما يعيش في احتقان ويأس من الحياة [5].

أيضا تذكر النصوص أن تقديس الشهداء عند الدوناتيون والدوارون كان كبيرا حتى أنهم كانوا يقضون وقتا طويلا في الترحم على الشهداء وزيارة أضرحتهم والمكوث عندها، و هذا ما يعطي حماسا لكل من يطلب الشهادة بالنظر إلى كل هذا التقديس للشهيد في معتقد أتباع الحركة الدوناتية [6]، وحتى المصطلح الذي أطلقه الدوارون على أنفسهم يدل على معنى " الشهادة"، فمصطلح (agonistici) كان يعني " مقاتلي الله" وهو ما

---

(1) محمد المبكر، شمال افريقيا القديم، حركة الدوارين وعلاقتها بالدوناتية، المرجع السابق، ص، ص، 151، 152.

(2) Lepelley Claude, op cit, p, p, 267-269.

(3) محمد البشير، المرجع السابق، ص، 373.

[*] نلاحظ في المواقع الأثرية المسيحية بالشرق الجزائري نقوش كثيرة تحمل أسماء شهداء إفريقيا بالمفهوم المسيحي وهذا يدل على مكانة "الشهادة" في الكنيسة الإفريقية والدوناتية على حد سواء أنظر، Hippolyte Delehaye, Les origines du culte des martyrs, Bruxelles, société des bollandistes, 1912, p,p, 449, 450. Bureaux de la

(4) ibid, p, 436.

(5) , op cit , p, 270.

(6) محمد المبكر، شمال افريقيا القديم، حركة الدوارين وعلاقتها بالدوناتية، المرجع السابق، ص، 151.

يفسر استعدادهم للتضحية في سبيل الله.[1] ويظهر ذلك أيضا من خلال الجدل الذي عرف بإفريقيا خلال القرن الرابع الميلادي حول تفشي ظاهرة الانتحار حتى عند كبار الأساقفة الدوناتيين ومنهم الأسقف ماركلوس "Marculus" الذي هلك بعد صدور قانون الوحدة سنة 347 م والذي دعى إلى تطبيق قوانين صارمة ضد الدوناتيين، وكان من ضحايا هذه الصرامة الأسقف ماركلوس الذي احتجزته السلطات الرومانية وطوف به المدن النوميدية حتى ألقى حتفه، وهنا أشاعت روايات الكاثوليك بأن موته كان " انتحار " بإلقاء نفسه من أعلى الجبل ،[2] كما أن الأسقف الدوناتي لتيمقاد غودونتيوس (Gaudentius) هدد هو ومجموعة من أتباعه (حوالي 154) بإحراق كنيستهم والاحتراق فيها، وهو ما يبدو على أن تفكيرهم ذلك كانت تدفعه فكرة "الشهادة" . [3]

الشكل رقم 74: ذكرى تخليد الشهيد ماركلوس (كنيسة فغليسا)

(1) Bruno Pottier, Les circoncellions. Un mouvement ascétique, op cit, p, 46 .

(2) محمد المبكر، شمال افريقيا القديم، حركة الدوارين وعلاقتها بالدوناتية، المرجع السابق، ، ص، 155.

(3) نفسه، ص، 141.

المصـــــــــــدر: http://www.inumiden.com/marculus-celebre-martyre-donatiste-de-numidie

ويبدو أن العمليات " الاستشهادية" التي قام بها الدوارون لم تكن ضد خصومهم الكاثوليك فقط بل أيضا ضد الوثنيين وضد الكهنة الدوناتيون الذين تحولوا إلى الكاثوليكية ومن هنا يظهر الحماس الكبير في الدفاع عن المذهب في منظورهم والذي يتم حتى بالتضحية بالنفس.(1)

غير أن برينو بوتيي يرى أن هذه الظاهرة لم تكن مقبولة في عموم الكنيسة الدوناتية، وما حدث ما هو إلا حالات يبدو أنها تدل على صعوبة العيش واليأس الذي كان سائدا في نفوس الكثير من الفقراء،(2) وهناك رجال دين دوناتيين عارضوا هذه الظاهرة واعتبروها نوع من الخرافية وكتبوا عنها منتقدين مثل هذه التصرفات من بينهم تيشينيوس (Tychonius).(3)

بينما الكنيسة الافريقية ترى على العكس من ذلك ، فظاهرة " قتل النفس" كانت منتشرة بشكل واسع في أوساط الدوناتيون والدوارون وأن الآلاف منهم استخدموا أساليب كثيرة لمفارقة الحياة مثل الحرق بالنار،(4) والتدحرج من المرتفعات والغرق في الأنهار، أو حتى الاندفاع ضد أعداءهم والموت على أيديهم (5) ، بل وإجبار الآخرين على قتلهم، وهي أساليب في رأي الكنيسة الافريقية تعبر عن سياسة تبرير لرد الفعل مقابل ما يتعرض له الدوارون والدوناتيون من اضطهاد حسب زعمهم وأن أسلوب العنف هذا هددوا حتى القضاة به، وهذا في حد ذاته اضطهادا في رأي رجال الدين الكاثوليك.(6) ويبدو أن ظاهرة " الاستشهاد الإرادي" خلقت مشكلة كبيرة للكنيسة فمن جهة يدعي منفذيها أنهم يقومون بها دفاعا عن دينهم ومن جهة أخرى تظهر تلك الممارسات على أنها غير مقبولة ونوع من الانحرافات التي تؤدي بالشخص إلى فقدان أغلى ما يملك وهو " الحياة".(7)

كما أن الكنيسة الإفريقية وعلى رأسها أوغسطين تعتبر أن الهراطقة مجرمين ضد الكنيسة الحقيقية ويترتب على ذلك أن موتهم بالإضطهاد لا يعتبر "شهادة"(8)، فأوغسطين علق على حادثة قتل بعض الدوارين قرب قرية أوكتافا (Octava) عام 340 م من قبل الجيش الروماني معتبرا أن تمجيد الدوناتيين للضحايا وإقامة شعائر

(1) Bruno Pottier, , Les circoncelions, Formation d'une élite rurale monastique, op cit, p, 35.
(2) ibid, p, 51.
(3) Bruno Pottier, Les circoncellions. Un mouvement ascétique, op cit, p, 71.
(4) Saint Augustin, Réfutation De la doctrine de Gaudentius, Trad,l'abbé Burleraux, Guérin & Cie, éditeurs, 1869, XXXIII, 660.
(5) Francois Martroye, op cit, p, 18.
(6) محمد المبكر، شمال افريقيا القديم، حركة الدوارين وعلاقتها بالدوناتية، المرجع السابق، ص، 156، 159.
(7) Bruno Pottier, Les circoncellions. Un mouvement ascétique, op cit, p, 52.
(8) Robert Joly, op cit, p, 287.

دفن تشبه تلك المعروفة في زمن الاضطهادات، ذلك في نظره ليس مقبول .[2] ومن هذا المنطلق نجد أن الكنيسة الإفريقية استخدمت أساليب " قتل النفس" عند الدوارون والدوناتيون كحجة قوية لتشويه سمعتهم واعتبار أن الانتحار لا يشوه الحركة الدوناتية فقط بل الديانة المسيحية ككل[3] ، وهو الرأي الذي يذهب إليه محمد المبكر فمن وجهة نظره أن الهدف من تضخيم هذه الظاهرة هو محاولة توريط الدوناتيون وتصوير كنيستهم على أنها كنيسة عنف، وأن هذا العنف لم يقتصر على الآخرين فقط بل وجه حتى على النفس.[4]

ج-الصاق صفة الجهل بالحركة الدوناتية: من خلال تتبع كتابات رجال الدين الكاثوليك نجد أنهم نظروا نظرة استعلائية مقابل نظرائهم من الدوناتيين فصوروهم بأنهم أقل شأنا منهم في المعرفة بل وصل الأمر بهم إلى نعتهم بالجهلة وأن تعميد المسيحيين من قبل الدوناتيين هو باطل[5]، وقد تكون عقدة التفوق هذه عند الكنيسة الكاثوليكية بإفريقيا منشأها معرفة رجالاتها للغة اللاتينية والثقافة الرومانية، في حين أن الدوناتيين والدوارون كانوا قليلي المعرفة بها وفي احدى النصوص نجد أوغسطين ينعت " الدوارون" بالمتبربرين وإذا ما أسقطنا هذا المصطلح على مفهومه نجد أن أوغسطين يعيب عليهم عدم ترومنهم، وهذا يفهم منه أيضا أن في عصره من يفهم اللغة اللاتينية هو الأكثر معرفة من غيره[6] ، وفي هذا الصدد نجد أن بعض الأساقفة الدوناتيين كانوا يطلبون ترجمة الرسائل التي تردهم من قبل نظرائهم الكاثوليك إلى اللغة البونيقية مثل أسقف كالاما (قالمة) كريسبنيوس(Crispinus) الذي طلب ذلك لما رد عليه أوغسطين رسالة ينتقد فيها الدوناتيين .[7]

ونجد في النصوص الكاثوليكية التي تتحدث عن الدوارون عبارات تشير إلى قسوتهم وقلة ثقافتهم وبلاهتم، ويبدو أن تلك النصوص انطلقت من منطلق عدم تجاوبهم مع الثقافة الرومانية فأسقطوا مفهوم الرومان على التحضر على هؤلاء الرافضين لثقافتهم.[8]

---

[2] محمد البشير شنيتي ، المرجع السابق، ص، 373.

[3] Lepelley Claude, op cit, p,262.

[4] محمد المبكر، شمال افريقيا القديم، حركة الدوارين وعلاقتها بالدوناتية، المرجع السابق، ص، 163.

[5] هنري تشادويك، المرجع السابق، ص، 97 .

[6] محمد المبكر، شمال افريقيا القديم، حركة الدوارين وعلاقتها بالدوناتية، المرجع السابق، ص، 301.

[7] Paul Monceaux, Histoire litéraire de l'Afrique Chéritienne, op cit,p, 121.

[8] محمد المبكر، شمال افريقيا القديم، حركة الدوارين وعلاقتها بالدوناتية، المرجع السابق، ص،94.

كذلك نفهم من خلال المصطلحات التي يستخدمها أوغسطين ضد الدوناتيين والدوارون بأنه حاول تكريس صفة الجهل المرتبطة بهما، ومن بين هذه المصطلحات: الحماقة والغباء والجنون أحيانا كثيرة [1]، ونجد أن أوغسطين أحيانا كثيرة لما يتكلم عن أفعال الدوارون ينسبها للأساقفة الدوناتيين حتى أنواع السباب والشتائم،[2] كما نسب أمور غير أخلاقية للدوارين كتعاطي الخمور في الشوارع والتجول في الشوارع ليلا وممارسة الرذائل الأخلاقية مع النساء ويبدو أن كل هذا القصد منه تشويه صورة الحركة الدوناتية.[3]

3/علاقة الحركة الدوناتية بثورتي فيرموس وجيلدون:

يبدو أن كل الثورات التي قامت في القرن الرابع الميلادي ضد الإمبراطورية الرومانية نسبتها الإمبراطورية الرومانية والكنيسة الإفريقية إلى الحركة الدوناتية، ونسبة ذلك لهذه الحركة يبدو أنه كان من وجهة الاتهامات فقط في إطار الصراع القائم بين الكنيستين الافريقية والدوناتية ومدى ارتباط الأطراف الأخرى بهما.[4]

وهذه الاتهامات الموجهة للحركة الدوناتية تتلخص في كونها حركة كانت تستغل الثورات لتحقيق أهدافها التي رسمتها للانتقام من الامبراطورية الرومانية والكنيسة الإفريقية المتحالفة معها وانطلاقا من هذا تظهر الكنيسة الدوناتية وكأنها كنيسة تستغل الدين وتحرض المجتمع على الفوضى والتمرد لإثبات وجودها الذي منعته السلطة الرومانية أصلا بالقانون وهذا كله لا يدخل إلا في اطار حملة التشويه التي أشرنا إليها في السابق.[5]

3-1-من هو فيرموس: هو أمير موري ينتمي إلى عائلة من النبلاء كانت تتمتع بنفوذ قوي بين موريتانيا القيصرية وأوزية وصلداي وحسب ما تذكر المصادر أن له إخوة كثر : ساماك (Sammac) ومازوكان(Mazucan) وجيلدون (Gildon) و ماكيزيزل (Mascezel) وديوس (Dius)،[6] ويجب أن نشير هنا إلى أن ضعف الإمبراطورية الرومانية في القرنين الثالث والرابع الميلاديين أفرز ممالك محلية قوية متحالفة مع

(1) Saint Augustin, Réfutation De la doctrine de Gaudentius, op cit , VII,646,XXIX,658.

(2) محمد المبكر، شمال افريقيا القديم، حركة الدوارين وعلاقتها بالدوناتية، المرجع السابق، ص، 99

(3) Augustin, Contra Litteras Petiliani Donatistae Cirtensis Episcopi, op cit, 89, 195.

(4) Paul Monceaux, Histoire litéraire de l'Afrique Chéritienne, op cit,p, 191.

(5) Ibid, p, p, 190, 191.

(6) Hélène Ménard, Discours de la violence, violence du discours : réalités et stéréotypes dans la Passionde sainte Salsa de Tipasa,2013, https://halshs.archives-ouvertes.fr/halshs-00807045,p,09.

الرومان أحيانا وحاملة لواء الثورة والاستقلال أحيانا أخرى وهذا في إشارة للإمارة التي أسستها عائلة فيرموس هي احدى تلك الممالك.[1]

لكن المؤرخ القديم أميانوس مارسلان يرى أن وجود إخوة كثر لفيرموس أدى إلى صراع بينهم حول الحكم بعد وفاة أبوهم نيبال (Nubel) وعقد تحالفات ضد بعضهم البعض،[2] فوقفت القبائل المورية في صف فيرموس رافعين لواء التحرر من السلطة الرومانية وتأسيس مملكة مستقلة بزعامته.[3]

ويبدو أن الانتقام أو الدافع الشخصي لفيرموس لم يكن الوحيد لإعلان ثورته إنما يضاف إليه أيضا المشاعر الدينية المحلية والمطالبة بالاستقلال عن الإمبراطورية الرومانية وهي كلها أسباب قوية جعلت القبائل المورية تلتف حوله في إطار صراع قوي مع الإمبراطورية الرومانية،[4] هذا الصراع امتد من تيبازا إلى شرشال إلى الشلف و ايكوزيوم (مدينة الجزائر الحالية) وشملت حتى منطقة القبائل و الأوراس وأجزاء من نوميديا مما يبين تنوع القبائل والمناطق التي انضمت إليه واستمرت ثورته لثلاث سنوات من 372م حتى القضاء عليها من قبل الجيش الروماني سنة 375م.[5]

3-2-الحركة الدوناتية وثورة فيرموس: أشرنا سابقا إلى أن المشاعر الدينية لفيرموس كانت من بين الأسباب التي أدت إلى ثورته وتتمثل هذه المشاعر في مناصرته للمذهب الدوناتي وانطلاقا من ذلك طلب من الدوناتيون مناصرته وتمكن بفضلهم من تحقيق تحالف بين الكثير من القبائل البربرية متجاوزين بذلك الحساسيات القبلية.[6]

ومن هنا يبدو أن الحركة الدوناتية هي التي ساعدت فيرموس في اعطاءه شرعية عند كل القبائل الأمازيغية التي انضمت إليه وهذا المنطلق يدل على أن قوة الحركة الدوناتية كانت أعلى من قوة التحالفات

---

(1) عبد القادر شريف، الممالك البربرية وسياسة التحالف في مقاومة المستعمر الوندالي والبيزنطي (إقليم الأوراس أنموذجا)، أشغال الملتقى الوطني الرابع: الأوراس عبر التاريخ، منشورات المتحف الوطني العمومي، خنشلة 2016، ص، ص، 98، 99.

(2) Ammien Marcellin, Histoire de Rome, Paris, Firmin Didot, 1860 , XXIX, 5,2.

(3) عمران عبد الحميد، الديانة المسيحية في المغرب القديم...، المرجع السابق، ص، 266.

(4) René Cagnat, L'armée Rpmaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les Empereues, E. Leroux, 1912, p, 80.

(5) عمران عبد الحميد، الديانة المسيحية في المغرب القديم...، المرجع السابق، ص، 268، 269.

(6) عثمان سعدي، الأب دونا...، المرجع السابق، ص، 224.

القبلية والحكام المحليين المستقلين فهي السلطة الروحية الوحيدة التي كان بإمكانها اعطاء شرعية للحكام أو الأمراء المحليين وذلك بدعوة مناصريها للانضمام لهم دون الأخذ بعين الاعتبار الصراعات القبلية.[1]

ومما يفسر تحالف الدوناتيون مع فيرموس واعطاءه شرعية القيادة أن الكثير ممن انضموا إليه وتعاطفوا معه كانوا لا يؤيدون المذهب الكاثوليكي ونظروا إلى هذا الأخير وكأنه دين روماني وليس دين السكان المحليين وهذه النظرة المشتركة أشرنا إليها في السابق واعتبرناها احدى نقاط الخلاف الأساسية بين الكنيسة الدوناتية والكنيسة الإفريقية،[2] كما أن تيبازا التي انطلق منها فيرموس كان نفوذ الحركة الدوناتية بها قويا ومؤثرا وهذا كمثال فقط لأن نفوذ الحركة الدوناتية في عصرها الذهبي كان شاملا لبلاد المغرب القديم. [3]

ولعل تحرك أوغسطين في رحلة نحو موريتانيا القيصرية سنوات 418 م و419 م هو معرفته المسبقة بقوة الحركة الدوناتية فيها وأنها كانت محرك فعلي لكل الثورات والانتفاضات ضد الاحتلال الروماني فكان هدفه من تلك الرحلة استئصال الفكر الدوناتي من نفوس مناصريه.[4]

ويرى مونصو أن التحالف بين فيرموس والدوناتية أمر له دلالة مصلحية على الطرفين فالكل رأى أن بإمكانه تحقيق هدفه، فالبنسبة لفيرموس كان يهدف إلى تحقيق طموحه المتمثل في خلق مملكة محلية مستقلة ويكون ملكا عليها،[5] وهذه الطموحات التي يهدف فيرموس إلى تحقيقها تشبه تلك الحركات المورية القديمة الطامحة للمحافظة على الاستقلال السياسي وعدم الخضوع للرومان، حتى وإن كان البعض منها خضع للرومان بطريقة غير مباشرة وتمكن من الحفاظ على مملتكه، فليس من المستبعد أن فيرموس أراد استعادة أملاك أسلافه من الموريين.[6]

أما الطرف الثاني في هذا التحالف وهو الحركة الدوناتية فيرى مونصو أن طموحاته تتمثل في محاولة توحيد الكنيسة الدوناتية في مواجهة الإمبراطورية الرومانية التي منعت وجودها وأصدرت مجموعة قوانين قاسية ضدها، فلجأت إلى التحالف مع الثورات واستغلالها لصالحها ويبدو أنها استخدمتها كجناح عسكري، وينبغي الإشارة هنا إلى أن تدمير جنود فيرموس للكنائس الكاثوليكية في إطار حركتهم كان بتلقي أوامر من الكنيسة

(1) Souvenirs de l'ancienne église d'Afrique,op cit, p, 37.
(2) F.Martroye, op cit, p, p, 10,11.
(3) Jean Baradez, Tipaza Ville antique de Maurétanie, Alger , presses de l'Imprimerie Officielle à Alger, 1952,p , 19.
(4) Saint augustin et Maurétanie Césarienne, op cit,p,48
(5) Paul Monceaux, Histoire litéraire de l'Afrique Chéritienne, op cit,p, 190.
(6) Souvenirs de l'ancienne église d'Afrique,op cit, p, 30.

الدوناتية،[1] كما نشير أيضا إلى أن الإمبراطور غراتيان (Gratien) أصدر أمر سنة 376 م بتجديد منع المذهب الدوناتي أي بعد نهاية ثورة فيرموس مباشرة، هذا يدل على مشاركة الحركة الدوناتية بصفة قوية في ثورة فيرموس، فتجديد المراسيم التي تحدد منع الحركة الدوناتية من وقت إلى أخر رغم وجود مراسيم سابقة يدل على القلاقل والشعبية الكبيرة التي استغلتها الحركة الدوناتية لدعم الثورات ضد الوجود الروماني في أنحاء المغرب القديم.[2]

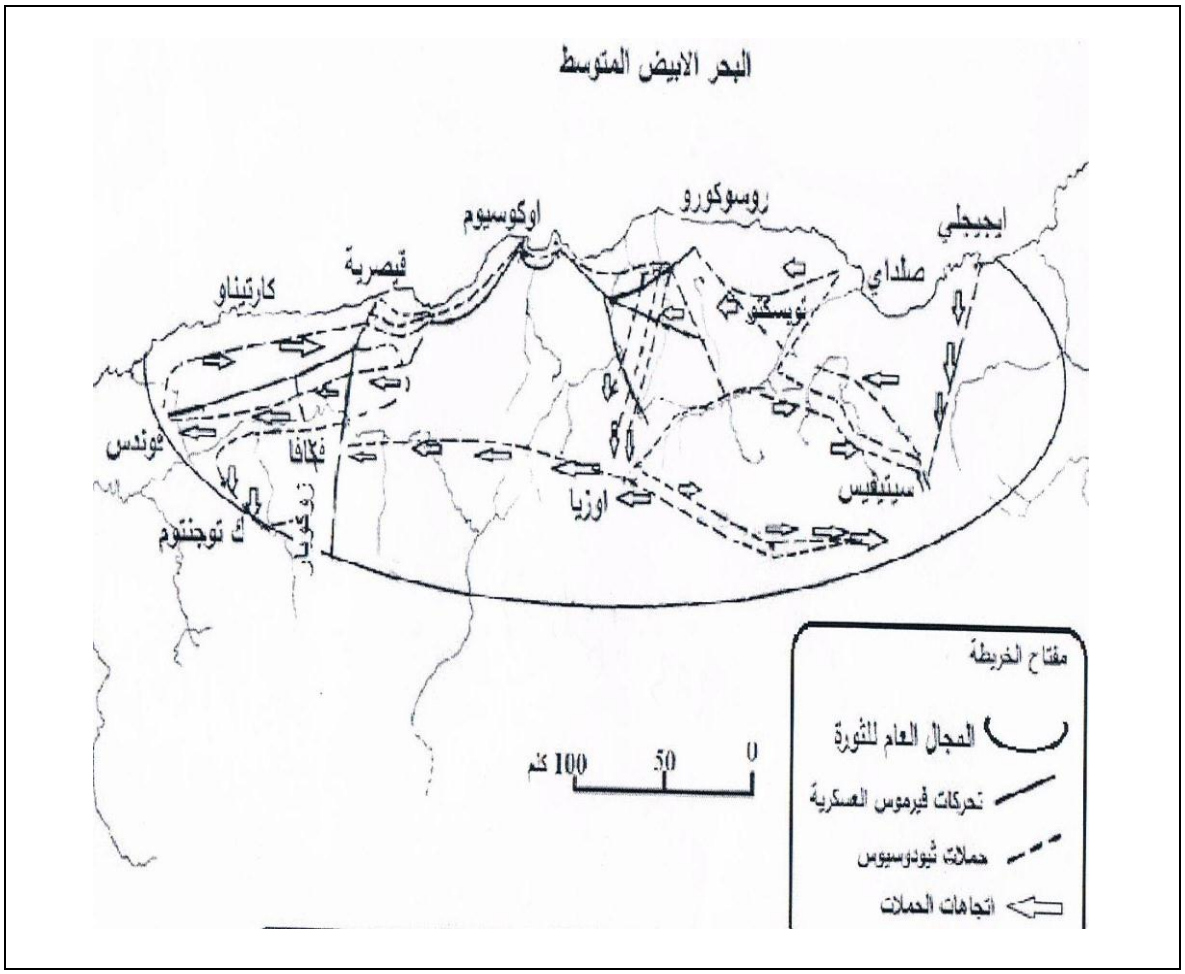

الشكل رقم75: خريطة تبين نطاق انتشار ثورة فيرموس

المصدر: عمران عبد الحميد، المرجع السابق، ص، 273.

(1) Paul Monceaux, Histoire litéraire de l'Afrique Chéritienne, op cit,p,p, 190, 451.

(2) عثمان سعدي، الأب دونا...، المرجع السابق، ص،225.

3-3-الحركة الدوناتية وجيلدون: كما أشرنا في السابق أن الحركة الدوناتية في بلاد المغرب القديم يبدو أنها وجدت في الثورات فرصة لإنقاذ كنيستها من الزوال وقد جاء الدور للتحالف مع حركة جيلدون.

أ-من هو جيلدون: هو أحد أخوة فيرموس الذين تركتهم عائلة نوبيل المورية وأشرنا في السابق إلى عمق الخلافات بين هؤلاء الإخوة حول الملك الكبير والنفوذ الذي كانت تحظى بهم عائلته،[1] ومن مظاهر عمق هذه الخلافات أن جيلدون تحالف مع الرومان في بداية الأمر مع الرومان ضد أخيه فيرموس ودخل في نسب مع العائلة الملكية في روما عن طريق ما يعبر عنه " بالزواج السياسي" فقد تزوجت ابنة جيلدون "سلفينا" (Salvina) في القسطنطينية من أحد أقارب الإمبراطور تيودور ليكون هذا الزواج سببا في تورط جيلدون بعمالته للرومان وليساهم في هزيمة أخيه فيرموس فالرومان والبيزنطيين معروفين باستغلال المصاهرات العائلية في القضايا السياسية والعسكرية .[1]

وهنا برأي البعض لا يمكن التركيز على هذه العمالة التي تورط فيها جيلدون بقدر ما هي حيلة سياسية لجأ إليها بعد أن أدرك أن أخوه فيرموس لا يستطيع الصمود أمام الجيوش الرومانية فقرر التضحية به في سبيل ابقاء إرث العائلة الملكي لذلك تظاهر في بداية الأمر باستعداده للتعاون مع السلطة الرومانية، هذه الأخير عينته كونط لإفريقيا سنة 386 م ،[2] وإلا من غير ذلك فقد كان جيلدون ثوريا منذ البداية فقد استخدم سلاح القمح في كل مرة ضد الإمبراطورية الرومانية برفض مدها به أو بتقليص امدادته لهذه المادة الحيوية في الإمبراطورية الرومانية وتردده المستمر في مواقفه يبدو أنه أسلوب سياسي مرحلي كان يكشف به تطورات الإمبراطورية الرومانية الداخلية.[3]

ويبدو أن التخطيط المرحلي للثورة في نظر جيلدون كان له أثر ايجابي على سكان المغرب القديم من الناحية المعيشية فانخفضت أسعار القمح بعد أن توفرت في بلاد المغرب القديم نتيجة لتقليص تحويلها إلى

(1) Hélène Ménard, op cit, p, 09.

(2) عبد المجيد عمران، الحركة الدوناتية...، المرجع السابق، ص، 157

(3) عثمان سعدي، الأب دونا...، المرجع السابق، ص،225.

(4) محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص، ص، 249، 250.

أوروبا، في المقابل أحست الإمبراطورية الرومانية بالضرر مما أدى بها إلى التحرك من أجل مصالحها فهي لا تتخلى عن القمح الافريقي في وقت اشتدت فيه الأزمات الاقتصادية.[1]

ويبدو من خلال الأحداث السابقة أن جيلدون استخدم أسلوب المناورة في وجه الرومان لمدة عشرين سنة (376 م- 396 م) ليعلن ثورته في الأخير الهادفة إلى تخليص سكان بلاد المغرب القديم من الهيمنة الرومانية مستغلا الظروف السياسية والعسكرية والاقتصادية التي كانت تمر بها الإمبراطورية الرومانية خلال هذه المدة على رأسها خطر الجرمان وضعف أباطرتها وتقلص سلطاتهم المركزية.[2]

ب-علاقة الدوناتية بثورة جيلدون: لا تخلو ثورة جيلدون من المولاة للكنيسة الدوناتية فبصمة هذه الكنيسة واضحة[3]، رغم كون جيلدون لم يكن مسيحيا أصلا فقد كان وثنيا ولم تصلنا معلومات من خلال المصادر عن اعتناقه الديانة المسيحية [4].

وهذا قد يدخل في إطار الأساليب السياسية التي تفطن إليها جيلدون فهو بحاجة إلى المناصرين الدوناتيين الذي يملكون قوة كبيرة وباستطاعتهم الموت في سبيل الكنيسة الدوناتية والدوناتيون بحاجة إلى جيلدون من أجل حمايتهم بصفته أمير ووريث لعائلة مورية قوية، وهنا كانت مصالح الطرفين مشتركة[5].

وفي سبيل تحقيق هذه المصلحة المشتركة بين الدوناتيين ومناصري جيلدون وقف كبار الأساقفة الدوناتيين إلى جانب جيلدون من بينهم أسقف تيمقاد أبطاطوس التيموقادي (Optatus Thamugadi)[6] الذي دعى أنصاره إلى دعم جيلدون بما فيهم الدواورون[5]، وهذا التأييد من تيمقاد يعتبر دفعة قوية لثورة

---

[1] محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص، 251.

[2] عثمان سعدي، الأب دونا...، المرجع السابق، ص،225.

[3] Yves Modéran , Gildon, les Maures et l'Afrique, Mélanges de l'Ecole française de Rome. Antiquité T. 101, N°2. 1989, p, 823.

[4] محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص، 252.

[5] نفسه، ص، 252.

[6] أبطاطوس التيموقادي: هو أسقف مدينة تيمقاد من 388 م حتى 398 م، وواحد من أكثر الشخصيات حضورا في الكنيسة الدوناتية بشمال إفريقيا وكان القديس أوغسطين يتكلم عنه كثيرا، وقد تحالف أوبطاطوس مع ثوار جيلدون ودعى أنصاره للانضمام إليهم وبعد هزيمة جيلدون أدخل أوبطاطوس السجن حتى وفاته أنظر Albertini, Eugène,loc cit.

[7] عبد المجيد عمران، الحركة الدوناتية...، المرجع السابق، ص، 159.

جيلدون خصوصا إذا عرفنا أن منطقة الأوراس عرفت الانتشار القوي للحركة الدوناتية فمن الطبيعي أن يساهموا بآلاف من الرجال في هذه الثورة[1].

ويبدو أن انضمام الدوناتيين في أكبر معاقلهم بالأوراس إلى صفوف جيلدون بأوامر من أساقفتهم هو الذي مكن جيلدون من توفير حوالي سبعين ألف رجل في مدينة تيفاست وضواحيها وهو عدد كبير قد يفوق ما جمعه الجيش الروماني لمواجهة جيلدون.[2]

كما أن أكبر المعارك التي قادها الثوار التابعين لجيلدون ضد الاحتلال الروماني قامت في ضواحي مدينة تيفاست (تبسة حاليا) وهي معركة أردااليو (Ardalio) سنة 398 م وهذا يرجع كله إلى نشاط الحركة الدوناتية وحركة الدواورن القوي بهذه المناطق.[3] وبالرغم من أن ثورة جيلدون لا تضم الدوناتيين فقط بل جمع أيضا الوثنيون وكل من رفع راية رفض الوجود الروماني في مسعى منهم إلى البحث عن الاستقلال بالدرجة الأولى[4]، إلا أنه لا يمكن نفي أن احتضان الدوناتيون لهذه الثورة كان له الأثر الكبير في شموليتها فالعمق الريفي الذي يمثل معقل الحركة الدوناتية هو العمق ذاته الذي ساهم بقوة في ثورة جيلدون.[5] وبعد وفاة جيلدون عادت الاضطهادات مجددا ضد الدوناتيين ومن أبرز الذين دفعوا ثمن هذه الاضطهادات أسقف تيمقاد الدوناتي أوبطاطوس المعروف بمساندته لجيلدون، فسجن حتى الموت نتيجة لمساهمته الكبيرة في الثورة ويبدو أن السلطة الرومانية أنهكتها مساندة الحركة الدوناتية لمختلف الثورات في كافة أنحاء المغرب القديم.[64]

(1) Pierre Cayre, op cit , P,114.
(2) Yves Modéran, Gildon, les Maures…, op cit , p, 858.
(3) Ibid , p, 837.
(4) René Cagnat, op cit , p, 94.
(5) Yves Modéran, Gildon, les Maures…, op cit , p, 831.

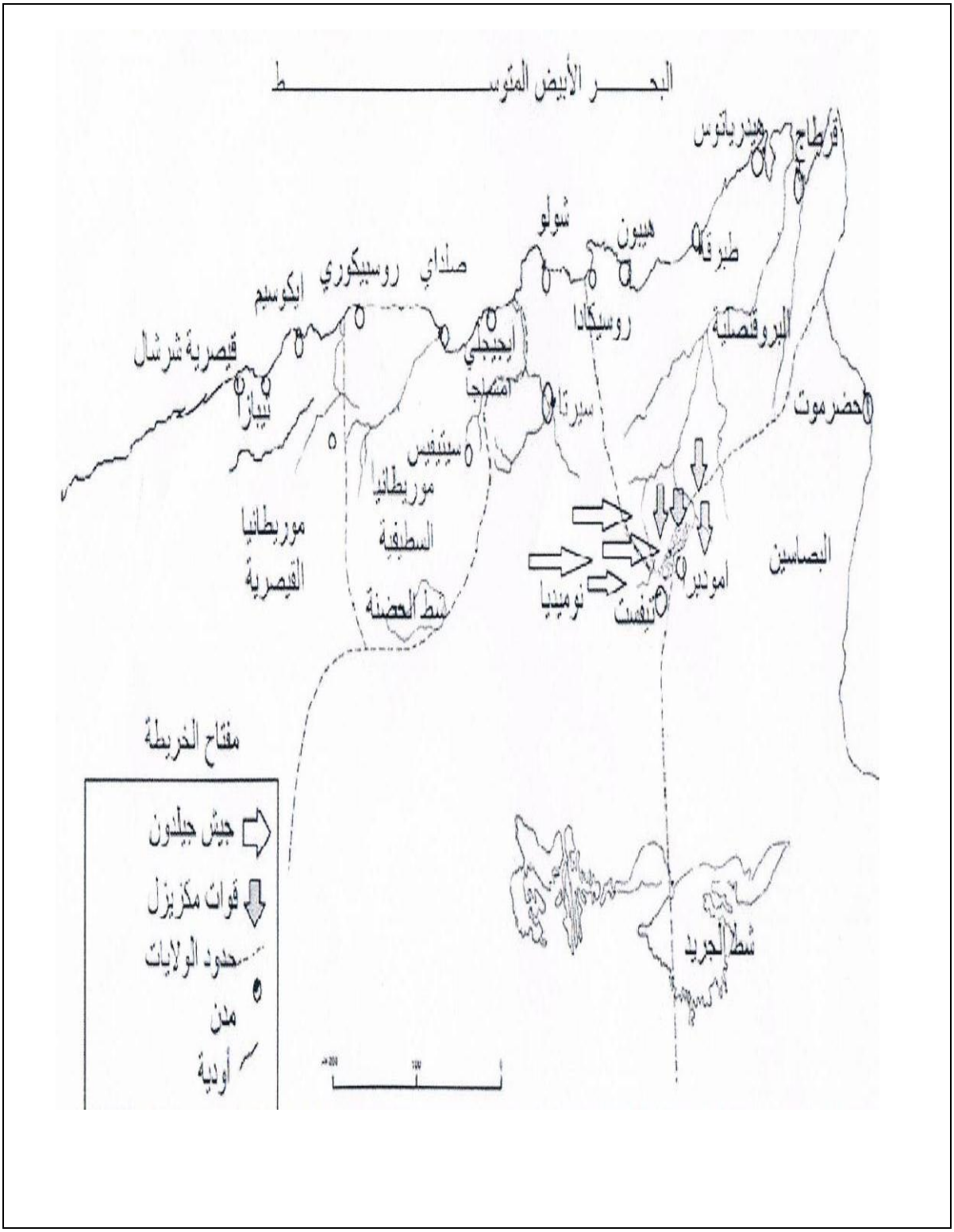

الشكل رقم 76: تحركات ونطاق انتشار ثورة جيلدون

المصدر: عمران عبد الحميد، الديانة المسيحية، المرجع السابق، ص، 283.

4/ البعد القومي في الصراع بين الكنيسة الافريقية والحركة الدوناتية:

يبدو أنه في خضم الصراع الدائر بين الكنيسة الافريقية والحركة الدوناتية هناك الكثير من الآراء التي تعتقد أن من وراء ذلك بعد قومي يظهر في المجال السياسي والديني والثقافي في مواجهة الحضارة الرومانية[1]، ويمكن توضيح هذه الآراء من خلال:

4-1-البعد السياسي: وهذا البعد يتمثل في رفض الدوناتيين كل ما له علاقة بالإمبراطورية الرومانية باعتبارها احتلالا لبلاد المغرب القديم وهذا الشعور تقاسمه معها الدواورن والوثنيين والثورات الأخرى وهو شعور إذن لا يرتبط بالديانة المسيحية بقدر ما هو شعور قومي[2]، ويبدو أن هذا الشعور تولد بسبب معاناة السكان الأصليين وتمييزهم عن المواطنين الرومان وهو ما خلق فجوة بين الإدارة الرومانية والسكان الأصليين فما كان منهم إلا أن يستغلوا أي فرصة بإمكانها أن تحقق لهم الانفصال عن الامبراطورية الرومانية.[3]

كذلك دفع هذا الرأي بالمؤرخ الألماني W. Thummel إلى اعتبار أن الحركة الدوناتية ما هي إلا شكل من أشكال رفض الرومنة في بلاد المغرب القديم بما فيها أفكارهم الدينية التي عارضوا بها الكنيسة الكاثوليكية لم تكن تتلاءم إلا مع عقليتهم وتقاليدهم البربر بونيقية وتوصل إلى هذا الرأي بإعطاء مثال عن لجوء الدوناتيين إلى ظاهرة "الاستشهاد" والتي يفسرها الباحث أنها ترجع إلى ظاهرة التضحية البشرية الموجودة قبل مجيء الرومان إلى المنطقة[4]، وأيضا اتجاه البعض إلى تشبيه التوجه السياسي للحركة الدوناتية بما يشبه المصطلح الحديث " الرديكالية" [5].

ومن مظاهر رفض الرومنة في مسار الحركة الدوناتية أن الأوامر التي أصدرها الإمبراطور بحقها بضرورة تنفيذ العقوبات ضد أتباعها ليتخلوا عن عقيدتهم فقد كان لذلك أمر عكسي لأنه زاد من شعبية الحركة

(1) Dureau de LA Malle, op cit, p,37.

(2) René Cagnat, op cit , p, 94.

(3) عثمان سعدي، الأب دونا...، المرجع السابق، ص، ص، 222،223.

(4) Claude Lepelly, op cit, p,269.

(5) Philippe Sénac, Patrice, Histoire du Maghreb médiéval VII,XI siecle, Paris, Armand Colin 2012,p, 15.

الدوناتية في إفريقيا وزاد الشعور العام بظلم الإمبراطورية الرومانية لكل ما هو إفريقي، وقد رفض الكثير منهم الخضوع للقوانين الرومانية مفضلين العذاب على الخضوع وهي رسالة واضحة للتبعية للسلطة الرومانية.[1]

ولعل حركة التحالفات التي أقامتها الحركة الدوناتية مع الثورات والانتفاضات خلال القرن الرابع الميلادي تؤيد توجه الحركة الدوناتية نحو بعد سياسي هدفه التحرر من الوجود الروماني وذلك من خلال دعم ثورة الدواورن وثوريتي فيرموس وأخيه جيلدون[2]، ويبدو أن طموح الحركة الدوناتية كان يهدف إلى تنصيب حاكم أمازيغي في شمال افريقيا فقد أعطى فيرموس لنفسه لقب "إمبراطور افريقيا" ويفهم منه على أنه لقب سيعوض لقب الإمبراطور الروماني ولقي مساندة كبيرة من طرف الحركة الدوناتية، وحتى بعد وفاته لجأت الحركة الدوناتية إلى مساندة أخيه جيلدون فيما يبدو مسعى منها لتنصيبه إمبراطورا على افريقيا مستغلة سمعة هذه العائلة في بلاد المغرب القديم، فالطموح السياسي للاستقلال عن الإمبراطورية الرومانية كان مطمح الكثير من القادة في إفريقيا.[3]

كما يبدو أن التضامن الشعبي مع الحركة الدوناتية في إفريقيا واقترانه بمقاومة الوجود الروماني أدى بالبعض إلى اعتبار أن بعض أتباع الحركة الدوناتية لم تكن تعنيهم مبادئها وأصول مذهبها بقدر ما تعنيهم أنها تحارب روما فقد كانوا مستعدين لتأييد كل حركة تقف في وجه السلطة الرومانية مهما كانت توجهاتها فالتبشير والايمان عندهم كان قضية ثانوية أما طرد الحكام الرومان وجيشهم هو القضية الرئيسية بالنسبة لهم.[4]

وهكذا رغم أن الكنائس بدلا من أن يكون دورها ديني فإن ذلك تغير بالنسبة للكنائس الدوناتية من خلال لعبها لأدوار سياسية كالتحريض ضد الوجود الروماني والمطالبة باستقلال بلاد المغرب القديم عنهم وبذلك استقطبت كل الساخطين على السلطة الرومانية.[5]

4-2-البعد الديني: يبدو أن الحركة الدوناتية كانت تطمح إلى تأسيس توجه مذهبي مستقل من خلال تجنيد أتباعها في الولايات الإفريقية مستغلة بالخصوص المناطق القليلة التأثر بظاهرة الرومنة مثل

---

(1) روبين دانيال، المرجع السابق، ص، ص، 235، 236.

(2) René cagnat, op cit, p, 94.

(3) Roben Danial , op cit, p, 185.

(4) روبين دانيال، المرجع السابق، ص، 236.

(5) نفسه .

تيموقادي وتيفاست وباغاي [1]، كما يرى الدوناتيين أن كنيستهم تمثل الكنيسة الشرعية وأساقفتهم أصحاب مبادئ عكس الأساقفة الجدد الذين عينوا على رأس كنيسة قرطاج فهم خائنين لمبادئ المسيح ومبادئ المسيحية فقد سلموا الكتب المقدسة للسلطة الرومانية وللوثنيين خلال زمن الاضطهاد كما استخفوا بدماء الشهداء ومن غير المقبول أن يكونوا مسيحيين وقد ارتكبوا جرائم بحق أتباع هذه الديانة.[2]

ويعتبر الدوناتيين أنفسهم ورثة القديس كبريانوس بكل ما يحمله من ثقل وصبر في عصر الاضطهاد فهو الذي ضحى بنفسه ولم يقبل بالتسوية مع السلطة الرومانية وهم بذلك يواصلون على نهجه وأن الكنيسة الحقيقية هي التي تقاوم الاضطهاد والضغوط لا أن تقبل به وتستسلم له.[3]

ويظهر البعد الديني في الحركة الدوناتية في قيادتها لحملة ضد الأساقفة الكاثوليك بطردهم من أساقفتهم وحتى قتلهم وتحالفو مع الدوارين الذين مارسوا العنف ضد أتباع الكاثوليكية في إفريقيا،[4] وبلغ تعصبهم لمذهبهم حسب (برينو بوتيي) إلى القيام بعمليات يعتبرونها استشهادية ليس ضد خصومهم الكاثوليك بل ضد الدوناتيين الذين يتحولون إلى الكاثوليكية وضد الوثنيين أيضا.[5] واستخدم الدوارون المصطلحات الدينية التي كان يستخدمها الدوناتية مثل اعتبار قادتهم من أمثال أكسيدو (Axido) و فازير (Fasir) " قادة القديسين" أو " جنود المسيح" وهم من السكان المحليين .[6]

وكان الدوناتيين يرون أن الكاثوليكية هي دين الرومان وليس دين السكان المحليين بينما الدوناتية هي الدين الذي يشترك فيه الأفارقة وهذا من شأنه أن يرسخ التوجه الشعبي نحوهم ويجعل منهم مؤسسين لمبادئ دينية تخصهم ومن حقهم أن يؤسسوا لذلك وليسوا معنيين بالتبعية لكنيسة روما التي تمثل وجه من أوجه الاحتلال الروماني لأراضيهم.[7]

4-3-البعد الثقافي: تظهر الدراسات أن تأثير الثقافة الرومانية على السكان الأصليين في إفريقيا كان سطحيا خصوصا في المناطق الجبلية الصعبة والمناطق الداخلية وهذه المناطق كما أشرنا في السابق تعتبر

(1) Paul Monceaux, Histoire litéraire de l'Afrique Chéritienne, op cit,p,39.

(2) روبين دانيال، المرجع السابق، ص، 234.

(3) نفسه، ص، 249.

(4) F.Martroye, op cit, p, p, 31, 32.

(5) Bruno Pottier, , Les circoncelions, Formation d'une élite rurale monastique, loc cit.

(6) عيواج زهية، المرجع السابق، ص، 96.

(7) F.Martroye, op cit, p, p, 10,11.

عمق الحركة الدوناتية،[1] فإذا كانت اللغة اللاتينية منتشرة في المدن فإنه مشكوك أن يكون الفلاحين وسكان الأرياف بصفة عامة يتكلمون هذه اللغة بل ظلوا يتكلمون باللغة الليبية هو ما خلق فجوة ثقافية بين سكان المدن وسكان الأرياف.[2] كما كان معظم الدواورن يتكلمون اللغة البونيقية ولا يفهمون اللغة اللاتينية وهو من دوافع تحالفهم مع الدوناتيين على هذا الأساس.[3]

ومن خلال مؤتمر قرطاج 411 م يظهر أن بعض الأساقفة كانت معرفتهم باللغة اللاتينية ضعيفة مثل أسقف مدينة(زيرا) Zura الكاثوليكي الذي طلب من أحد زملائه التوقيع في مكانه لأنه يجهل الحروف اللاتينية ويبدو أنه واصل تدريسه باللغة البونيقية فقد كان لهذه الأخيرة شعبية كبيرة حتى بعد تغلغل الاحتلال الروماني في مناطقهم، ومن هنا قد يكون الكثير من الأساقفة خصوصا في العمق النوميدي وموريتانيا وبالأخص الطائفة الدوناتية لم يكونوا مهتمين باللغة والثقافة الرومانيتين،[4] كما لدينا حادثة أخرى تدل على عدم اهتمام الدوناتيين باللغة اللاتينية وهي أن أسقف كالاما (قالمة) كريسبينوس طلب ترجمة إحدى رسائل أوغسطين من اللغة اللاتينية إلى اللغة البونيقية وهي رسالة بعثها أوغسطين لمجادلة الدوناتيين وهكذا يظهر من الدوناتيين أنهم كانوا رافضين لاستخدام اللغة اللاتينية في الكنائس والمراسلات الدينية ويعتبر مونصو أن هذه " البروبوغندا" الدوناتية نجحت في استقطاب السكان المحليين.[5]

ويظهر الفرق الثقافي بين الكاثوليك والدوناتيين عند مقارنة أساقفة كلا الطرفين فقد جذب الكاثوليك الأساقفة المتأثرين بالثقافة الرومانية والمتعلمين باللغة اللاتينية مثل أوغسطين الذي بنى أفكاره على أساس الحضارة الرومانية في حين أن الدوناتيين كانوا من المتأثرين بالثقافة البونيقية ويحملون النظرة الإفريقية المحلية وغالبيتهم يتحدث باللغة الأمازيغية.[6]

(1) Tadeusz Kotula, Les Africains et la domination de Rome, trd, M. Michalak, Dialogues d'histoire ancienne, V 2, N 1, 1976,p, 342.

(2) Emily C. Elrod , Reexaming Heresy: Th Donatists, Historical Perspectives: Santa Clara University Undergraduate Journal of History, Series II, V 11, 2006, p, 52.

(3) F.Martroye, op cit, p 397.

(4) محمد المبكر، شمال افريقيا...، المرجع السابق، ص، 224.

(5) Paul Monceaux, Histoire litéraire de l'Afrique Chéritienne, op cit,p, 121.

(6) روبين دانيال، المرجع السابق، ص، ص، 238، 239.

الخـــاتمـــــة

وبعد استكمال دراستنا لهده الأطروحة توصلنا لمجموعة من النتائج:

1* قبل مجيء الديانة المسيحية لشمال إفريقيا انتشرت العبادة الوثنية من خلال تقديس مختلف الظواهر الطبيعية كالشمس والقمر والحيوانات، ويبدو أن ملامح الفكر الديني بدأت تتشكل منذ عصور ما قبل التاريخ وهو ما تبينه الرموز والأشكال التي تم تجسيدها في الرسوم الصخرية ومنها يمكن معرفة قدم الممارسات الدينية في شمال إفريقيا.

2*وقدم الديانة في شمال إفريقيا يدفعنا إلى الاعتقاد بأن نشأتها كانت محلية قبل أن يختلط ويحتك سكان شمال إفريقيا بالحضارات الأخرى، وهو ما يؤكده أيضا وجود أسماء العديد من الآلهة التي عبدت في اللغة الأمازيغية، كما أن طريقة الدفن وشكل المدافن تبدو فريدة من نوعها ولا يوجد لها مثيل في الحضارات الأخرى والكثير من الأسرار الدينية والرموز التي لم يوجد لها تفسير لحد الآن كلها مظاهر تأكد محلية الديانة في شمال إفريقيا على عكس من يسوق للأصول الأجنبية لها، ولم تكن المؤثرات الأجنبية سوى مرحلة من المراحل الطويلة لتطور الديانة بهذه المنطقة التي عرفت توافد مجموعات من الشعوب الأجنبية.

3*ولا ننكر أن احتكاك سكان شمال إفريقيا بالشعوب الأخرى كان له أثر واضح في الكثير من المعتقدات والممارسات الدينية، فالاحتكاك بالفراعنة واليونان والفينيقيين والرومان أدخل عناصر جديدة للديانة وقد تتغير أسماء الآلهة وتظهر طقوس جديدة لأن نفاذ الأفكار الدينية إلى شمال إفريقيا كان سريعا وطبيعيا بالنظر إلى قوة تلك الحضارات، واعتناق بعض من معتقداتها وطقوسها قد يمثل لهم حلا للكثير من الألغاز التي ظلوا يجهلونها.

4*وكمثال على تلك العناصر الجديدة التي دخلت إلى شمال إفريقيا نتيجة الاحتكاك بالحضارات الأخرى عبادة "الإله أمون" حيث يشترك فيها المصريين أيضا وعبادة "بعل حمون" المشهورة في الشرق، كما أن مجمع الآلهة الرومانية عبد في شمال إفريقيا بغض النظر عن فرض عبادته بالقوة أو كان من منطلق الاقتناع به.

5*وبالنظر إلى احتكاك سكان شمال إفريقيا بالحضارات الكبرى، حضارات كانت على اطلاع بكل ما يحدث في العالم القديم من تطورات مثل الحضارة اليونانية التي ازدهرت بها المعرفة وامتدت تجارتها إلى مناطق عديدة، ثم الحضارة القرطاجية المعروفة بقوافلها التجارية لا شك أنها كانت تنقل المعلومات من منطقة إلى أخرى، كما أن الحضارة الرومانية التي تحكمت في العالم القديم لقرون عديدة فإن التطورات أصلا حدثت بداخلها ومن هنا يمكن دراسة مدخل للديانة المسيحية في الشمال الإفريقي.

6*إن فترة دخول الديانة المسيحية لشمال إفريقيا يبدو أنه متأخر نسبيا نظرا لتحديد عام 180 م كبداية لانتشار المسيحية وهو ما يعني غياب المنطقة حوالي قرنين من الزمن عن الالتحاق بموجة هذه الديانة العالمية، وهذا التاريخ قد تكون من وراءه نية تبني فكرة نمطية عن شمال إفريقيا بتأخرها الدائم بما يجري من تطورات مختلفة.

7*صحيح أن النصوص الكتابية والآثار لا تعطينا دليلا أكثر من منتصف القرن الثاني الميلادي للتأريخ عن انتشار الديانة المسيحية في الشمال الإفريقي، إلا أنه بتحليل معطيات نتوصل إلى نتائج منطقية عن وجود تاريخ أقدم من القرن الثاني الميلادي.

8*ويعتبر حديث ترتيليان عن تجذر الديانة المسيحية في شمال إفريقيا بأعداد كبيرة داخل المدن والأرياف (حديثه كان في نهاية القرن الثاني الميلادي) يجعلنا نعتقد أن هذا التجذر القوي حصل في سنوات كثيرة، فمن المعروف أن الفكرة تولد صغيرة ولكي تكبر تحتاج مزيد من الوقت وبناء على ذلك يحتمل أن مجيء المسيحية كان خلال القرن الأول الميلادي.

9*ثم إن كتابات ترتيليان وكبريانوس خلال القرن الثالث الميلادي التي عالجت قضايا المسيحيين بدقة كبيرة وبتفاصيل دقيقة وباعتراف كبار مؤرخي الغرب بدورها في تطور الديانة المسيحية لا يمكننا إلا أن نقول أن الفكر المسيحي لم يصل إلى هذا المستوى إلا في فترة زمنية طويلة، ومن هنا نعتقد أنه لو أرخنا لوجود المسيحية خلال القرن الأول الميلادي بشمال إفريقيا لكان تأريخنا أقرب للواقع.

10*كما أن وجود حاضرة قرطاج في الشمال الإفريقي يدفعنا إلى الاعتقاد بالانتشار الباكر للمسيحية وذلك انطلاقا من التواصل الحضاري بين قرطاج مع الشرق ومع روما رغم أنها كانت خاضعة للسلطة الرومانية إلا أنها احتفظت بجزء كبير من مكانتها التي عهدتها في أوج قوتها وبالتالي يمكن القول أن انتشار المسيحية في قرطاج لم يتأخر كثيرا مقارنة بروما وغيرها من الحواضر العالمية.

11*وهكذا فإنه خلال نهاية القرن الثاني الميلادي وبداية القرن الثالث الميلادي بدل أن نتكلم عن بدايات انتشار المسيحية في شمال إفريقيا نتكلم عن تجذر المسيحية وتكوين تجمعاتها وانتقالها لمرحلة تأليف الكتب ومناقشة قضايا جوهرية وثانوية لهذه الديانة الجديدة ومن هنا يبدو أن الديانة المسيحية بدأت كحركة سرية ولما كثر أتباعها ظهرت للعلن.

12*وفي إطار الحديث عن توسع الديانة المسيحية بالشمال الإفريقي تُظهر خريطة انتشارها شموليتها لكل المقاطعات ولو أنه بدرجة متفاوتة، ففي الوقت الذي تشير فيه المعطيات إلى الحضور القوي لها في مقاطعتي إفريقيا البروقنصلية ونوميديا يتناقص ذلك الحضور كلما اتجهنا نحو الموريتانيتين.

13*لكن الانتشار السريع والحضور القوي للديانة المسيحية بشمال إفريقيا كان له ثمن دفعه الكثير من معتنقيها فلم يستوعب الأباطرة ولا الوثنيين ديانة جديدة تقتلع معتقداتهم وممارستهم من جذورها، وهو ما أدى بهم إلى القيام بموجة واسعة من الاضطهادات ضد معتنقي الدين الجديد بأشكال عديدة كالقتل والسجن والرمي بالحجارة وتعريضهم للحيوانات المفترسة والنفي وكلها إجراءات تهدف إلى منع انتشار المسيحية لكن ما حدث هو عكس ذلك وخصوصا أن المسيحيين اعتبروا الموت بتلك الأشكال هو شهادة وتضحية فزاد من حماستهم ولم يدفعهم ذلك للتنازل.

14*وأمام فشل السلطة الرومانية وحلفاءها الوثنيين في مجابهة الانتشار السريع للديانة المسيحية لم يكن منهما إلا الاعتراف بالواقع الجديد وتقبله خصوصا السلطة الرومانية التي يبدو أنها لو واصلت رفض هذه الديانة الجديدة فإن الأحداث تكون قد تجاوزتها، فما كان من أدهى أباطرتها السياسيين إلا أن أعلن اعترافه بها من خلال مرسوم ميلان 313 م، وتحولت السلطة الرومانية من ناقم على المسيحية والمسيحيين إلى حامية ومشرفة عليهم، ويمكن القول أنه ما إن طلقت الدولة الدين الوثني حتى ربطت بها الدين المسيحي وهذا من الناحية السياسية يدل على اتباع مركز القوة، فلم تبقى أية قوة للوثنية قياسا بالمسيحية.

15*وكان لمرسوم ميلان أثر واضح على انتشار الديانة المسيحية في شمال إفريقيا من خلال شعور المسيحيين بالسلام وانتهاء فترة اضطهادهم وانعكس ذلك على زيادة أعدادهم وزيادة بناء البازيليكات الجديدة، لكن ذلك أدخل الكنيسة الإفريقية في موجة صراعات انتهت بتأسيس الحركة الدوناتية.

16*صحيح أن الكنيسة الإفريقية لم تكن لها مشاكل تنظيمية فقد حددت وظائف ورتب لتسييرها وأعطت أهمية للجانب الانضباطي تجنبا للانحرافات وعقدت المجمعات الكنسية بصورة دورية ومنتظمة لمعالجة الخلافات بين أساقفتها، ومن جهة أخرى لم يكن الجانب المالي عائقا أمامها فهي حصلت على منح وتبرعات ومساعدات سخية من السلطة ومن أتباعها، بل أنها أصبحت هي من تساعد أتباعها الفقراء وتقوم بدور اجتماعي هام.

17*أما أصل المشاكل داخل الكنيسة الإفريقية يعود إلى طبيعة العلاقة مع الإمبراطورية الرومانية فلم يتمكن بعض الأساقفة من رفض إجراءات السلطة الرومانية في تسليم الكتب المقدسة لها والتعاون معها ربما حتى في

الوشاية بزملائهم الأساقفة، بينما رفض الأساقفة الآخرون الرضوخ للسلطة الرومانية خلال فترة الاضطهادات ومنهم من دفع حياته ثمنا لذلك الرفض، وبعد نهاية فترة الاضطهادات لم يكن هناك مناخ للتعايش بين الفريقين، ووصل الأمر بأتباع الحركة الدوناتية إلى تخوين زملائهم الذين استسلموا للسلطة الرومانية.

18*ومن خلال فهم طبيعة انشقاق الحركة الدوناتية يتبين أن هناك نية لمواصلة مقاومة الاحتلال الروماني وهو توجه محلي ساد قبل مجيء الديانة المسيحية للشمال الإفريقي، فالسلطة الرومانية كانت تمثل نموذج للاستغلال ونهب الثروات والعبودية والظلم على عكس المسيحية التي تمثل العدالة الاجتماعية والتضامن بين أفراد المجتمع، ولذلك فإن التحالف بين السلطة الرومانية والديانة المسيحية هو في نظر الدوناتيين انحرافا في المبادئ بعد أن كان يعتقد السكان الأصليين قدرة الديانة المسيحية في القضاء على الوجود الروماني بشمال إفريقيا.

19*ونظرا لأن الحركة الدوناتية أظهرت نواياها منذ البداية في مقاومة الاحتلال الروماني، بل والوقوف في وجه كل من يتحالف مع الدولة الرومانية ومذهبهم الكاثوليكي فإنه من الطبيعي أن تعرف انتشارا واسعا في ربوع إفريقيا سواء في الأرياف أو في المدن عكس ما يُصوَر في العادة على أن المذهب الدوناتي هي مذهب الأرياف والمذهب الكاثوليكي مذهب المدن، ومن مظاهر ذلك أن المدن الكبرى كقرطاج وبونة وتيمقاد وتيفاست وشرشال كان أغلب سكانها متضامنين مع الحركة الدوناتية.

20*لكن قوة الكنيسة الدوناتية في شمال إفريقيا لا يجعلنا نعتقد ضعف الكنيسة الكاثوليكية فهذه الأخيرة دخلت في دوامة طويلة من الصراع لفرض نفسها مستغلة تحالفها مع حلفاء أقوياء: السلطة الرومانية التي وفرت لها الدعم السياسي والعسكري وكنيسة روما التي انحازت في التحكيم لصالحها ولا ننسى وقوف مجموعة من رجال الدين المتميزين في الجدل على رأسهم أوغسطين فلم يكن من السهل على الكنيسة الدوناتية حسم صراعها مع الكنيسة الكاثوليكية رغم الدعم الشعبي القوي لها.

21*وقد اتخذ الصراع المذهبي بين الدوناتيين والكاثوليك أشكال عديدة اتسمت بالجدل والحوار أحيانا وأحيانا أخرى بالعنف والقوة، كما أن كل فريق من الفريقين المتخاصمين استخدم كل إمكانياته لإثبات أحقيته فكل طرف هو من وجهة نظر أتباعه يمثل الطريق الصحيح ومن وجهة نظر مخالفيه يمثل طريق الانحراف.

22*ففي الوقت الذي اعتبر فيه الدوناتيون زملائهم داخل الكنيسة الإفريقية خونة ومتخاذلين لتعاونهم مع السلطة الرومانية، كان ينظر الآخرون إلى الدوناتيين كمنشقين وأحيانا كهراطقة، هذه المعاكسات امتدت أيضا إلى المنظور السياسي ففي الوقت الذي يرى فيه الدوناتيين أنفسهم ثوار واقفون في وجه الاستعمار

الروماني، كان معارضي الحركة الدوناتيين ينظرون إليهم كمتمردين وخارجين عن القانون وهي الحجة التي استخدمتها السلطة الرومانية لاستخدام العنف ضد أتباع الحركة الدوناتية في المقابل كان الدوارون يقومون بعنف مضاد في سبيل دعمهم للدوناتية.

23*لكن حتى نكون منصفين نقول أنه لا يمكن المقارنة بين عنف السلطة الرومانية وعنف الدوارون حيث لم يكن للدوارين أي شيء يمتلكونه وكانوا يعانون من ظروف اقتصادية واجتماعية قاسية ومن منطلق تحسين ظروفهم وأوضاعهم لم تكن لهم من وسيلة سوى القيام بحركة عنيفة ضد ملاك الأراضي الكبار.

24*تلك الظروف الاقتصادية والاجتماعية لم تدفع الدوارون فقط بالثورة في وجه الاحتلال الروماني والتحالف مع الحركة الدوناتية، بل إن الكثير من ثورات القرنين الرابع والخامس الميلاديين حركها ذلك الشعور وهو ما يفسر تحالف ثوار فيرموس وأخيه جيلدون مع الحركة الدوناتية، وهكذا نجد أن هذه الأخيرة كانت تمثل الركيزة الروحية لكل ناقم على الاحتلال الروماني.

25*وفي خضم الصراع بين الكنيسة الإفريقية والحركة الدوناتية برز القديس أوغسطين الذي ركز جزء كبير من حياته وأعماله لمواجهة الحركة الدوناتية مستغلا قدراته الكبيرة في الجدل والكتابة والخطابة والتخطيط، وكانت استراتيجيته واضحة هدفها القضاء على الحركة الدوناتية فمن تحريض السلطة الرومانية من أجل التدخل لرد الدوناتيين وأتباعهم للقانون حتى لو كلف ذلك استعمال القوة، ثم الدعوة إلى عقد المؤتمرات مع رجال الحركة الدوناتية والردود الكلامية معه وفي نفس الوقت لم يترك مجالا لتشويه صورتهم ونعتهم بأبشع المواصفات.

26*ويبدو من خلال تتبعنا لمسار الحركة الدوناتية أنها تلقت ضربة قوية نتيجة لنشاطات أوغسطين وحلفاؤه الذين تمكنوا بفضل وسائلهم السالفة الذكر من إضعاف الوجود الدوناتي بشمال إفريقيا، فحملات قتل الأساقفة الدوناتيين ونفيهم الواسعة من قبل السلطة الرومانية وهدم كنائسهم يبدو أنه من الأسباب الرئيسية المؤدية إلى تراجعهم، وهكذا فإن منظومتهم المذهبية لم تستطع مجاراة من يملك الثلاثية: السلطة والمال والإعلام حيث كانوا من نصيب الكنيسة الكاثوليكية وأتباعها، لكن رغم ذلك فوجود الحركة الدوناتية كان لـــه الأثـــر الكبـــير في المســـتوى الفكـــري لإنســـان شمـــال إفريقيـــا القـــديم.

قائمة المصادر والمراجع

1.قائمة المصادر

1.1.المصادر باللغة العربية

1.أوريسيوس، تاريخ العالم، تر، عبد الرحمان بدوي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1982.

2. أوغسطين القديس، اعترافات، تر، الحوري يوحنا الحلو، بيروت، دار المشرق، ط4، 1991.

3.بن خلدون عبد الرحمان، تاريخ ابن خلدون، ج7، مراجعة سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، 2000.

4.طاليس أرسطو، السياسة، بيروت، منشورات الجمل، ط1، 2009.

5.هيرودوت، تاريخ هيرودوت، الكتاب الرابع، تر عبد الإله الملاح، أبوظبي، المجمع الثقافي.

6. ....، في نصوص ليبية، تر، علي فهمي خشيم، دار مصراتة، ليبيا، 1967.

7.يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، تر، مرقص داود، القاهرة، القاهرة الحديثة للطباعة ط2، 1979م.

1.2.المصادر باللغة الأجنبية

1-Augustin Saint , Résumé d'une conférence avec les Donatistes, Oeuvres complètes de Saint Augustin traduites pour la première fois en français, sous la direction de M. Raulx, Bar-Le-Duc, L. Guérin & Cie, éditeurs, 1869.

2-…. , Traités anti-donatistes, Oeuvres. Texte: traduction, introd. et notes , par B. Roland,V1,Desclée de brouwer,S4,1963.

3-..., Réfutation De la doctrine de Gaudentius, Trad, l'abbé Burleraux, Guérin & Cie, éditeurs, 1869.

4-..., Contra Litteras Petiliani Donatistae Cirtensis Episcopi, tra, REV. J. R. KING, M.A, Oxford.

5-César Jules ,oeuvres complètes, présente Didier Hallépée , collection lettre Latines, 2012.

6-Cyprien de Carthage , L'unité de l'Église,Tra,Pierre de Labriolle, Series Latina III -Brepols, 1972.

7-Live Tite, Histoire Romaine,trd, DeM.Nisard,T 1,Paris,Firmin Didot

8-Marcellin Ammien, Histoire de Rome, Paris, Firmin Didot, 1860.

9-Mela Pomponius, Gégraphie, trd M.Louis Baudet, Paris,C.L.F, Panckoucke,1843.

10-Pline l'Ancien, Histoire naturelle, Paris, Dubochet,1848-1850.

11-Sévère Sulpice, La Chroniques, trd, Richard Tours ,Paris,Hachette,1861.

12-Tacite, Œuvres completes ,trd,J. L. Burnouf,Paris,Hachette,1859.

13-...,Les annales,trd, J. L. Burnouf,Paris, Hachette,1859.

14-Tertullien, Apologétique, tra, J.P.Waltzing, 2 édit, Librairie Bloud et Gay,Paris, 1914.

2.قائمة المراجع

1.2.المراجع باللغة العربية

1.إ.س.سفينسيسكايا، المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية، تر، حسان مخائيل اسحق، دمشق، دار علاء الدين ط3، 2010.

2.ابرهارد أرلوند، المسيحيون الأوائل، القاهرة، المنار، ط1، 2000.

3.أحمد عبد الحليم دراز، مصر وليبيا فيما بين القرن السابع والقرن الرابع قبل الميلاد، (د.م)، (د.ت).

4.الأرشمندريت أغناطيوس ديك، الحضور المسيحي في حلب خلال الألفين المنصرمين، ج 1، 2002م.

5.أعشي مصطفى، أحاديث هيرودوت عن الليبيين (الأمازيغ)، الرباط، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، 2009.

6.اكصيل اصطيفان، تاريخ شمال افريقيا القديم، ج6، تر، محمد التازي سعود، الرباط، أكاديمية المملكة المغربية، 2007.

7.إلليغر فينفريد، قرطاجة مدينة البونيين والرومان والمسيحيين، تر، عيد مرعي، د.ت.

8.الأنبا ايسوزورس نيافة، الرهبنة الحبشية نشأتها تطورها، تأثيرها، قديسوها، مركز الدلتا للطباعة، ط1، 1997م.

9.بشارة عزمي، في الثورة والقابلية للثورة، الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،.2011

10.بطرس زكريا، موجز تاريخ انشقاق الكنائس، انجلترا، كنيسة السيدة العذراء، ط.2000،1

11.بن سليمان ناصر، الخوارج والحقيقة الضائعة، د.م، ط1، 1999.

12.تشادويك هنري، أوغسطينوس، مقدمة قصيرة جدا، تر، أحمد محمد الروبي، القاهرة، هندروي للتعليم والثقافة ط1، 2016.

13.جمال الدين فالح الكيلاني، في التاريخ الأوربي الوسيط، القاهرة، مكتبة المصطفى،.2011

14.جنيبير شارل، المسيحية نشأتها وتطورها، تر عبد الحليم محمود، بيروت، المكتبة العصرية د.ت.

15.الحمداوي جميل، الديانة عند الأمازيغيين، شبكة الألوكة، د.م، د.ت.

16....، المقاومة الأمازيغية عبر التاريخ أو عندما تسترخص الدماء من أجل الحرية، الرباط، دار المعرفة، 2013.

17.روبين دانيال، التراث المسيحي في شمال إفريقيا، دراسة تاريخية من القرن الأول إلى القرون الوسطى، دار منهل الحياة، بيروت، .1999

18.روستوفتزف .م ، تاريخ الامبراطورية الرومانية الاقتصادي والاجتماعي، ج1، تر، زكي علي، محمد سليم سالم، القاهرة مكتبة النهضة العربية، د.ت.

19.شفيق محمد، ثلاثة وثلاثون قرنا من تاريخ الأمازيغ، مؤسسة تاوالت الثقافية، د.ت.

20.شنيتي محمد البشير، نوميديا وروما الامبراطورية، كنوز الحكمة، الجزائر، ط.2007،1

21.العبادي مصطفى، الامبراطورية الرومانية، النظام الامبراطوري ومصر الرومانية، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، .1999

22.غانم محمد الصغير، الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال افريقيا، دار الهدى، عين مليلة، .2005

23.كرم يوسف، تاريخ الفلسفة الأوروبية، بيروت، دار القلم، د.ت.

24.كيرلس الأنطوني، عصر المجامع، مكتبة المحبة، ط1، .2002

25.لورنس يوحنا، تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة، بيروت، المطبعة الأمريكية، .1875

26.لوريمر جون، تاريخ الكنيسة، ج3، القاهرة، دار الثقافة، ط1، د.ت.

27.المبكر محمد، شمال افريقيا القديم، حركة الدوارين وعلاقتها بالدوناتية، 305م-429م، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، 2001م.

28....، ملاحظات اعلامية حول أسماء الأساقفة الكاثوليك والدوناتيين في مناظرة قرطاج 411م، التاريخ القديم قضايا وأبحاث، الدار البيضاء، منشورات كلية الآداب، .2005

29.المحجوبي عمار، ولاية افريقيا من الاحتلال الروماني إلى نهاية العهد السويري (146ق.م-235م)، تونس، مركز النشر الجامعي، 2001.

30.مختار جمال، تاريخ افريقيا العام، جين أفريك، اليونسكو، د.ت.

31.المدني أحمد توفيق، قرطاجنة في أربعة عصور، من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986.

32.المعلول فاطمة محمد سليمان، يفرن دراسة في جغرافية المدن، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2006.

33.ملطي تادرس يعقوب، الدليل المبسط في علم آباء الكنيسة، كنيسة الشهيد مار جرجس باسبورتنج، 2004م.

34.هرمز حبيب، المدخل إلى اللاهوت السياسي، ديوان أوقاف المسيحيين والديانات الأخرى، بغداد،2009م.

35.هيل جوناثان، تاريخ الفكر المسيحي، تر، اسكندر سليم، دار الكلمة، 2012.

36.ويلتر.ج، الهرطقة في المسيحية، تر، جمال سالم، بيروت، دار التنوير، 2007.

2.2.المراجع باللغة الأجنبية

1-Allard Paul, Histoire des persécutions pendant les deux premiers siècles,T4,Paris, Publication Data,1903.

2-Baradez Jean, Tipaza Ville antique de Maurétanie, Alger , presses de l'Imprimerie Officielle à Alger, 1952.

3-Bédard Paulin, Se préparer À servir guide À L'usage du conseil local,2008.

4 Benedict David , A History of the Donatists, Pawtucket, RI: Nickerson, 1875.

5-Bischoff Verlag Friedrich, Le Catechisme de l'Église néo- apostolique, Zurich(Suisse), Friedrich Pustet , 1 re edit, 2015.

6-Blanchet Marie-Hélène, Frédéric Gabriel, Réduire le schisme ? Ecclésiologies et politiques de l'Union entre Orient et Occident, Paris, Achcbyz,2013.

7-Bréhier Louis, Les basiliques chrétienne, Paris , Librarie Bloud,1972.8

8-Buenacasa Pérez Carles, L'étude, " Les lettres antidonatistes d'Augustin: le vocabulaire employé pour dénoncer les crimes des donatistes, Université Charles de Gaulle - Lille 3, 2011.

9-Cagnat René, L'armée Romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les Empereurs, E. Leroux, 1912.

10-Carthy O. Mac, Antiquités Algériennes, Alger, Adolphe Jodrdan, 1885.

11-Charvéiat .M.F, De l'assimilation des indigène dans l'Afrique Romaine Alger ,imprimeur libraire de l'acdémie,1886.

12-De la Malle Dureau,Algérie, Histoire des gueres des Romains, des Byzantins et des Vandeles ,Paris, Librairie de firmin didot frères, 1852.

13-De Liguori Alphonse, Les victoires des Martyrs, ou Les vies des Martyrs lesplus célèbres,Avignon,Libraire,1828.

14-De Meuse Pierre, Histoire des hérésies, Trajectoire Editions,2010.

15-Eleutério João, La crise donatiste et le tournant de la théologie catholique: Optat de Milève et le baptême centré sur le Christ, didaskalia, XXXVIII 2008.

16-Gsell Stéphane, Les monuments antique de l'Algérie, Paris, Ancienne librairie thorin et fils Albert fontemoing, T2,1901.

17-Gutron Clémentine, L'archéologie en Tunisie (XIXe-XXe siècles): jeux- généalogiques sur l'Antiquité, Karthala, Paris,2006.

18-H. Leclrcq Dom, L'Afrique Chrétinne, Paris, Librairie Victor Lecoffre, T 1, 1910.

19-Hefele Charles Joseph , Histoire des conciles , d'après les documents originaux, Paris, Letouzey Etane, T 2,1908.

20-Hurlet Frédéric, Introduction Gouverner l'empris de Rome sur l'Occident,.1 Presses universitaires de Rennes, 2009.

21-Kurowski Rémy, Autour du baptême de clovis - saints Martin, Genevieve, Remi, clotilde,1997.

22-l'Apostat Julien, Sapor, Gensèric , Recueil de pièces authentiques sur lesmartyrs depuis les origines du christianisme jusqu'au XXe siècle, trd, R. P. Dom H. Leclercq, T III , IV.

23-Lemaire .R, L'origine de la Basilique Latine, Vromant éditeurs, Bruxelles et Paris, 1911.

24-M.Gaume ,La Révolution recherches historiques ,Révolution Francaise, Lille ,1877.

25-Macgaw Carlos Garcia, Tradition et transmission Augustin,Cyprien et la question du Baptême dans le contexte du Schisme Donatiste ,presses Univ de Franche-comté,2014.

26-Maraval Pierre , La religion de Constantin , Anuario de Historia de la Iglesia, V22,2013.

27-Marie -Anne , Tourilon –Hazard, De culte impérial au Christianisme, religion de.1 l'Etat Ier siècle -IVe siècle, Paris, IESR,2005.

28-Marie –E .D Sainte, La tunisie Chrétienne , Lyon, bureaux des missions catholiques,1878.

29-Martroye Francois, Gensèric, La conquête Vandale en Afrique et la destruction de l'empire d'occident, Paris, 1907.

30-Marucchi Horace, Éléments d'archéologie chrétienne, Paris, Desclée, Lefebvre, 2e édt.

31-Meouak Mohamed, Remarques sur la genèse du peuplement antique et médiéval 2 du Maghreb l'apport de la toponymie et de la philologie, Rocznik Orientalistyczny, T. LXVI, Z. 1, 2013.

32-Mercier Ernest , Histoire de Constantine, J. Marle et F. Biron, imprimeurs editeurs,1905.

33-…, Histoire de l'Afrique septentrionale,T2,Paris, Ernest Leroux,1888.

34-Mesnage. J , Le Chrestianisme en Afrique ,Alger,Librair-Editeur,1915.

35-Monceaux Paul, Histoire litéraire de l'Afrique Chéritienne depuis les origines jusqu'à l'invaision Arab, Ernest Leroux, Paris, T2,1901.

36-…, Les Africains étude sur la littérature Latine d'Afrique, Lecène Oudine, Paris,1894.

37-Mourret Fernand, Histoire générale de l'église, Paris , Bloud et Gay, T 2, 1928.

38-Neusch Marcel, La création comme habitat de l'homme, Saint Augustin et la société de son temps itinéraires augustiniens.

39-Nicolas- Marie Guillon -Silvestre, Bibliothèque choisie des Pères de l'Eglise grecque et latine,T 22,Paris,Méquignon –Havard, libraire.

40-Nicollier Pascal, L'empire Romain au temps d'Aguste, (du Ier siècle av. J.-C. au1 Ier siècle ap. J.-C.),Lausanne,1991.

41-Odahl Charles Matson, Constantine and the Christian Empiren, London and new york, Library of Congress,2004.

42-Pascal Nicollier, L'empire Romaine au temps d'Auguste, Lausanne, 1991.

43-Pérez Carlos Buenacasa, La presécution du Donatisme et l'imposition de l'orthodoxie en Afrique du Nord (IV-V siècles, Metz, centre régional universitaire Lorrain d'histoire,2007.

44-Pietri Charles, Les Lettres nouvelles et leurs témoignages sur l'histoire de l'Église Romaine et de ses relations avec l'Afrique Rome, École Française de Rome, 1997.

45-Pottier Bruno, Les circoncelions, Formation d'une élite rurale monastique autonome dans l'Afrique du Nord des IV' et V' siècle, Pariser Historische Studien,2007.

Poujoulat .M , Histoire de Saint Augustin, Paris, Alfred Mame et Fils, T 1, 5 edi, 1844.46

47-Prieto Christime , Les hérésies du christianisme ancien Formation théologique Lapsi – Reims, 13 sept. 2008.

48-Recueil des notices et méemoires de la société Archéologique,V7,Constantine, L. Arnolet,1875.

49-Recueil des Notices et Mémoires, de la Société archéologique du département de Constantine, V 5 , Constantine , imprimerie D. Braham,1914.

50-Renan Ernest, Histoire des origines du Christianisme, Marc Auréle et la fin du maonde antique, L7,4 edit, Paris, Calmann Lévy, 1882.

51-Robin Daniel ,L'héritage chrétien en Afrique du Nord, Traduit de l'anglais par1 Julian Brown et Mireille Boissonnat, Editions Tamaris, 2008.

52-Sage Athanse, Le péché originel dans la pensée de saint Augustin, de 412 à 430 A.A, Rome, 1968.

53-Schaff Philip, History of the Christian Church, V II: Ante-Nicene Christianity. A. D. 100-325, Christian Classics Ethereal Library, 1882.

54-Sénac Philippe, Patrice, Histoire du Maghreb médiéval VII,XI siècle, Paris, Armand Colin , 2012.

55-souvenirs de l'ancienne Eglise d'Afrique, trd Un père de la cie de Gesus , Paris, libraire catholique de perisse freres,1862.

56-Toulotte, L' Afrique chrétienne , Maurétanie, Notre- dame des prés, 1894.

57-UNESCO , Diversité et interculturalitéen Algérie, Rabat, Bureau de l'UNESCO pour le Maghreb,2009.

58-Zeller Jules, Les empereurs Romains caractères et portraits historiques, Paris 1863.

3.قائمة الأطروحات والمذكرات

1.3.باللغة العربية

1.عيساوي مها، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم، أطروحة دكتوراه، جامعة قسنطينة، 2010.

2.نشنش حميدة، رجال الدين في بلدان المغرب القديم من ظهور المسيحية في نهاية القرن الثاني ميلادي إلى غاية السلام المسيحي سنة 313م من خلال ترتوليانوس وكيبريانوس، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2009م.

3.بن عقيلي موسى، البابوية عند النصرانية، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1433 هـ.

4.عمران عبد المجيد، الديانة المسيحية في المغرب القديم-النشأة التطور-(180-430م)، أطروحة دكتوراه، جامعة قسنطينة، 2011.

5.العود محمد الصالح، التحولات الحضارية في شمال افريقيا في الفترة الوندالية 429 م-534م، رسالة ماجستير جامعة منتوري قسنطينة،2010.

6.فصولي حسينة، دراسة تحليلية إيكنوغرافية ورمزية وتقنية نماذج من الجزائر القديمة وتونس وروما، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 2، 2012م.

7.خنيش عبد الفتاح، التوسع الزراعي في افريقيا القديمة خلال الفترة الرومانية، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة 2، 2013.

8.عيبش يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لبلاد المغرب أثناء الاحتلال البيزنطي، أطروحة دكتوراه، جامعة قسنطينة، 2007.

2.3.باللغة الأجنبية

1-Audollent Auguste, Carthage Romaine, 146 avant Jésus-698 après Jésus-Christ, Thèse Doctorat, Paris, faculté des lettres, Albert Fontemoing, 1904.

2-Davier Fabien, Les écrits Catholiques de Tertullien, formes et normes, Thèse Doctorat, Université de Franche-comté, V 1, 2009.

3-Lalhé Anaclet Dupar, La formation du patrimoine des Eglises d'Afrique romaine Recherche des fondements théologiques, Thèse doctorat, L'Université canadienne Ottawa,2009.

4-Matricon Thomas Elodie, recherches sur les cultes orientaux a Athenes, du Vesiecle avant J.-C. au IVe siècle après J.-C, thèse doctorat, université Jean Monnet – Saint-Etienne, 2011.

5-Moreau Tiphaine, Penser et construire une autorité chrétienne dans l'Empire romain Les associations empereur-croix' dans les textes des IVe et Ve siècles, Thèse doctorat, Université de Limoges, 2015.

6-Panaget Christian, Les révoltes militaires dans l'empire romain de 193 à 324, Thèse de doctorat, université Rennes 2, 2014.

4.قائمة المجلات

1.4.باللغة العربية

1.آدم أبكر عبد البنات، النصرانية بين التوحيد والتثليث، بغداد، مجلة كلية الآداب، ع.05،2012

2.آدم عبد البنات، مآلات الإنحراف في العقيدة النصرانية، مجلة جامعة بحري للآداب والعلوم الإنسانية، ع6، ديسمبر، 2014.

3.آدم قبي، رؤية نظرية حول العنف السياسي في الجزائر، مجلة الباحث، جامعة ورقلة، ع01، 2002.

4.بشاري محمد الحبيب، أوضاع الإمبراطورية الرومانية في النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي، ثورة جيلدون 397-398، مجلة الاتحاد العام للأثاريين العرب، ع.13

5.بعلي حفناوي، القديس أوغسطين والمدينة الفاضلة، فيلسوف افريقيا والانسانية مجلة المعرفة، ع551، السنة 48، أوت .2009

6.البغدادي عبد المجيد، فن السيرة الذاتية وأنواعها في الأدب العربي، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب لاهور- باكستان، ع 23، .2016

7.حمزة شهيد حسين، الأخلاق في فكر أفلاطون الفلسفي، مجلة كلية الآداب، جامعة الكوفة، ع 10، 2008م.

8.سعدي عثمان، الأب دونا، رجل الدين المسيحي المغاربي المناضل، حولية المجمع، مجمع اللغة العربية، طرابلس، العدد 06، 2008م.

9.القدسي بارعة، عقوبة الإعدام في القوانين الوضعية والشرائع السماوية، مجلة جامعة دمشق م19، ع 2003.

10.كعسيس خليدة، الربيع العربي بين الثورة والفوضى، المستقبل العربي، د.ت.

11.المنصوري حسين، مجمع نيقية، المجمع المسكوني الأول، اصدارات أنصار المهدي ع117، ط1، 2011.

12.المهدي سعد، قضية الطوارق في مالي، مجلة قراءات، العدد 13، سبتمبر.2013

2.4.باللغة الأجنبية

1-Albert Février –Paul, aux origines du christianisme en Maurétanie césarienne 1, antiquité , T, 98,N 2,1986.

2-Alouani Salah, De Theveste à Thelepte : La voie romaine et le peuplement, Revue Aouras, N 6,2010.

3-Amour- Marie Paul -Saint, Philosopher en Chrétien : La question dusens de la philosophie chez Saint Augustin, Camenulae 11, octobre 2014.

4-Baccouche Elyes, Observations sur l'autorité de l'Église d'Afriqueà la lumière des nouvelles lettres de Saint Augustin, Revue Ibla, Tunis, N 210, 2012.

5-Baratte François, Bejaoui Fathi. La société ecclésiastique dans les hautes steppes tunisiennes à la fin de l'antiquité : le témoignage de l'archéologie, Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 154e année, N. 1, 2010.

6-Batiffol Pierre, Le Primae Sedis episcopus en Afrique, Revue des Sciences Religieuses, V 3, N 4,1923.

7-Benseddik Nacéra, Au pays d'Augustin Nouvelles traces du christianisme antique, L'Africa romana XIX, Sassari, V 1, 2010, Roma 2012.

8-Boicu Dragoş, Théodose le Grand et l`Édit de Thessalonique (28 Février 380)Circonstances, commentaire, réception , RT, 94 , N 2, 2012.

9-Bourdin Bernard ,La théologie politique chrétienne : de la monarchie impériale à la démocratie libérale, Laval théologique et philosophique, V. 63, N° 2, 2007.

10-Buenacasa Pérez Carles, Les lettre antidonatistes d'Augstin, le vocabulaire employé pour dénoncer les crimes des Donatistes, collection des travaux et recherche.

11-C. Elrod Emily , Reexaming Heresy: Th Donatists, Historical Perspectives: Santa Clara University Undergraduate Journal of History, Series II, V 11, 2006.

12-Cayre Pierre, Une basilique donatiste de Numidie, Mélanges d'archéologie et d'histoire, T 51, 1934.

13-Charles Munier , Les doctrines politiques de l'Église ancienne, Revue des Sciences Religieuses, T 62,1988.

14-Claude Lepelley, Iuvenes et circoncellions : les derniers sacrifices humains de l'Afrique antique, Antiquités africaines, 15,1980.

15-Courcelle Pierre, Une seconde campagne de fouilles à Ksar-el-Kelb, Mélanges d'archéologie et d'histoire, École Française de Rome ,N 1, V 53, 1936.

16-Danca Iulian, Augustin, juge et défenseur des pauvres, itinéraires augustiniens, Montpellier, Augustin de l'Assomption.

17-Duval Noel, Une basilique chrétienne à deux absides, à Sabratha (Tripolitaine) ? La basilique I : une révision récente, Revue des Études Augustiniennes, 33, 1987.

18-Duval Yvette, La plebs chrétienne au « siècle de Cyprien » jusqu'à la paix de l'Église, revue des Études Augustiniennes, Paris, Institut d'Études Augustiniennes, N 48, 2002, p, 45.

19-…, Sur les conciles africains antérieurs à Cyprien, Revue d'Etudes Augustiniennes , Paris, Institut d'Études Augustiniennes, N 49, 2003.

20-Eugène Albertini, Inscription chrétienne des environs de Berrouaghia (Alger) Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 69e année, N 4, 1925.

21-Février- Paul Albert, Aux origines du christianisme en Maurétanie césarienne, Mélanges de l'Ecole française de Rome, Antiquité T. 98, N°2, 1986.

22-Gacic Pierre, En Afrique romaine : classes et luttes sociales, d'après les historiens soviétiques, Annales. Économies, Sociétés, Civilisations , V 12, N 5,1957.

23-Gagey- Anne Daguet,Septime Sévère, un empereur persécuteur des chrétiens, revue des études Augustiniennes, N 47,2002.

24-Hadot Pierre, Michel Meslin, A propos du Donatisme, Archives des sciences sociales des religions. N. 4, 1957.

25-Jacques Bels, La mort volontaire dans l'oeuvre de saint Augustin, Revue de l'histoire des religions, T187, N°2, 1975.

26-Jean-Pierre Laporte, Dupuis Xavier, De Nigrenses Maiores à Négrine, Antiquités africaines,N 45,2009.

27-Joly Robert, Saint Augustin et l'intolérance religieuse, Revue belge de philologie et d'histoire, T 33, 1955.

28-Jules Toutain. L'Afrique chrétienne avant Saint Augustin [Paul Monceaux, Histoire littéraire de l'Afrique chrétienne depuis les origines jusqu'à l'invasion arabe, Journal des savants, 20e année, Mars-avril 1922.

29-Kotula Tadeusz, Les Africains et la domination de Rome, trd, M. Michalak, Dialogues d'histoire ancienne, V 2, N 1, 1976.

30-Labrousse Mireille, Le baptême des hérétiques d'après Cyprien, Optât et Augustin influences et divergences, Revue des Études Augustiniennes, 42, 1996.

31-Lancel .S , Circoncellions, Encyclopédie berbère, Chèvre – Columnatien, Aix en Provence, N 13,1994.

32-Lancel Serge, Études sur la Numidie d'Hippone au temps de saint Augustin, [Recherches de topographie ecclésiastique],Mélanges de l'Ecole française de Rome. Antiquité, T 96, N°2, 1984.

33-Le Bohec Yann, Tertullien, De corona, Carthage ou Lámbese ?, Revue des Études Augustiniennes, 38 ,1992.

34-L'ecole pratique d'étude Bibliques, revue Biblique, Paris, Victor Lecoffre,douzieme Annee, 1915.

35-LopuszanskiLa Georges , Police romaine et les Chrétiens, : L'antiquité classique, T 20, fasc. 1, 1951.

36-Marrou Henri-Irénée, Autour du monogramme constantinien, Christiana tempora, Publications de l'École française de Rome, V 35, N 1,1978.

37-Martroye. F, Une tentative de révolution sociale en Afrique, revue des questions historique ,V,LXXVII ,1905.

38-Modéran Yves , Gildon, les Maures et l'Afrique, Mélanges de l'Ecole française de Rome. Antiquité T. 101, N°2. 1989.

40-… , La conversion de Constantin et la christianisation de l'Empire romain, Historiens & Géographes, N° 426 ,2011.

40-Monceaux Paul, La littérature donastique, les ouvrages de Petilianus, Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, V 50, N 4, 1906.

41-…, Les ouvrages de Gaudentius, évêque donatiste de Thamugadi (Timgad) au temps d'Auguste, Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 50e année, N. 5, 1906.

42-… Les premiers temps du Donatisme et la question des deux Donat, Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 60e année, N. 1, 1916.

43-Norbert Campagna, Le pape, l'islam et la violence,religion, forum 260,october 2006.

44-Paul-Albert Fevrier, Toujours le donatisme. À quand l'Afrique ? Remarques sur l'Afrique à la fin de l'Antiquité, à propos du livre de E. Tengström, La Méditerranée, Rome , École Française de Rome, 1996.

45-Pietri Cherles, Un judéo Christianisme Latin et l' Afrique Chrétienne , Christiana respublica, Publications de l'École française de Rome,1997.

46-Pottier Bruno, Les circoncellions. Un mouvement ascétique itinérant dans l'Afrique du Nord des IVe et Ve siècles, Antiquités africaines, V 44, N 1, 2008.

47-Recueil des Notices et mémoires de la société archéologique du département de Constantine, Constantine, Imprimerie D. Braham, V 4, 1901.

48-Saint augustin et Maurétanie Césarienne: les années 418-419 à la lumiére des nouvelles lettres récemment publiées, Revue d'études augustiniennes, 30,1984.

49-Sarr Pierre, Administration et discipline ecclésiales dans l'Afrique chrétienne d'après quelques lettres de saint Augustin, Dialogues d'histoire ancienne, V 32, N 1,2006.

50-Selmi Slah ,Culte impérial et persécution romaine : le cas de l'Afrique,Synergies Tunisie, n° 1,2009.

51-Spoljar .P, La construction de la personne dans les Confessions de Saint-Augustin. Perspectives historique et épistémologique, pratique Psychopathologie, université de Picardie Jules-Verne ,N 19 ,2013.

52-Toutain .J, Fouilles de M. Gsell à Tipasa : Basilique de Sainte Salsa, Mélanges d'archéologie et d'histoire , V 11 , N 1,1891.

53-Vannier .O ,Les circoncellions et leur rapports avec l'église donatiste d'après le texte d'optat ,revue africaine ,V 67,Alger,publications universitaires,1926.

54-Victor Saxer, L'Église et l'empire chrétien au IVe siècle. La difficile séparation des compétences devant les problèmes doctrinaux et ecclésiologiques, Revue des Sciences Religieuses, T 77, fascicule 1, 2003.

55-Zeiller Jacques, Donatisme et arianisme. La falsification donatiste de documents du concile arien de Sardique, Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 77e année, N. 1, 1933.

5.المؤتمرات والندوات

1.5.باللغة العربية

1.الحافي عامر عدنان، الأخلاق المسيحية، نحو علم اخلاقيات اسلامي، مؤتمر اسماعيل الفاروقي وإسهاماته في الفكر الاسلامي المعاصر، جامعة اليرموك، 23 و24نوفمبر .2011

2.عيواج زاهية، الحركة الدوناتية في المغرب القديم ودورها في مقاومة الاحتلال الروماني، أعمال ملتقى وطني، المتحف الوطني العمومي، سطيف، 11 و12ديسمبر، .2012

3.معلوي سعيد محمد حسين، جذور التكفير في الأديان الكتابية، دراسة عقدية وتاريخية، مؤتمر ظاهرة التكفير، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، 1423هـ.

4.هلالي مسعد، موقف الإسلام من الردة، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، المؤتمر الثاني والعشرين "مقاصد الشريعة الإسلامية وقضايا العصر"، 22-25 فيفري، .2010

2.5.باللغة الأجنبية

1-Bouchenaki Mounir, Augustin et l'africanité a partir des œuvres historique et de l'étude des sites de Thagaste , diHippone et de Carthage ,Le philosophie Algerien Saint Augustin, Africanité et universalité, actes du premier colloque international, Annaba T1,haut conseil Islamique,2004.

2-Emion Maxime, Le bouclier au chrisme des gardes impériaux dans l'Antiquité tardive, Journée des doctorants du GRHIS, Université de Rouen , 7 mai 2014.

3-John Coombs Richard, The Decline in the North African Church, South African theological seminary, January 2012.

4-Nikolaos Agios, Le rôle de l'évêque de Rome dans la communion d'Eglise pendant le premier millénaire, Le comité mixte de coordination pour le dialogue théologique entre l'Eglise catholique romaine et l'Eglise orthodoxe, Crète, Grèce, du 27 septembre au 4 octobre, 2008.

5-Noël Duval. L'évêque et la cathédrale en Afrique du Nord, Actes du XIe congrès international d'archéologie chrétienne, Lyon, Vienne, Grenoble, Genève, Aoste, 21-28 septembre 1986, Rome, Publications de l'École française de Rome, 1989.

6.القواميس والموسوعات

1.6.باللغة العربية

1.القمص ملطي تادرس يعقوب، قاموس المصطلحات الكنسية، تر، شاكر باسيليوس ميخائيل، القاهرة، مطبعة الاخوة المصريين،1991م.

2.6.باللغة الأجنبية

1-Collection des Canons les plus remarquables, Dictionnaire des conciles, Paris, Gauthier Frére, 1835.

2-Dictionnaire de L'Académie francaise, éditions ebooks France 5ème Edition, 1798.

المواقع الإلكترونية

1-https://st-takla.org موقع الكنيسة القبطية الأرثوذكسية

2-www.clio.fr.

3-Santamariaegypt. Org.

4-http://www.revue-kephas.org. مجلة كيفاس

5-http://www.pbase.com/bmcmorrow/image/130993938

6- www.coptologie.org موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية :

7-https://halshs.archives-ouvertes.fr/halshs-00807045.

8-http://www.inp.rnrt.tn المعهد الوطني للتراث تونس

9-http://www.cosmovisions.com/ConstantinGrand.htm

10-www.HiSTORY.ly

11- www.custodia.org/1god الموسوعة العربية:

الفهارس

1–فهرس الخرائط

2–فهرس الصور والنقوش والمخططات

3–فهرس الجداول البيانية والرسائل التاريخية

4–فهرس الأعلام

5–فهرس الأماكن والبلدان

6–فهرس الموضوعات

فهرس الخرائط

1. خريطة انتشار المسيحية في شمال افريقيا الغربي خلال القرن الثالث الميلادي.....19

2 .خريطة انتشار المسيحية في شمال افريقيا الشرقي خلال القرن الثالث الميلادي..... 20

3 .خريطة للعالم اليوناني أناكسمندر تضع ليبيا كقارة إلى جانب أوروبا وأسيا.....68

4 .خريطة ليبيا حسب مشاهد المؤرخ الاغريقي هيرودوت.....69

5 .خريطة انتشار الأبرشيات الدوناتية والكاثوليكية في نوميديا وموريتانيا السطائفية خلال بداية القرن الخامس الميلادي.....129

6. إنتشار الأبرشيات الدوناتية والكاثوليكية في إفريقيا البروقنصلية والبزانسان خلال بداية القرن الخامس الميلادي.....131

7 .خريطة تبين مناطق تواجد الدوراون بكثافة.....202

8 .خريطة تبين نطاق إنتشار ثورة فيرموس 213

9 .تحركات ونطاق إنتشار ثورة جيلدون.....217

فهرس الصور والنقوش والمخططات

1- تمثال من الفخار يصور الاله القرطاجي بعل حمون.....11

2- مدخل معبد مينرف بمدينة تبسة.....13

3- مظهر عام لكنيسة تبسة التي بنيت تكريما للقديسة كريسبين.....21

4- منظر عام لكنيسة الشهداء بحيدرة تونس.....22

5- منظر عام لكنيسة سانت كبريان بقرطاج.....22

6- مخطط كنيسة (Announa Thibilis) ضواحي قالمة.....23

7- مخطط لكنيسة جميلة 23

8- مخطط كنيسة البنيان (الا ملياريا Ala Miliaria ضواحي وهران).....25

9- مخطط كنيسة تبسة.....26

10- مونغرام بحرف واحد في عملة قسطنطين313 م.....28

11- مونغرام بحرف واحد في عملة تحمل طابع عسكري من عهد الإمبراطور قسطنطين.....28

12- مونغرام بحرف واحد على أحد تيجان أعمدة كنيسة تبسة.....29

13- فسيفساء الفترة المسيحية بتبسة تحمل مونغرام بحرف واحد.....29

14- فسيفساء مسيحية بسبيطلة مؤرخة نهاية القرن الرابع الميلادي.....30

15- فسيفساء الفترة المسيحية بتبسة بحرفين.....30

16- فسيفساء جنائزية بالمقبرة المسيحية بسوسة تظهر رمز حرفي المونغرام.....31

17- مختلف أشكال رموز الصليب في الفسيفساء المسيحية ببلاد المغرب القديم.....32

18- نصب تذكاري جنائزي بكنيسة تبسة يحمل رمز الصليب بحرفين.....32

19- نقش رمز الصليب على الصخور بكاف رجم (ضواحي سدراتة).....33

20- نافذة منحوتة على شكل رمز المسيح 34

21- مجموعة مصابيح جنائزية من قرطاج خلال الفترة المسيحية.....35

22- بعض رموز (monogramme) الصليب من نوميديا.....35

23- حجارة منحوتة مخصصة لاحتواء رفات الشهيد كبريانوس (كنيسة كبريانوس حيدرة 5م).....49

24- نقيشة من حيدرة (تونس) تبين جانب من اضطهاد المسيحيين 51

25- نقش للشهداء من موريتانيا القيصرية ماكسيموس 51

26- مخطط الاضطهادات العشر للمسيحيين.....52
27- صورة من الرخام للامبراطور قسطنطين (القرن الرابع الميلادي).....59
28- عملة تعود لسنة 315م (الامبراطور قسطنطين).....62
29- عملة من فترة حكم الإمبراطور قسطنطين.....62
30- عملة من عصر الإمبراطور تيودوسيوس الثاني..... 63
31- مخطط عام للكنيسة الإفريقية حسب ستيفان غزال.....75
32- كرسي الأسقف في العصور القديمة كان يوضع وسط الدرج داخل الكنيسة.....84
33- مخطط يبين تنظيم توزيع السلطات (الوظائف) في الكنيسة الإفريقية.....87
34- صورة لتمثال ضخم لرأس الإمبراطور قسطنطين.....110
35- صورة تبين وجود مكان داخل كل كنيسة مخصص لممارسة طقس التعميد.....122
36- نموذج عن تواجد الكنائس الكاثوليكية والدوناتية في مدينة واحدة.....126
37- مخطط للكنيسة الدوناتية بتيمقاد التي كان يشرف عليها أوبتاتوس.....127
38- مخطط الكنيسة الدوناتية بمنطقة " قصر الكلب".....134
39- منظر عام لكنيسة " قصر الكلب " الدوناتية.....135
40- القاعة الكبيرة بالكنيسة الدوناتية لقصر الكلب.....135
41- قوس قسطنطين بروما.....149
42- العصي التي يحملها الدواورن.....158
43- صورة للقديس أوغسطين.....175
44- مظهر خارجي لكنيسة القديس اوغسطين بهيبون.....177
45- جزء من أقدم مخطوطة ل" مدينة الله".....181
46- الهراوات التي يفترض أنها كانت الأداة الرئيسية عند الدواورن.....201
47- ذكرى تخليد الشهيد ماركلوس.....207

فهرس الجداول البيانية والرسائل التاريخية

1 – جدول يبين أهم شهداء افريقيا الأوائل (قبل اصدار مرسوم ميلان).....54

2- نص الرسالة التي يأمر فيها الإمبراطور قسطنطين بعقد مجمع من أجل وحدة الكنائس.....57

3- جزء من رسالة قسطنطين لأسقف قرطاج يطلب منه منح أموال إلى رجال الدين في إفريقيا.....58

4- كرنولوجيا الديانة المسيحية من بداية حياة المسيح إلى ترسيمها كديانة للدولة.....64

5- جدول يبين ملخص لأهم محاور السياسة الدينية لقسطنطين وأهدافها.....64

6- رسالة للإمبراطور قسطنطين يُفهم من خلالها زعامة قرطاج للكنائس الإفريقية.....78

7- جدول يبين أهم مجمعات الكنيسة الافريقية.....91

8- جدول لمجمع هيبون 393 م وأهم القرارات الصادرة عنه.....92

9- نسخة لرسالة الإمبراطور قسطنطين يُلح فيها على إرسال أموال للكنائس.....95

10- جدول لأسماء المدن القديمة في افريقيا مقابل الاسم الحالي.....96

11- فقرة من رسالة قسطنطين إلى أسقف قرطاج لمنح الأموال للكنائس الإفريقية.....97

12- رسالة للإمبراطور قسطنطين تدل على تدخله في مسألة خلاف الأساقفة الأفارقة.....109

13- رسالة للإمبراطور قسطنطين يتبين فيها أهمية الكنيسة الإفريقية.....111

14- جدول يبين أهم نقاط الخلاف في المبادئ بين الدوناتيين والكاثوليك.....123

15- جدول يبين أهم الهرطقات في الديانة المسيحية خلال العصور القديمة.....142

16- جزء من رسالة أوغسطين موجهة إلى الدوناتيين.....152

18- رسالة أوغسطين إلى الدوناتيين يذكرهم فيها بأفعال الدوارون الاجرامية.....163

19- رسالة لأوغسطين موجهة ضد الدوناتيين يبين فيها علاقتهم مع الدوارون.....164

20- جدول يبين بعض اكتشافات آثار المسيحية في هيبون وضواحيها.....178

21- القوانين والأحكام المسبقة الدوناتيين قبل مؤتمر قرطاج.....187

22- جدول لبعض رسائل أوغسطين الموجهة للدوناتيين.....192

فهرس الأعلام

(أ)

ابن خلدون: 70

أرسطو: 156

اسباراتا: 51

أفلاطون: 173، 175

أمورتيوس: 105

أوبطا الميلي: 104، 154، 183، 185، 195
198، 203

أورليان (إمبراطور): 52

أوريلوس (أسقف): 77، 79، 86، 91، 92
193، 194

أوكتافيوس: 36

أبوليوس: 17، 173

أريوس: 60، 145، 150

أغريبونوس (أسقف): 15، 77

أمبروسيوس: 174

أنولينوس (حاكم): 57، 78، 95، 111

أوبطاطوس التيموقادي (أسقف): 127، 215
216

أوريسيوس: 58

أوغسطين (القديس): 7، 82، 106، 107
110، 120، 151، 152، 163، 164
166، 172، 173، 175، 176، 178
179، 182، 188، 192، 194، 198
203 ، 208، 209، 215، 227

ايمرتيوس: 105

(ب)

برفاتوس (أسقف): 15

بطرس: 80، 144

بومبيوس ميلا: 67

بيلاغيوس: 193

بريبيتي: 48، 54، 76، 85

بطليموس: 36

بيتيليانوس (أسقف): 105، 132

(ت)

تابسوس: 43

تاكيتوس: 67

تراجان: 47، 52

ترتيوس: 85

تيت ليف: 67

تاكفاريناس: 114

تبرسيكي: 188

ترتيليان: 2، 7، 14، 40، 41، 45، 53، 76، 86، 90، 91، 99، ،206، 224

تبريوس: 37

(ج)

جنوليسيوس: 79

جوستنيان: 80، 190

(د)

داتيفوس: 10

دقلديانوس: 48، 49، 50، 52، 55، 56، 73

دوناتوس: 6، 60، 78، 102، 103، 104، 108، 114، 117، 118، 128، 141، 147، 148، 152، 158، 192، 204

داكيوس: 48، 52

دوميسيان: 52

(ر)

رمسيس الثالث: 66

ريفوس(أسقف): 79

ريستوتوس (أسقف): 79

(س)

سبتميوس سيفريوس: 47، 48

سلبيوس سيفريوس (مؤرخ): 47

سيكندينوس (أسقف): 107

ستيفان غزال: 12، 35، 75، 136

سيسيليانوس (أسقف): 57، 58، 95، 107، 208

112 ، 78

سينكيوس سيفيريوس (حاكم): 47

(ش)

شيشرون: 173، 175

(ص)

صالصا (القديسة): 46

(غ)

غراتيوس (أسقف): 79

غودنتيوس (اسقف): 106

غودان (قديس): 48

غورديوس(القديس):43، 54

(ف)

فابيانوس (أسقف): 48

فالنتيان الأول: 147

فاليريان (إمبراطور): 51، 100

فلافيوس جوزيف: 70

فابيوس: 43

فاليروس (أسقف): 176

فانديكانيوس: 174

فليسيتي: 54، 76، 85

فوستينوس (أسقف): 166

فيتاليس: 85

فيرموس: 7، 163، 173، 210، 211

212، 213، 214، 219، 227

فيرناكليس: 51

فيكتورانيوس: 51

(ق)

قسطنطين: 2، 21، 27، 28

56، 57، 58، 59، 60

62، 64، 78، 94، 95، 108، 109، 110

111، 112، 119، 130، 141، 149، 150

169

(ك)

كالونوس (أسقف): 79

كبريان (القديس): 2، 14، 15، 22، 40، 49

55، 76، 78،79، 80، 83، 86، 93، 98

107، 121، 146، 193، 220،224

كروس (أسقف): 78

كريسبين (القديسة): 21، 50

كريسبينوس (أسقف): 151، 166، 221

كريسكنيوس: 192

كلوديوس: 72

(ل)

لوسيلا: 111

(م)

ماكسيميليان: 42

مارسال (القديس): 42

ماركس أورليوس (إمبرطور): 52

مركلوس: 82

منسوريوس (أسقف): 107، 117

مونسيريوس (أسقف): 79

ماجورانوس: 111، 112

مارسلينيوس (حاكم): 123

ماكسيميان (إمبراطور): 43، 148

منربتاح: 66

مورنتيوس (أسقف): 188

مونيكا (والدة القديس أوغسطين): 172، 174

(ن)

نيرون: 46، 47، 52، 53

(هـ)

هاليفيوس (حاكم): 174

هيرودوت: 10، 66، 69

هونوريوس: 183، 186، 187

(ي)

يانورانيوس (أسقف): 188

يوغرطة: 72

يوسابيوس القيصري (مؤرخ): 7، 41، 43، 58

يوليوس قيصر: 36، 67

فهرس الأماكن والبلدان

(أ)

أبيتينا: 50

أثينا: 10، 89

أثيوبيا: 145

اسبانيا: 74، 77، 102

الاسكندرية: 17، 60، 76، 80، 144، 150

أنطاكيا: 17، 80، 142

أوتيكا: 81

الأوراس: 16، 116، 133، 200، 211، 216

أوروبا: 14، 56، 68، 215

أوزية: 82، 210

أوقولا: 71

أوكتافا: 208

ايكوزيوم: 211

(ب)

باجة: 81

باغاي:106، 124، 125، 199، 220

بسكرة: 16

بلاد الغال: 77، 109

بير بورقبة: 11

بيزاكينا: 72، 80، 81

بيزرت: 81

(ت)

تازولت:74، 96

تاغورة: 16

تالة: 81

تبسة:13، 16، 21، 26، 29، 42، 50، 72

81، 96، 124، 125، 133، 136، 200

216، 220

تسالونيك: 63، 171

تسدروس: 47، 74

تليت: 16، 81

تيبازة: 46، 82، 96، 130

تيغيسي: 200

تيفاشت: 178

تيمقاد: 16، 82، 95، 96، 106، 125

126، 127، 191، 200، 207، 215

216، 226

(ج)

جربة:81

الجم: 47، 74، 96

جميلة: 16، 24، 82، 96، 122

(ح)

حضرموت: 16، 55، 72

حيدرة: 22، 49، 51، 81

(خ)

خلقيدونية: 144

خنشلة: 82، 133، 200

(د)

دقة: 81، 96

(ر)

روسيكادا: 16، 55، 82

(ز)

الزاب: 16

(س)

سالي: 96

سان جيوفاني: 59

سبيطلة: 30، 81، 96

سدراتة: 33، 178

سردينا: 67

سطيف: 73، 96، 130

سوريا: 142، 145

سوسة:73، 81

سوق أهراس: 96، 178

سيرتا:16، 73، 81، 82، 112

سيكيلي: 15، 54

(ش)

شرشال: 73، 96، 105، 211، 226

الشلف: 211

شواد: 96

(ص)

صبراتة:81

صقيلية: 67، 109

(ط)

طبرقة: 81، 96

طبنة:82

طرابلس: 16، 37، 81، 82، 130، 168

طنجة: 42، 73، 74، 82، 96

(ع)

العرائش: 96

(غ)

غمارت: 76

(ف)

فزان: 16

فيغسلا: 200

(ق)

قالمة: 23، 55، 96، 151، 178، 200، 209،221

القبائل: 211

القدس: 17، 80

القسطنطينية:56، 80، 214

قصر الكلب: 134، 135

القصرين: 96

قفصة: 81

قورينيا: 67، 71، 72

(ك)

الكاف: 81، 96

كوربة: 96

كويكول: 16

(ل)

لامباز:15، 40، 42، 72، 82، 200

لبتيس ماغنا: 73، 74، 81

لمطة: 81

(م)

مادور: 16، 54، 74، 97، 172، 173، 178، 200

المزاق: 72

المهدية: 96

ميلاف: 91، 96، 154، 82

ميلان:2، 3، 7، 46، 50، 55، 56، 64، 73، 90، 108، 168، 174، 225

(ن)

نقرين:102، 200

نيقية: 141، 147

(هـ)

هرقلة: 81

هيبون: 16، 55، 77، 86، 92، 133، 145

151، 165، 176، 177، 178، 185، 190

193، 200، 202

(و)

وليلى: 96

فهرس
الموضوعات

مقدمة.....2

الفصل الأول:مدخل عام لانتشار المسيحية في بلاد المغرب.....10

1/مظاهر بدايات دخول المسيحية لبلاد المغرب القديم.....10

1- 1-لمحة عن الديانة في بلاد المغرب القديم ما قبل المسيحية..... 10

1-2-انتشار الديانة المسيحية في بلاد المغرب القديم وظهور الكنائس الأولى.....13

1-3-رموز الصليب (Le monogramme) في إفريقيا المسيحية 27

2/ظروف وعوامل انتشار الديانة المسيحية في المغرب القديم.....36

2-1-الظروف السياسية.....36

2-2- الظروف الاقتصادية.....37

2-3- الظروف الاجتماعية.....38

2-4-الظروف الدينية.....39

3-الجيش الروماني في إفريقيا والديانة المسيحية.....40

1-القديس ماكسيميلان (saint Maximilien).....42

2-القديس مارسال.....42

3- تاباسوس (Tapasus) 43

4- فابيوس (Fabius).....43

5-القديس غورديوس: (Saint Gordius).....43

4-الوثنيون وموقفهم من الديانة المسيحية.....44

5-موقف الأباطرة الرومان من انتشار الديانة المسيحية في المغرب القديم.....46

5-1- قبل مرسوم ميلان.....46

5-2-بعد مرسوم ميلان.....56

الفصل الثاني: نشأة الكنيسة الإفريقية وتطورها.....66

1/في أصل تسمية إفريقيا..... 66

2/ تعريف بالكنيسة الافريقية ونشأتها.....71

3/ مكانة كنيسة قرطاج في افريقيا المسيحية.....75

4/ تنظيم الكنيسة الافريقية..... 79

4-1- تقسيم الأسقفيات في إفريقيا.....80

1-افريقيا البروقنصلية.....81

2-نوميديا 82

3-موريتانيا السطائفية.....82

4-موريتانيا القيصرية.....82

5-موريتانيا الطنجية.....82

4-2- الوظائف في الكنيسة الإفريقية.....82

1-الأسقف.....83

2-القسيس.....84

3-الشماس.....85

4-القراء.....86

4-3-الجانب الانضباطي في الكنيسة الافريقية 88

4-4- المجمعات الكنسية في افريقيا Ecclesia (المجالس الكنسية).....89

4-5- موارد الكنيسة الإفريقية.....93

1-موارد داخلية.....93

2-موارد خارجية.....94

5/دور الكنيسة في المجتمع الافريقي.....97

الفصل الثالث: نشأة الحركة الدوناتية.....102

1/شخصية المؤسس دوناتوس (Donatus).....102

2/أبرز مفكري الحركة الدوناتية.....104

2-1-الأسقف بارمنيانوس (Parmenianus).....104

2-2-كريسكونيوس Cresconius.....105

2-3-الأسقف بيتليانوس (Petilianus).....105

2-4-أمورتيوس (Emeritus).....105

2-5-(الأسقف غودنتيوس (Gaudentius).....106

3/أسباب وظروف نشأة الحركة الدوناتية.....106

3-1-الاستغلال الاقتصادي.....113

3-2-الاستغلال الاجتماعي.....115

4/مبادئ الحركة الدوناتية.....117

4-1-مشكلة المتخاذلين.....117

4-2-تدخل الدولة في الدين.....119

4-3-مسألتي التوحيد و التعميد.....120

4-4- المبادئ الاجتماعية.....123

5/ مدى انتشار الحركة الدوناتية في المغرب القديم.....123

الفصل الرابع: موقف الكنيسة الكاثوليكية والإمبراطورية الرومانية من الحركة الدوناتية.....138

1/الحركة الدوناتية بين الهرطقة والانشقاق.....138

1-1-مفهوم الهرطقة (Hérésie).....138

1-2-مفهوم الانشقاق(Schisme).....143

1-3- هل الدوناتيون هراطقة أو منشقين.....144

2/الحركة الدوناتية بين التمرد والثورة.....155

2-1-تعريف التمرد (La rébellion).....155

2-2-تعريف الثورة (la Révolution).....156

2-3-هل الدوناتيون متمردين أو ثوار.....156

3/الصراع الاجتماعي بين الكاثوليك والدوناتيين 165

الفصل الخامس: طبيعة ومراحل الصراع بين الكنيسة الإفريقية والحركة الدوناتية.....168

1/وضع الكنيسة الافريقية خلال فترة ظهور الدوناتية.....168

1-1-علاقة الكنيسة الإفريقية بالسلطة.....168

1-2- تطور الكنيسة الافريقية مع مجيء القديس أوغسطين 172

1-2-أ حياة وشخصية القديس أوغسطين.....172

1-2-ب-أبرز مؤلفات أوغسطين.....179

1.كتاب الاعترافات.....179

2.كتاب مدينة الله.....180

3. كتاب الثالوث.....181

1-2-ج-موقف أوغسطين من الحركة الدوناتية.....182

1-تحريض السلطة الرومانية ضد الدوناتيين.....183

2-المؤتمرات والجدال الكلامي.....185

3-مؤتمر قرطاج 411 م.....186

4-نتائج مؤتمر قرطاج 411 م.....189

5- التأليف والردود الكتابية ضد الدوناتيين.....191

1-المعمودية (De baptismo).....191

2-رسائل ضد الدوناتيين.....192

3-ملخص لمؤتمر قرطاج حول الدوناتية.....193

1-3-الأسقف أوريلوس (Aurelius) ودوره في محاربة الحركة الدوناتية.....193

2/علاقة الحركة الدوناتية بثورة الدواورن.....195

2-1-تعريف الدواورن (Circoncellions).....195

2-2-هل الدواورن مجرد حركة منشأها تردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية 197

2-3-طبيعة العلاقة بين الحركة الدوناتية وحركة الدواورن.....197

2-4-انتشار حركة الدواورن في إفريقيا.....199

2-5-تشويه الكنيسة الكاثوليكية للحركة الدوناتية بسبب تحالفها مع الدواورن.....203

أ-الصاق تهمة العنف بالحركة الدوناتية.....203

ب- ظاهرة " الانتحار" وتشويه صورة الحركة الدوناتية.....205

ج-الصاق صفة الجهل بالحركة الدوناتية.....209

3/علاقة الحركة الدوناتية بثورتي فيرموس وجيلدون.....210

3-1-من هو فيرموس.....210

3-2-الحركة الدوناتية وثورة فيرموس.....211

3-3-الحركة الدوناتية وجيلدون.....214

أ-من هو جيلدون.....214

ب-علاقة الدوناتية بثورة جيلدون.....215

4/ البعد القومي في الصراع بين الكنيسة الافريقية والحركة الدوناتية.....218

4-1-البعد السياسي.....218

4-2-البعد الديني.....219

4-3-البعد الثقافي.....220

الخاتمة.....223

قائمة المصادر والمراجع.....229

1-فهرس الخرائط.....245

2-فهرس الصور والنقوش والمخططات.....247

3-فهرس الجداول البيانية والرسائل التاريخية.....250

4-فهرس الأعلام.....253

5-فهرس الأماكن والبلدان.....256

6-فهرس الموضوعات.....262